كتابي

١٠
قروش



اتلانتا
للرسام الانجليزي "لورد ليتون"

حلمي مراد



« جوديث » تحمل رأس « هولوفيرن » بعد أن ذبحته !

(من مجوعة المهنـــــدس « هنرى فريسكو »

ـ اقرأ القصة كاملة فى باب « دائرة المعارف»)



« جوديث » وهى تذبح « هولوفيرن » !

(لوحة أخرى ، لرسام آخر — من مجموعة المهندس « هنرى فريسكو »)

كتابي

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية
يصدر أول كل شهر
صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار الكتاب

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب السابع والثلاثون (السنة الرابعة) : أبريل ١٩٥٥
الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة :اقرأ التفصيلات بالداخل
الادارة : عمارة الجندول ـ ١٤ شارع ٢٣ يوليو ـ بالقاهرة
تليفون ٥٩٥٥٦ و ٦٥٦٠٨

عزيزي القارئ ..

◆ ها هو ذا العدد الثانى من « كتابى » فى عامه الرابع ، أقدمه لك وأنا أرجو أن تلمس فيه أثرا من آثار التقدم التى أحاول أن أدخلها عليه عددا بعد عدد ..

ولقد عرضت عليك فى العدد الماضى موضوع شكوى بعض القراء من « الحروف الصغيرة » التى تجمع بها معظم صفحات « كتابى » ، ولم أشأ أن أستأثر وحدى بالبت فى أمر جوهرى كهذا ، بل شئت - كعادتى معك ، وكعهدك بى - أن أشركك معى فى الأمر .. وقد تلقيت ردودا كثيرة فى هذا الصدد ، عنيت بفحصها ، **فاذا هى متضاربة ، متأرجحة بين « البنط الصغير » و « البنط الكبير » ، بحيث تعذر على ترجيح كفة فريق على كفة الآخر .. فهذا يشكو ويلح فى الشكوى من ارهاق الحروف الصغيرة لعينيه ، وذاك يستحلفنى ويلح فى الرجاء أن أجمع المواد بحروف « أصغر » من الصغيرة ، لو وجدت !.. ومن هنا انتهيت الى أن أمضى فى الخطة التى سرت عليها من قبل وهى : الجمع بين نوعى الحروف .. الصغير والكبير ، بحيث أتمكن من أن أحشد لك أكبر قدر مستطاع من المواد فى كل عدد ..**

نتيجة استفتاء « هل تصارح زوجها ؟ »

وكنت قد اضطررت فى العدد الماضى الى ارجاء نتيجة استفتاء « هل تصارح زوجها » ، الذى طرحته عليك فى العدد (٣٤) ، نظرا لكثرة الردود التى تلقيتها ، وما تطلبه فحصها من وقت .. **وها هى ذى النتيجة أقدمها لك اليوم على صفحتى (١٠١) و (١٠٢) من هذا العدد ..**

مطبوعات كتابى

وبهذه المناسبة ، أحب أن ألفت نظرك الى **الاستفتاء الذى أقدمه لك فى صفحة (٣٥) بشأن مطبوعات كتابى » ..**

وتقبل أطيب تحياتى

حلمى مراد

كتابى

اعـــداد نفدت

كتابى الاول : ((خطايا الحب)) وكتب أخرى ، وكتابى الثانى : ((قلب عذراء)) وكتابى الثالث : ((الهـاربة من الجنـة)) وكتابى الـرابع : ((حـواء الجـديدة)) وكتابى الخامس : ((أحدب نوتردام)) وكتـابى السادس : ((جريمة حب)) .

اعداد توجد نسخ منها بالادارة

كتابى السـابع ((عشـيقة نابليـون)) ، والثـامن ((مـذكرات كيوبيد)) ، والتاسع ((صنم تحطـم)) ، والعاشر ((حديقة الله)) ، والحادى عشر ((عندما تحقد المرأة)) ، والثانى عشر ((لعبة الحب والموت)) ، والثالث عشر ((توبة خاطئة)) ، والرابع عشر ((ايها الربيع ترفق)) ، والخامس عشر ((الشيطان على الأرض)) ، والسـادس عشر ((ليدى هاملتون)) والسـابع عشر ((الارملة المرحة)) والثامن عشر ((حياة جورج صاند)) ، والتاسع عشر ((حيـاة سارة برنار)) ، والعشرون ((رباعيات عمر الخيام)) ، والحادى والعشرون ((حياة بيتهوفن)) ، والثانى والعشرون ((حياة موسولينى)) ، والثالث والعشرون ((كوخ العم توم)) والرابع والعشرون ((الزوج والعشيق)) والخامس والعشرون ((البوهيميـة)) ، والسـادس والعشرون ((فتاة لها ماض)) والسابع والعشرون ((ترويض النمرة !)) والثامن والعشرون ((فن الحب)) ، والتاسع والعشرون ((الجريمة والعقاب)) والثلاثون ((المنافق)) (طرطوف) ، والحادى والثلاثون ((أميرة مصر)) والثانى والثلاثون ((الأمطار)) ، والثالث والثلاثون ((أفروديت)) ، والرابع والثلاثون ((أقنعة الحب السبعة)) والخامس والثلاثون ((سالومى)) والسادس والثلاثون

◆ **وتطلب** من ادارة كتابى: ١٤ شارع ٢٣يوليو بالقاهرة (عمارةالجندول)، وثمن كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤) ١٠ قروش خالص اجر البريد (المسجل ما عدا الاعداد ١٣ ، ١٦ ، وثمن كل منهما ١٢ قرشا ، والعدد العاشر والعدد العشرون وثمن كل منهما عشرون قرشا .. وابتداء من العدد ٢٥ ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا

◆ **ملحوظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج** بشيك على أحد بنوك القاهرة ، ولا تقبل العملة الاجنبية أو أذونات البريد الخارجية . وتحرر الاذونات والشيكات باسم صاحب المجلة شخصيا .

مطبوعات كتابى

صدر منها حتى الآن :

١ ـ قصة مدينتين　　　٢ ـ ذات الثوب الابيض

٣ ـ الخـالدون　　　٤ ـ الخاطئـة

وثمن كل من الأول والرابع عشرون قرشا خالص اجر البريد المسجل (نظرا لوشك نفادهما) ، والثانى ١٢ قرشا ، والثالث ١٠ قروش



نافذة "كتابي" تطل على العالم :

رأيت وسمعت لك في أوربا

للمحرر

من شاطىء الادرياتيك .. الى جبال الألب

◆ هبطنا فى العدد الماضى مدينة (فنيسيا) ، عروس الادرياتيك .. المدينة العائمة التى لا تنام ، والتى يتهافت على زيارتها - من كافة أقطار الارض - موكب متلاطم من السائحات والسائحين ، يسوقهم الفضول الى رؤية مدينة القنوات و « الجندول » ، التى خلدها شكسبير فى « تاجر البندقية » .. وعاش فيها ، وعربد ، « كازانوفا » !.. فهم انما يزورونهـا مسوقين بالفضول الى بعث ماضيها ، أكثر منهم مشوقين الى العيش فى حاضرها !

.. ثم عرجنا على ضاحية البندقية الخلابة : « الليدو » ، أو جنة الاثرياء ، التى تعتبر شوارعها الانيقة ومقاهيها الساحرة معرضا عالميا للجمال ، والثراء ، والفتنة ، قد لا يكون له نظير آخر !

واليوم نبدأ زيارتنا لمعالم البندقية القديمة بقصر (الدوج) المشهور ، وسواه من معالم المدينة العائمة .. ثم نستقل الاوتوكار الى مصيف ايطاليا الجبلى (كورتينا) .. فى طريقنا الى « التيرول » النمسوى

تاريخ .. أغرب من الخيال !

◆ **كان** قصر « الدوج » مقرا لحكام « جمهورية فنيسيا » طيلة أكثر من ألف عام ! - فقـد تتابع على حكم المدينـة مائة وعشرون حاكما أو « دوج » ، خلال المدة من سـنة ٦٩٧ الى سنة ١٧٩٧ - وكلمة « دوج » معناها « السيد الاعظم » ، وهى التى يطلق عليها بالايطالية « دوتشى » ، **ومن هنا اتخذهـا موسولينى لقبا له ، أملا فى أن يعيد لبلاده مجدها القديم أيام تلك الجمهورية ذات القوة والبأس .. وقبل أن نقوم بجولتنا فى أنحاء هذا القصر الفسيح ، تعال معى نقلب صفحات التاريخ البعيد ، لنبعث الى الحياة صورا سريعة لماضي البندقيـة المجيد :**

عندما هاجمت قبائل البرابرة شاطىء الأدرياتيك ، فى القرن الخامس ، تكأكأ سكان تلك المنطقة الساحلية يبحثون لأنفسهم عن مأوى آمن فى الجزر الصغيرة المشرفة على مصبات الانهار الكبرى الواقعة فى تلك المنطقة ٠٠ (وهكذا كان أولئك الصيادون الفقراء هم أسلاف أهل البندقية الاغنياء الاقوياء المحبوبين الظافرين ، الذين تسنموا قمة المجد خلال العصور الوسطى !) ٠٠

مولد مدينة « البندقية »

◆ **ولكن** أولئك المهاجرين الذى فروا من غزو البرابرة ، لم يستقروا طويلا فى موطنهم الجديد ، فقد اضطرهم الضغط الفرنسى الى ترك تلك الجزر والانتقال مرة أخرى الى «الارصفة» الصغيرة التى لا تكاد ترتفع عن سطح البحر ، والتى تتألف منها الآن (البندقية) ٠٠ وكان ذلك بمثابة مولد المدينة !٠٠ (وقد كانت نواة المدينة الجديدة منطقة « ريالتو » ، التى شيدت بها فيما بعد قنطرة ريالتو المشهورة ، التى ترى صورة لها فى صفحة ٣٧ من هذا العدد)

ولم يلبث سكان البندقية أن اجتمعوا - فى عام ٦٩٧ - وانتخبوا حاكما لهم أطلقوا عليه لقب « دوج » ، وجعلوه رأس السلطة التنفيذية فى « الجمهورية » الفتية ٠ على أن الحاكم المذكور لم يكن دكتاتورا ، كما قد يتبادر الى الذهن ، بقدر ما كان ممثلا لبضع الاسر القوية التى تمسك فى يدها زمام حكومة المدينة ، والتى كانت تنسى خلافاتها الداخلية وقت الخطر ، وتتحد لمواجهة العدو الخارجى المشترك !٠٠ (وقد قيدت سلطة الدوج بالتدريج ، حتى انتهت فى عام ١٢٩٧ الى اشراك ستة من المستشارين معه فى تولى السلطة التنفيذية ، كما أسندت السلطة التشريعية الى « المجلس الاعلى للشيوخ » ، والسلطة القضائية الى « مجلس العشرة » ، القوى الشوكة ، المرهوب الجانب !)

تجمع ثروة ٠٠ من الاتجار مع الشرق !

◆ **وفى عام ٨١٢** ، ضمت فنيسيا الى الامبراطورية البيزنطية ٠٠ ثم عادت فظفرت منها بمزيد من الرقعة الجغرافية والحريات السياسية ، مكافأة لها على العون العسكرى الذى قدمته أثناء القتال ضد المسلمين ٠٠ **وبذلك تحقق للبندقية استقلال فعلى شبه كامل ، فأنشأت لنفسها اسطولا قويا ، لم تلبث أن أطلقته لغزو بلاد الشرق ، سياسيا واقتصاديا !٠٠ ومن الاقطار الشرقية راح تجار فنيسيا يجلبون الكنوز والثروات « الخرافية » التى ساهمت فى بناء مجد البندقية الباذخ !**

وظلت المدينة توسع من رقعتها ونفوذها تدريجا ، بقوة اسطولها وقراصنتها ، وتضم اليها الجزيرة تلو الجزيرة ، حتى أتيح لها أن ترفع أعلامها ـ فى عام ١٢٠٤ ـ على « امبراطورية الشرق اللاتينية » ، وذلك خلال الحرب الصليبية الرابعة ، التى كان النصر فيها وقفا على قوات البندقية ، بل كانت أشبه بغزوة « منفردة » من جانب هذه القوات ٠٠

على أن سيطرة البندقية على الشرق الادنى ، التى عززها غزوها لجزيرة كريت، لم تلبث أن أثارت غيرة مدينة (جنوا)، التى كان لها بدورها اسطول ضخم ، ومصالح فى الشرق ٠٠ فاحتدم الصراع والمنافسة بين المدينتين ! وكان صراعا عنيدا مريرا ، انتهى أخيرا بعقد لواء النصر للبندقية ، الامر الذى قوى من قبضتها على مستعمراتها ، ووطد مركزها فيها !٠٠ غير ان قصر عمر امبراطورية الشرق اللاتينية ـ التى لم تعش أكثر من ٦٠ عاما ـ قد وضع على عاتق البندقية عبء بذل المحاولات المستمرة للمحافظة على ممتلكاتها التى كسبتها بالجهد العنيف !

تركيا تسلبها ممتلكاتها !

♦ **لكن** الكفاح والمعارك السابقة ما كانت لتقاس بما هو آت ، خلال الحرب ضد مطامع تركيا فى التوسع الاستعمارى! **٠٠ اذ سرعان ما صار على البندقية أن تواجه وتتصدى للاسطول التركى الجرار ، ولحلفائه القراصنة ! صار عليها أن تقاتل ، خطوة خطوة ، قبائلهم المنتشرة من آسيا الى أوربا !٠٠ ومع ذلك ، ورغم المقاومة الجبارة ، والبسالة النادرة ، فان تركيا أفلحت فى أن تسلب البندقية أجمل حبات فى عقد ممتلكاتها ، حبة بعد الاخرى !**

وبعد سقوط القسطنطينية (عام ١٤٥٣) ، كان غزو قبرص (١٤٨٩ ـ ١٥٧٠) بمثابة تعويض ضئيل عن الخسائر التى حاقت بفنيسيا ٠٠ ثم تلاه النصر البحرى الاعظم للقوات الاوروبية على أسطول تركيا فى عام ١٥٧١ ، وهو النصر الذى ساهمت فيه البندقية بمائة واحدى عشرة سفينة ، من بين ال ٢٤٣ سفينة أوربية التى اشتركت فيه ! ٠٠ ومع ذلك ، لم تدع فنيسيا هذا الصراع يستنزف قواها ، بل انها ـ على العكس ـ حاولت منذ سنة ١٣٣٩ أن تظفر بما يعوضها بعض الشىء عن ممتلكاتها التى خسرتها ، فراحت تمد رواق توسعها فى البر بدل البحر ، فى اتجاه شمال ايطاليا ٠٠ وكان أعداؤها فى هذا المجال هم الاقطاعيون وسادة الارض ، فخاضت ضدهم عددا كبيرا من المعارك ، بمعاونة فريق من أشهر المحاربين والمغامرين ، فخرجت منها منتصرة ٠٠ وبذلك ضمت أملاك أولئك المهزومين ، كما غزت عددا من مدن شمال ايطاليا وفي مقدمتها (رافينا) ٠ وحين نشب القتال ضد امبراطور النمسا « مكسمليان » ، خرجت منه فنيسيا ظافرة بمدينتى تريستا وفيومى !

أوربا تتألب ضدها !

◆ **وطبيعى** أن هذا التوسع البرى زرع فى النفوس سلسلة من الاحقاد ، والضغائن ، والحسد ، والمخاوف .. كانت نتيجتها المحتومة تأليف « حلف كامبرى » ـ عام ١٥٠٨ ـ الذى ألب أوربا بأسرها تقريبا ضدها ، واضطرها الى التخلى عن أطماعها فى التوسع .. ثم توالت عليها الكوارث خلال ذلك القرن والقرن الذى يليه : فمن حروب مع القراصنة ، الى حروب مع الاتراك كانت تستمر عشرة وعشرين عاما !.. وهكذا ، بين المراقص التنكرية ، والحفلات الساهرة ، والاستعراضات ، والكرنفالات ، كان مجد فنيسيا يتضاءل وينحدر شيئا فشيئا

وفى سنة ١٧٩٧ انهارت جمهورية البندقية أمام نابليون ، وضمت الى النمسا ـ وكان ذلك آخر عهدها بحكامها الملقبين بـ «الدوج» ـ ثم أعيدت الى ايطاليا فى عام ١٨٠٦ .. ثم ردت الى النمسا مرة أخرى !.. **وهكذا ظلت الاقدار تتقاذفها كالكرة .. حتى نشبت فيها ثورة وطنية فى سنة ١٨٤٨ تولت طرد النمسويين المحتلين من أرضها ، وقاومت الحصار القاسى عاما كاملا ، ببطولة مشهود بها .. لكنها اضطرت فى النهاية الى التسليم .. وعاد النمسويون يحتلونها !**

وكان آخر فصل كتبته الاحداث فى قصة (البندقية) ، ضمها الى مملكة ايطاليا الحديثة الموحدة ، فى عام ١٨٦٦

أما وقد ألممنا بماضى (فنيسيا) هذه الالمامة الخاطفة ، فتعال معى نزور معالمها التى شهدت هذا الماضى المجيد ، وعاشته :

سلم العمالقة

◆ أول ما يلفتك من واجهة قصر الدوج الخارجية ، زواياه الثلاث المطلة على الميدان والبحر ، وقد نحتت فى كل زاوية

مجموعة من التماثيل لمناظر كاملة لها مغزى : فاحدى هذه الزوايا تمثل « نوح مخمورا » ٠٠ والثانية « آدم وحواء » ٠٠ والثالثة « حكم سليمان » ، وتظهر فيها المرأتان اللتان احتكمتا اليه بشأن تنازعهما على طفل تدعيه كل لنفسها !

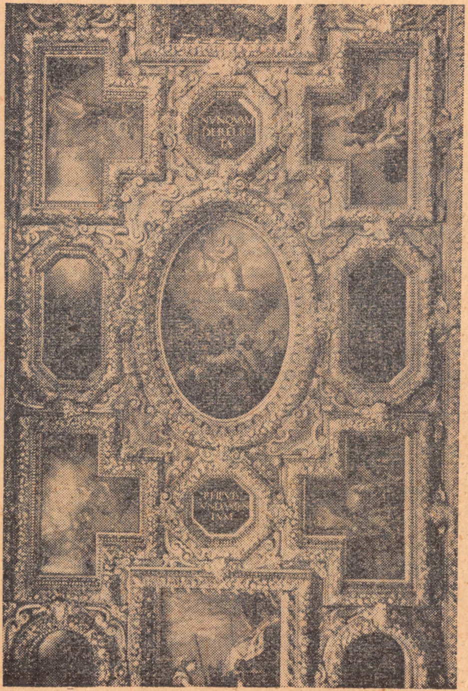
فاذا فرغت من تأمل هذه الزوايا الثلاث ، دخلت من باب القصر الرئيسى ، فاذا هو صرح هائل منحوت على الطراز القوطى ، يحف به تمثالان ضخمان ، يرمز أحدهما للقوة ، والثانى للاعتدال ٠٠ فاذا اجتزت الباب ألفيت نفسك فى رواق طويل ، يفضى الى فناء فسيح مكشوف يتوسط مختلف أجنحة القصر ، **وفى وسط الفناء بئران كبيران صنعت حافتاهما من البرونز المنحوت على نسق فنى منقطع النظير ، رغم أن قطر كل بئر منهما يبلغ عدة أمتار ٠٠ وفى واجهة الجناح المقابل لهما ، التمثالان المشهوران لآدم وحواء - وترى صورتهما فى صفحة ١٦٨ من هذا العدد (على الورق المصقول) - وهما من صنع المثال ريزو (عام ٤٧٠)**

فاذا فرغت من الطواف بالفناء ومعالمه الفنية ، فتعال معى نصعد « سلم العمالقة » التى تقود الى داخل القصر ، وهى من تصميم الفنان « ريزو » أيضا ، وعند قمتها - على الجانبين - تمثالان هائلان : أحدهما لاله البحر « نبتيون » والآخر لاله الحرب « مارس » ٠ وفى الشرفة العليا المطلة على السلم كان «الدوج» الذى ينتخب حاكما للمدينة يتلقى «قبعة السلطان» ، فى احتفال مهيب ٠ وفى الطابق المذكور ثلاث قاعات كبرى ، عامرة باللوحات الفنية التى لا مجال للافاضة فى تعدادها ٠٠ ثم نجد أمامنا « السلم الذهبية » التى تقود الى الطابق الثانى ٠ وأول ما تصادفك فيه « القاعة ذات الابواب الاربعة » ، ومن أجمل ما بها لوحة رائعة تمثل اله البحر « نبتيون » يقدم الى مدينة البندقية - (وتمثلها حسناء رائعة الجمال) - عطايا

البحر . (وقد نشرت لك صورة هذه اللوحة فى صفحة ١٣ من العدد الماضى)

.. فاذا فرغت من تأمل لوحات هذه القـاعة مضيت الى القاعة التالية ، وبها لوحة تمثل اختطاف كبير الآلهة للحسناء « يوروبا » ابنة ملك فينيقيا ـ وهى الاسطورة التى تقرأها فى آخر هذا العدد ـ ثم لوحة أخرى تصـور « عودة يعقوب الى أرض كنعـان » .. وثالثة لالهـة الحكمة «منيرفا» تدفع عنهـا « مارس » الـه الحرب .. الخ

.. وتلى هـذه القاعة ثالثـة ، زين سـقفها ـ الـذى ترى صورة خلابة له مع هذا الكلام ـ باحدى عشرة لوحة خالدة مرسومة على قمـاش ، وكلها من صنع الرسـام « فيـرونيز » ،

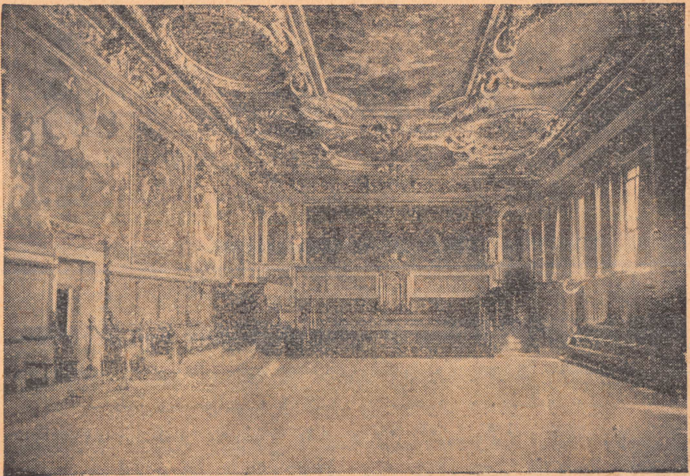


قطاع من سقف قاعة المداولة !

والسقف مزين فضلا عن ذلك بالرسوم المذهبة والنقوش المنحوتة التى تود لو قضيت ساعات تتأملها على مهل ‥ ومن عجب أن هذه القاعة كانت مخصصة لمداولة المستشارين ، فى حين أن سقفها - فى رأيى - يشتت ذهن أذكى المستشارين !

والآن تعال بنا ندخل القاعة التالية ، التى كانت مخصصة « لمجلس شيوخ » الجمهورية - وترى صورتها الى جانب هذه السطور - وهى بدورها تحفة نادرة المثال من تحف فنون الرسم والنحت والمعمار · وبها لوحة تخيل فيها الرسام « تنتوريتو » ثلاثة من حكام البندقية يسجدون اجلالا للمسيح ‥

وهذه القاعة تفضى بدورها الى قاعة « مجلس العشرة » ، التى كانت مقرا للسلطة القضائية فى فنيسيا ، وتزينها بدورها



قاعة « مجلس الشيوخ » فى فنيسيا القديمة

لوحات هائلة للرسام « فيرونيز » ، منها لوحة تمثل «فينوس»، وأخرى أطلق عليها « الشيخ والحسناء » ٠٠ **وفى القاعة التالية لهذه ، صندوق كان يطلق عليه «فم الاسد» ، وقد أعد خصيصا كى يلقى فيه من شاء بلاغات الاتهام الصادرة من « مجهول » ، متضمنة اتهام أحد الاشخاص بتهمة التآمر ضد سلامة الحاكم أو سلامة الدولة !٠٠** وتتفرع عن هذه « قاعة الرؤساء الثلاثة لمجلس العشرة » ٠٠ والى يسارها سلم تؤدى الى « صالة المحققين » ، وهى ذات طابع يذكر برهبة محاكم التفتيش ــ أو التعذيب ــ الاسبانية !٠٠ وثمة سلم أخرى تفضى بنا الى قاعات ثلاث للاسلحة ، وهى أشبه بمعرض لشتى أنواع الاسلحة والدروع والسترات الفولاذية التى كان يتحصن داخلها فرسان العصور الوسطى ضد طعنات رماح الاعداء ٠ ويبلغ عدد النماذج المعروضة من هذه الاسلحة ٢٢٠٠ نموذج ! ونظرة واحدة الى تلك الدروع الفولاذية تجعلك ترثى لحال أولئك الفرسان الذين كانت الحيطة تقتضيهم ارتداءها ، فهى من الثقل بحيث يصعب تصور أن يستطيع لابسها النهوض أو الحركة ، فضلا عن الكر والفر فوق ظهور الجياد فى ميدان القتال !

حزام العفة ٠٠ للزوجات !

◆ **ومن** أطرف المعروضات فى هذا الجناح ، « حزام العفة » ، الذى كان أولئك الفرسان يلبسونه لزوجاتهم قبيل سفراتهم الطويلة التى يقدرون أنهم لن يعودوا منها ــ اذا عادوا ــ قبل سنوات ، (كما فى الحروب الصليبية مثلا) ٠٠ **والحزام المذكور مصنوع بدوره من الفولاذ ، وقد روعى فى تصميمه أن يربط الجزء الافقى منه حول خصر الزوجة ، ويتدلى الجزء الرأسى منه على البطن الى ما بين الساقين ثم يصعد وراء الظهر الى حيث « يبرشم » طرفه الآخر فى الحزام الافقى ويقفل**

بمفتاح صغير .. وبذلك تحاذى فتحة الجزء الرأسى من الحزام موضع العفة عند الزوجة . وقد أحيطت فتحة الحزام المذكورة بعدة أشواك فولاذية حادة مدببة ، بحيث يستحيل على أى عاشق للزوجة أن يتصل بها منذ اللحظة التى يقفل فيها الزوج الحزام على خصرها ، الى اللحظة التى يعود فيها فيفتحه بمفتاحه الخاص .. غير القابل للتقليد !



لوحة رائعة تزين احدى قاعات قصر الدوج ، وهى تمثل « السلام » و « العدالة » — فى صورة حسناوين — يقدمان فروض الاجلال والتوقير الى مدينة فنيسيا — فى صورة حسناء ثالثة تربعت على عرشها ووطئت بقدميها « الكرة الارضية » !



لوحة بقصر الدوج ترمز الى «الصناعة» للرسام «فيرونيز»

ويطول بنا المقال لو واصلنا تعداد بقية أجنحة القصر ، وقاعات كل جناح ـ سواء منها ما كان مخصصا لادارة دفة الحكم وتوجيه سياسة الجمهورية ، وما خصص لسكنى الحاكم وأسرته ، وخدمه وحشمه ـ وحسبك أن تعلم أن زيارة جميع قاعات القصر ، التى تعد بالعشرات ، والوقوف عند كل لوحة من كنوز الفن التى تكسو جميع الجدران والسقوف فى كل قاعة ، من كل جناح من أجنحة القصر .. انما يكون أمرا يستغرق من الزائر عدة زيارات ، بل عدة أيام !.. لذلك أكتفي هنا بالاشارة الموجزة الى أهم قاعة من القاعات الباقية ، وهى « قاعة المجلس الاعلى » ، **التى تنفرد بأنها أكبر قاعة فى العالم لا تقوم على أعمدة اضافية فى وسطها .. فهى رغم اتساعها الهائل ـ طولا وعرضا ـ لا ترتكز على أى عمود سوى جدرانها الاربعة !.. وقد شهدت القاعة الكثير من الاحداث الهامة فى تاريخ المدينة السياسى والحربى ، كما شهدت عددا كبيرا من الحفلات الباذخة التى كان يحضرها « الدوج » وكبار رجال الدولة والحاشية ..**

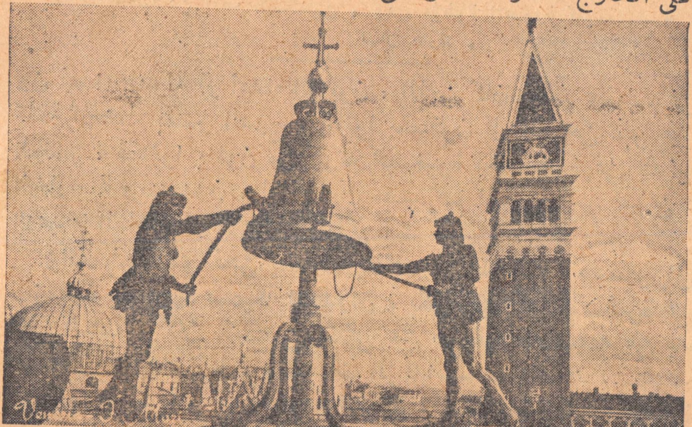
أما من ناحية الفن فتمتاز هذه القاعة بأن فيها أكبر لوحة من اللوحات المرسومة عرفها العالم ، وهى لوحة «الفردوس» للرسام « تنتوريتو » ، ويبلغ طولها ٢٥ مترا ، وعرضها ٨ أمتار ! ومع ذلك فقد استغرق الفنان فى رسمها عامين

فقط ، وهو زمن وجيز بالقياس الى ضخامة اللوحة وكثرة دقائقها وتفصيلاتها وتعقد ألوانها ..

وفى الجزء الاعلى من جدران القاعة آفريز طويل رسمت فى داخله صور ٧٢ حاكما من الحكام الذين تعاقبوا على المدينة .. كما حلى السقف الهائل للقاعة بخمس وثلاثين لوحة تمثل مشاهد تاريخية مستوحاة من الاحداث التى ألمت بالجمهورية فى مختلف عصورها ..

سجون العصور الوسطى !

◆ **فاذا** فرغنا من زيارة قصر الدوج ، اتجهنا صوب السجن الرهيب الملحق به !.. ويربط بين البنائين الجسر المعروف باسم « جسر التنهدات » ، وهو قنطرة مسقوفة ومستورة الجوانب ، فيما عدا كوة صغيرة يستطيع المار عليه أن يطل منها على الخارج .. وقد أطلق على الجسر هذا الاسم - كما أسلفنا -



فوق احد أجنحة ((قصر الدوج)) اقيم هذا الجرس الضخم الذى يتناوب دقه تمثالان لحارسين من المغاربة السود



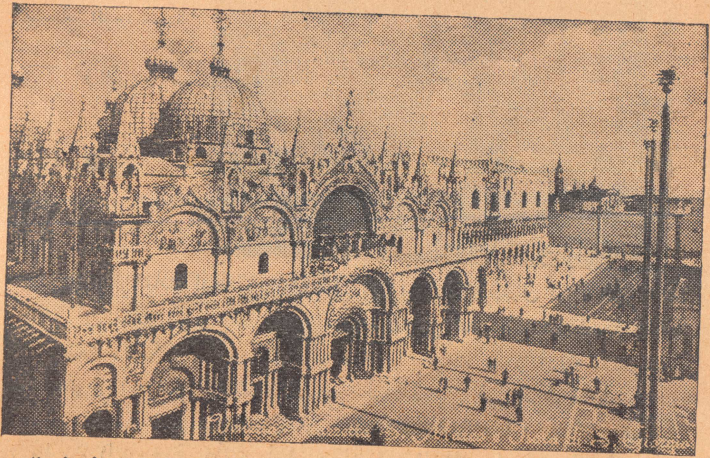
منظر عام لميدان سان مارك بالبندقية ، وقد انتشر على ارضه الحمام يلتقط الحب من أكف السائحين . وفى مؤخرة الصورة كنيسة سان مارك .

لان أعداء الدولة أو أعداء القانون ، الذين كان يحكم عليهم فى قاعة القضاء بقصر الدوج ، كانوا يساقون الى السجن عبر هذا الجسر ، فكانوا يلقون من كوته الصغيرة آخر نظرة على الدنيا الخارجية ويتنهدون ، لعلمهم أن مصيرهم المحتوم أحد أمرين : الاعدام العاجل أو الاعدام البطىء !

والسجن الذى نحن بصدده يتألف من طابقين ، مقسمين الى زنزانات متجاورة سميكة الجدران ، بكل منها كوة صغيرة فى أعلى الباب ، كان السجين يتلقى عن طريقها طعامه من يد السجان . وقد أزيلت محتويات الزنزانات - عند سقوط الجمهورية - بأمر من حكومة الثورة ، فيما عدا زنزانة واحدة تركت كما هى ، لتكون نموذجا « تذكاريا » للمعاملة السيئة التى كان يعامل بها السجناء فى تلك العصور . والزنزانة

المذكورة تحمل رقم ٧ ، وترى بها فراشا خشبيا قاسيا ، يقشعر البدن لمجرد تصور أن كائنا آدميا كان يقضى عشرات الاعوام يتقلب عليه ، وتئن ضلوعه من صلابته ، كما تئن روحه وسط الجدران الاربعة الضيقة المعتمة الرطبة التى لا يدخلها من الهواء أو الضياء غير نسمة رطبة أو بصيص ضئيل !

على انه الى جانب هذه الحقائق الصارمة ، توجد أقاويل كثيرة راجت خلال العصور الاخيرة ، ثم ثبت افتقارها الى الصحة ، ومنها ما ذكره بعض المؤرخين الاجانب ، عن وجود غرفة فى الطابق الاسفل من السجن كان بعض السجناء يقتلون فيها خنقا ، أو تقطع رؤوسهم !.. كما كان البعض الآخر يوضعون فى زنزانات منخفضة ، تغطيها مياه البحر عند حدوث المد ، فيموتون غرقا ، ثم تلقى جثثهم فى القناة الكبيرة أثناء الليل !.. فقد ثبت أن مياه المد مهما ارتفعت لا تبلغ



كنيسة سان مارك ، وخلفها جزء من قصر الدوج ، وامامه «الميدان الصغير»



زورقان من زوارق الجندول ، وقـد وقف على طرفهمـا ملاحاهما ينتظـران الركاب ! .. وفى مؤخرة الصـورة كنيسة القديسـة مريم

مستوى زنزانات الطابق الاسفل من السجن بحال من الاحوال.
ويبدو أن تلك الروايات التى تنوقلت فى هذا الصدد قد أساءت
الى سمعة الحكم القديم فى البندقية ، بحيث صار أدلاء السياحة
يتسقطون الفرص للاشتباك مع السائحين فى ثرثرة طويلة ،
ينفون بها ما علق بالاذهان من تلك الشائعات .. بل ويزيدون
عليها ان البندقية كانت أول دولة فى العالم بادرت الى الغـاء

الكثير من أساليب التعذيب فى السجون ، منذ سنة ١٦٦٠ ، أى قبل أن تلغيها أية دولة أخرى

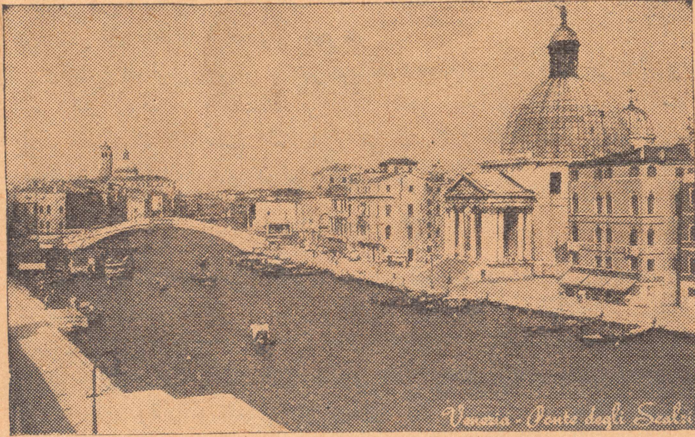
ولندع الدليل يثرثر « بمرافعاته » هذه ، بحماسة الايطاليين المعروفة ، ولننج بأنفسنا من هذا الجو الخانق الكئيب ، الذى يذكر بمأساة الراهب السجين فى قصة « الكسندر ديماس » الخالدة « الكونت دى مونت كريستو » !

ميدان سان مارك

◆ **فاذا** خرجنا من قصر الدوج وسجنه وجسره وتنهداته ، ثم سرنا خطوات الى اليمين ، ألفينا أنفسنا فى ذلك الميدان العجيب ذى الشهرة العالمية : ميدان سان ماركو (أو سان مارك بالفرنسية ، أو القديس مرقص بالعربية) وهو أشد مراكز المدينة ازدحاما ، لا سيما بالسائحين . **والمنظر التقليدى الخالد الذى يقترن به فى ذهن كل من رآه ، هو**



عشرات من زوارق الجندول قد خرجت تقل جموع المتنزهين من السائحين وأهل المدينة ، فى أحد مهرجاناتها القومية

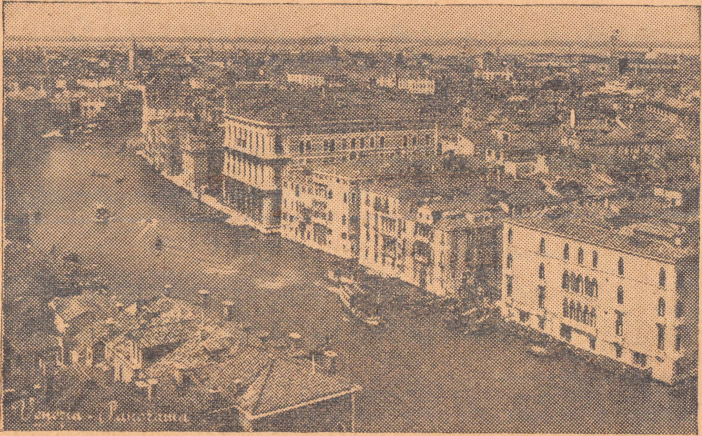


قنطرة ((سكالزى)) ، احدى القناطر التى تربط بين ضفاف الجزر
العديدة التى تتألف منها مدينة البندقية

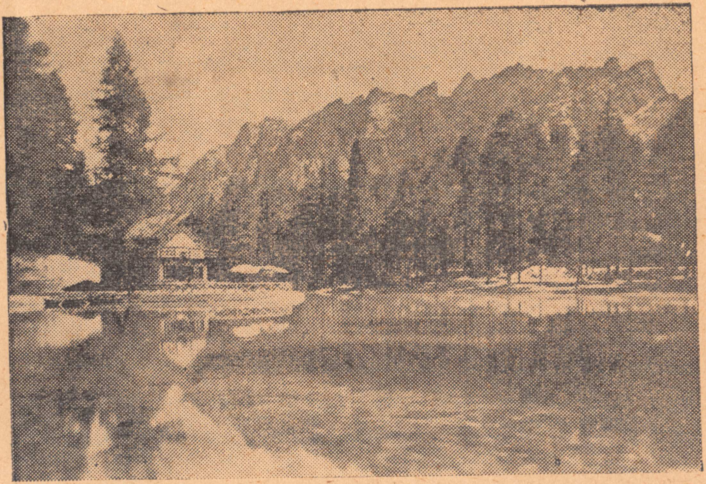
منظر تلك الاسراب من الحمائم اللطيفة الوادعة التى لا تنقطع عن الهبوط على أرضه طيلة النهار - وخاصة ساعة الضحى والظهيرة - فيستقبلها مئات السائحين بالحبوب على أكفهم ورؤوسهم ، كى يحط الحمام عليها ليأكل طعامه المفضل ، واذ ذاك يلتقط صديق أو مصور مأجور صورة تذكارية للرجل - أو المرأة - وعلى كفه أو رأسه حمامة أليفة تلتقط حبة أذرة أو فول!

ويحيط بميدان سان مارك من ثلاث جهات صف من الابنية المتلاصقة ذات الطراز الواحد والارتفاع الواحد ، والبواكى العريضة التى تستخدم كرصيف للمارة ، ويحف بها على طول المسافة عشرات الحوانيت والمتاجر التى تبيع الكثير من بضائع البندقية التقليدية ، مثل أوانى الزهر الزجاجية وكافة التحف والادوات التى تصنع من زجاج . وهذه الصناعة تكاد تكون أشهر صناعات المدينة ، وقد زرت أكبر مصنع اختص فيها ،

وهو يطل على القناة الكبيرة ، وكم كانت دهشتى - وزهوى - حين وجدته مصنعا ضئيلا ، بل حقيرا ، اذا قيس بمصانع الزجاج الضخمة التى رأيتها فى القاهرة • لكننى لم أكد أنفذ من حجرة الافران الصغيرة المتواضعة ، الى صالة المعروضات ، حتى أدركت الفارق ، بيننا وبينهم •• فنحن نعتز بضخامة الانتاج وطاقة المصنع العددية ، وهم يعتزون بدقة الانتاج وطاقة المصنع الفنية •• **فأنت ترى فى ذلك المعرض نماذج دقيقة الصنع رائعة التلوين لكل ما يخطر ببالك من التحف والتماثيل الصغيرة التى تصلح لتزيين الصالونات وغرف المائدة ، بل وغرف المكتب • وهذه التحف تباع بأسعار « خيالية » من فرط غلوها ! أسعار قد تناسب جمال التحفة والاثر الذى تحدثه فى تزيين المكان الذى توضع فيه ، لكنها لا تناسب بحال نفقات صنع التحفة من حيث المادة الخام واليد**



منظر عام لمدينة البندقية ، تشقها قناة من مئات القنوات التى تتخللها



بحيرة (جدينا) القريبة من مصيف (كورتينا) الجبلى ، ويبلغ ارتفاع البحيرة ١٤٤٩ عن مسطح البحر . ويرى فى مؤخرة الصورة مطعم شاعرى يشرف على البحيرة

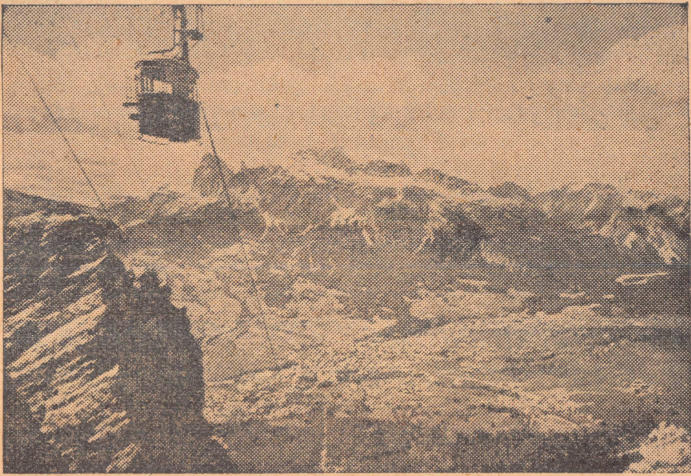
العاملة .. الخ .. الا اذا أدخلنا صناع تلك التحف فى كادر « الفنانين » ذوى الاجور الباهظة !

تحت « البواكى » فى أمسيات الصيف

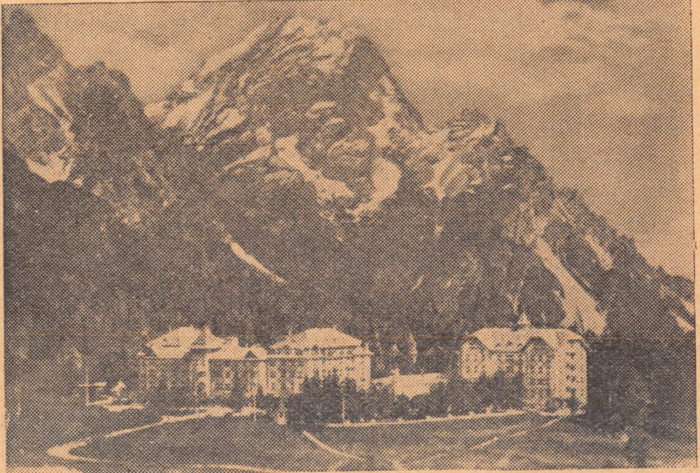
◆ **ولنعد** الى الحوانيت التى تزدحم بها بواكى ميدان سان مارك . انك تجد فيها الى جانب التحف الزجاجية صناعات أخرى تقليدية اشتهرت بها فنيسيا ، منها صناعة الاشغال اليدوية لملابس السيدات وأطقم المائدة ومفارش المناضد ، وتنسج كلها ببراعة وفن غاية فى الجمال .. ومنها تحف « المينياتير » التى تزين بها جدران الصالونات .. ومنها

صناعات الجلود المزركشة التى تصنع منها محافظ النقود وعلب السجاير والبودرة ٠٠ الخ

والى جانب الحوانيت المتراصة فى أسفل تلك البواكى ، ترى عددا من المقاهى اللطيفة التى تزدحم فى أمسيات الصيف بالجالسين ، وتعزف فيها الفرق الموسيقية أعذب الانغام ٠٠ ولعلك تذكر ما حدثتك به فى العدد الماضى عن فرقة موسيقى البلدية التى تعزف للجماهير – فى هذا الميدان – أروع مقطوعات الموسيقى الكلاسيكية والسيمفونيات ، مجانا ، مرتين فى الاسبوع ، فيتحول الميدان ساعتئذ الى كتل بشرية متراصة ، لا تتعب من الوقوف صامتة بلا حراك ، ، ساعة أو ساعتين ، تصغى الى ألحان الخالدين ٠٠



المصعد الطائر ينقل زائرى (كورتينا) بين قمة (فالوريا) التى يبلغ ارتفاعها ٢١٢٠ مترا ، وقمة (توفان) التى يصل ارتفاعها الى ٣٢٤٣ مترا !



فندق راقد فى احضان الجبل بمصيف (كورتينا) ، ويرتفع الفندق ١٢٢٤ مترا عن سطح البحر ، وفى المؤخرة قمة (انتيلاو) التى يبلغ ارتفاعها ٣٢٦٣ مترا !

وفى ركن من الميدان يقوم البرج الشاهق « الكامبانيل » ، ويبلغ ارتفاعه ٩٩ مترا ، ينقلك المصعد الى قمته فتشرف منه على أجمل منظر لمدينة فنيسيا بأسرها . ومن عجيب ما حدث لهذا البرج انه انهار فجأة بأكمله ، دون سبب أو مقدمات ، يوم ١٤ يوليو سنة ١٩٠٢ .. فما كان من مجلس المدينة البلدى الا ان اجتمع فى مساء اليوم ذاته وقرر اعادة بناء البرج ، « كما هو ، وحيث هو » !

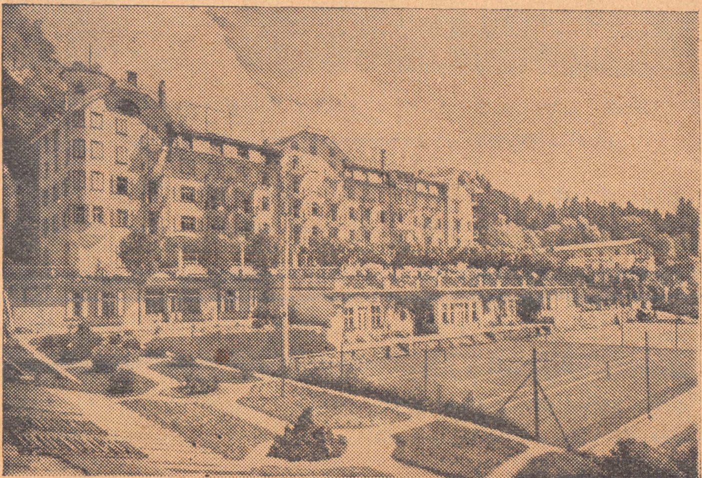
وقد كان ..

نزهة ليلية .. فى «الموتوسكاف»

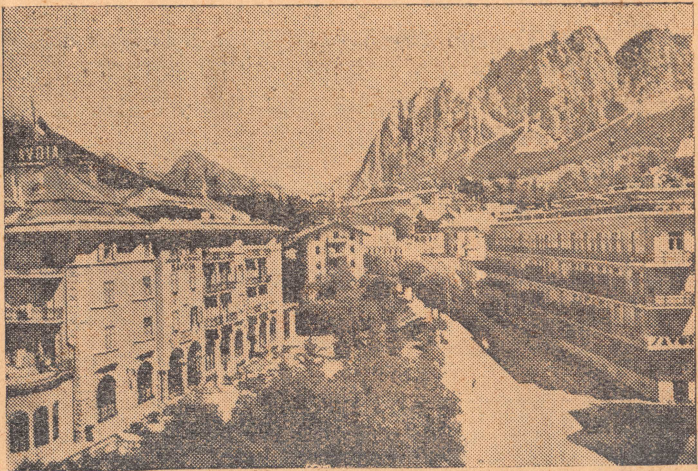
والضلع الرابع للأبنية الثلاثية التى تحيط بميدان سان

مارك هو أهم معالم الميدان ، بل من أهم معالم المدينة كلها ٠٠ هو كنيسة سان مارك ، التى شيدت خلال أعوام (٨٢٩ – ٨٣٢) وهى من أجمل آيات الفن اليزنطى ، وأغناها بأحجار الموزايكو والمرمر النادرة ، ولها خمس قباب شرقية المنظر ٠ ولعل من العبث ان أحاول تفصيل المعالم الفنية لهذه الكاتدرائية فى هذا المجال الضيق ، لذلك أكتفى باعطائك فكرة عن منظرها الخارجى ، بالصورتين اللتين تراهما فى مكان آخر من هذا المقال ٠٠

وقبل ان نغادر المدينة العائمة ، تعال نستقل مرة أخيرة سفينتها البخارية «الموتوسكاف» ، وهى بمثابة مترو المدينة الرئيسى الذى ينقل الركاب بانتظام ، كل بضع دقائق ، من أقصى



فندق آخر فاخر من فنادق كورتينا ، وبه ملاعب رياضية وحدائق غناء وشرفات فسيحة



رغم صغر مصيف (كورتينا) الجبلى ، نسبيا ، فانه يحتشد بالفنادق الفاخرة التى أعدت لاستقبال السائحين من كافة أقطار الارض

أطرافها الى أقصاها ، عبر القناة الكبيرة ٠٠ وهى فى ذاتها نزهة من أجمل ما تتيحه لك عروس الادرياتيك ، ولا سيما فى ليالى الصيف ، اذ ينطلق بك الموتوسـكاف فوق مياه القناة العريضة التى تترامى عليها من الضفاف البعيدة أضواء المبانى والمقاهى والفنادق ، ويتراقص بين طيات أمواجها ضوء أحمر شاحب متهالك من أحد الفنارات الصغيرة المتناثرة بين ضفتى القناة لارشاد السفن ٠٠ والتى يخيل اليك وانت تتأملها كأنها تتوامض مع نجوم السماء ، وتتبادل معها حديثا شائقا لا يفهمه البشر ! ٠٠

هذا اذا كانت السماء صافية ، مشرقة النجـوم ٠٠ أما اذا فوجئت وأنت في فينسيا ـ في أغسطس ـ بانقلاب شـامل

فى الطقس : فاذا المطر ينهمر ، والجو يتلبد ، والصيف ينقلب شتاء ، ويضطرك الى ارتداء المعطف كلما خرجت ٠٠ فعندئذ سوف تفتقد النجوم الضاحكة ، والاضواء المتلامحة ، والنسمات الناعمة ، والحديث الشائق الغامض ، بين مصابيح الارض ومصابيح السماء ٠٠ فلا تجد من ذلك كله شيئا ، وانما تجد تجد نفسك فى ليلتك الاخيرة بمدينة القنوات قد فررت من الصقيع اللاذع في شرفة السفينة ، لتتدثر فى صالونها المغلق ، وسط سحب الانفاس ٠٠ والدخان ٠٠ وخيبة الامل !

فى الطريق الجبلى الى الشمال

◆ **وفى** الصباح الباكر كنت قد احتللت مقعدى فى سيارة الاوتوكار الصاعدة الى الشمال ٠٠ ودرجت السيارة بركابها الثلاثين تنهب الطريق نهبا فوق الارض المستوية ، الناعمة كالحرير ٠٠ ثم بدأت تتلوى ، كالثعبان ، صاعدة فى رفق طريقا جبليا ممهدا ، تحف به الغابات حينا ٠٠ ويحاذيه الشريط الحديدى آنا ، ليفترق عنه ، ويبعد فى الفراق ، آنا آخر !٠٠ وكان الصباح جميلا معتدل الهواء ، أقرب الى طقس الخريف ٠٠ ونسيم البكور يحمل أريج الغابات المتناثرة على سفوح الجبال ٠٠ وفى بطن الوادى الذى خلفناه وارتفعنا فوقه ـ كما لو كنا قد صعدنا طابقا ثانيا من مبنى حلزونى ! ـ كان الماء المنبثق من قلب الصخور قد التأم شمله فتجمع وصنع جدولا رائقا شفافا ، لا يعكره طمي ولا أتربة ولا رمال ، وانما تدغدغه الحصباء الراقدة تحت الماء ٠٠

وانقضت ساعات ، والاوتوكار ماض فى طريقه المتلوى يتسلق هضبة بعد هضبة ، وبطن الوادى يزداد عمقا وتضاؤلا ٠٠ والبحيرات تلوح متلألئة تحت ضوء الضحى ٠٠ والصمت مطبق على الشفاه ، من فرط ما انسرحت الخواطر الى تأمل

هذا السحر الحلال الذى جادت به الطبيعة على رواد الجبال ·· فأينما أدرت وجهكَ ، انطرح منك البصر على خضرة كاسية شاملة ، لا يبين تحتها صخر ولا جبل ·· ترتفع فوق رأسك الى ألف متر ، وتغيب تحت بصرك الى هوة لا يبدو لها قرار !

وفجأة ، وبينما أنت فوق شريان يتعرج بك بين قمم الجبال ، ويطل على الهاوية السحيقة ، تتلفت فاذا الشريان قد أفضى بك ـ بعد ثوان ، ومن حيث لا تدرى ـ الى بطن الوادى ، الى حقل مستو كبساط واحد لا تتخلله ارتفاعات ولا انخفاضات !

وكلما مرت السيارة بقرية من قرى الجبال ، خيل اليك كأنك انتقلت فجأة الى شارع من شوارع العاصمة : حوانيت مجلوة : وواجهات براقة ، وحانات عامرة ، ومقاه تتلألأ ، وفتيات ضاحكات طروبات يصطففن أمام الابواب المشرفة على الطريق ليستقبلن السيارة ويودعنها بالتحيات والقبلات !

وفى احدى هذه المرات ، لم تكن قرية التى أشرف عليها الاوتوكار ، وانما كانت طلائع المصيف الجبلى الساحر : كورتينا !

وفى العدد القادم نواصل الرحلة معا الى التيرول النمسوى

« مطبوعات كتابى »

عزيزى القارىء :

يسرنى أن أخبرك بأننى قد أعددت لك عددا طريفا من مطبوعات كتابى ، لن ألبث أن أقدمه اليك قريبا .. باذن الله

وبهذه المناسبة ، أود أن أتحدث اليك بصدد هذه « المطبوعات » .. فان الخطابات الكثيرة التى أتلقاها منك بشأنها ، اضطرتني الى أن أدرس موضوع هذه الشقيقة لكتابى ، من زاوية جديدة ..

وأنت تعرف أن « مطبوعات كتابى » صدرت لتحمل اليك روائع الأدب العالمى - قديمه وحديثه - فى ترجمة دقيقة ، أمينة ، لا اختصار فيها ولا تصرف أكثر مما تقتضيه الترجمة الصحيحة ، بحيث تلمس بين السطور أسلوب الكاتب الأصلى وطريقته فى التفكير وفى التعبير ..

وقد قدمت لك من قبل على صفحاتها : « ذات الثوب الابيض » ، و « قصة مدينتين » و « الخالدون » و « الخاطئة » .. وقد أعددت لك مجموعة طيبة من أقوى الكتب والروايات ..

وازاء ما يتردد فى بعض الخطابات رأيت أن أنتهز هذه المناسبة لأتعرف الى رأيك فى الموضوع الهام الذى أثاره بعض القراء ..

ذلك اننى تلقيت من كثيرين رسائل يقترحون فيها أن أنشر لك فى « مطبوعات كتابى » بعض الكتب الهامة ، والقوية ، التى قدمتها لك فى «كتابى» ملخصة فى أعداد سابقة ، فراقت لهم وأعجبتهم الى درجة جعلتهم يتوقون الى أن يقرأوها بنصها الكامل ..

والفكرة لا بأس بها ، وقد يكون لها صدى لديك ٠٠ بل انها جالت بخاطرى من قبل فى أكثر من مناسبة ، ولكننى ترددت ٠٠ لا لشىء الا لأننى وقد قدمت اليك تلك الكتب ملخصة فى « كتابى » ، أردت أن أفرد « مطبوعات كتابى » لكتب أخرى لم يسبق أن قدمتها لك ، وبذلك تجمع بين الفريقين ٠٠ الفريق الملخص والفريق الكامل ٠٠

أما وقد أثارها بعض القراء ، فقد رأيت أن أعرض الامر عليك ، وأن أستشيرك فى النواحى التالية :

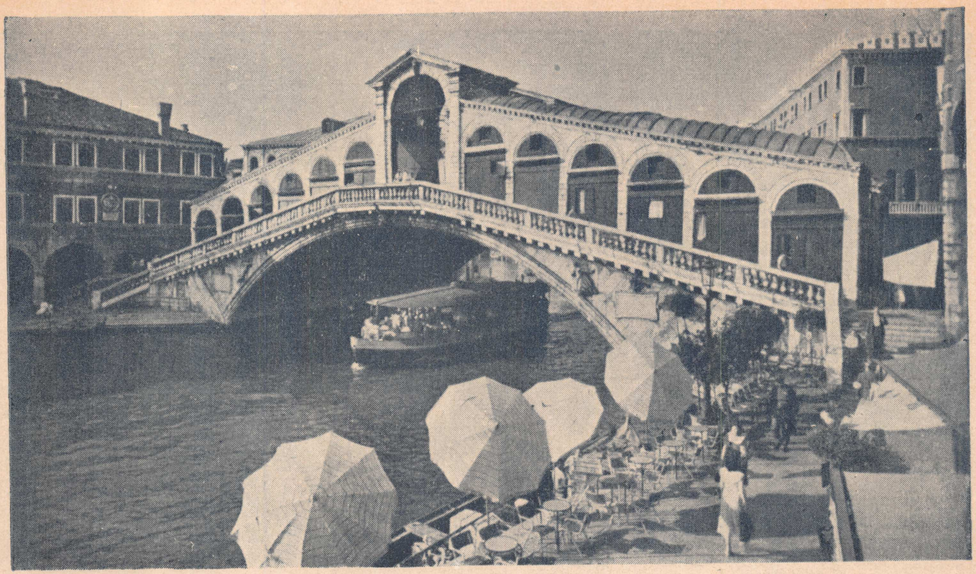
◆ هل تحب أن أقدم لك ترجمة الاصل الكامل لبعض الشوامخ التى سبق أن قدمتها لك ملخصة فى أعداد « كتابى » ؟

◆ واذا كان الامر كذلك ، فأى تلك الكتب تحب أن أقدم لك الترجمة الكاملة لها ؟

ان من حقك أن تقترح على السياسة التى تروق لك ، لأنك الذى تقرأ ٠٠ ولان هذه الكتب انما تصدر من أجلك ، فأنت صاحب الكلمة فيها ٠٠

ولسوف يسعدنى أن أسمع رأيك وكل ما يعن لك من اقتراحات فى هذا الصدد

المحرر



قنطرة « ريالتو » المشهورة بمدينة البندقية (فنيسيا) ٠٠ وترى احدى ناقلات الركاب البخارية
تذرع « القناة الكبيرة » بين البندقية وضاحيتها الخلابة « الليدو »



على ارتفاع ١٢٢٤ مترا ، يقع مصيف (كورتينا) الجبلى الساحر ، فى
أقصى شمال ايطاليا (قبيل الحـدود النمسوية)



قصة مصرية

بقلم الدكتور حسين مؤنس

باب اللوق

قلت له وأنا أتصفح الدفتر الجميل التجليد الذى قدمه الى : « أهذا كل ما سجلته من ذكريات فى حياتك » ؟!

قال : « هذا هو كل ما جرؤت على تسجيله ! »

فعدت الى الدفتر الجميل أقلب النظر فى أوراقه البيضاء ، وأنتهى عند هذه الصفحة الاولى ، وفيها سطران : « **اليوم عيد ميلادى الرابع عشر ٠٠ كل ما أتمناه من الله هو أن أصبح طبيبا وأتزوج نادية ٠٠ وأهيىء لها كل ما تتمناه !** »

قلت : « وهل تزوجتها » ٠٠؟!

فلم يجب ٠٠ وانما اتجه نحو الشرفة وأطل منها على ميدان باب الخلق ، وأخذ يتأمل حركة الناس والعجلات فيه ٠٠ وخرجت اليه ، وأرسلت بصرى فى هذا الميدان الغنى الفقير : تقوم فى زاوية منه دار الكتب ، تضم ذخرا من الكتب لا يقدر بثمن ٠٠ وتقوم فى زاوية أخرى دور متهالكة ، تكاد تسقط من الاعياء والقدم

وعاد الى الحجرة وعدت معه ، وأغلق باب الشرفة ليبعد الضوضاء ٠٠ وجلس على كرسى وثير ، وجلست الى جانبه ، وسادنا صمت لم نعد نسمع خلاله الا دقات ساعة الحائط ٠ كانت الساعة تقارب التاسعة ، وكان الاعياء ظاهرا على ملامح صديقى بعد يوم حافل بالعمل بين منازل مرضاه وعيادته ٠٠ وكنت قد ذهبت اليه هذه الليلة لنسمر بعض الوقت فى الليل ٠٠ وكان لدينا من الاحاديث ما يملأ ليالى بأسرها ٠٠ لاننا كنا زميلين منذ الصبا : جمعتنا حجرات الدراسة وملاعب الصبوة ، ثم فرقتنا الايام فذهب كل منا فى طريقه ٠٠ ولم نلتق الا بعد سنوات ، أصبح هو فى أثنائها طبيبا ٠٠

وأشعل سيجارته ومضى يحكى

*

ـ أتذكر نادية ٠٠؟

ـ أية نادية ؟٠٠ فى حياتك أكثر من نادية على ما أظن ٠٠

ـ بل واحدة ٠٠ أنت تسخر منى على عهدك !

ـ كيف ؟ لقد حقق الله أمنيتك الاولى وأصبحت طبيبا ٠٠ وما أظنه الا حقق لك الثانية !

ـ بلى ! وتلك هى مأساة حياتى! كانت نادية تسكن حلوان، فى منزل متواضع هو أقرب الى الدوار القديم منه الى الفيللا ، وكانت تأتي كل يوم الى المدرسة فى القاهرة ، وكنت أعرفها معرفة رؤية ٠٠ كما كان أى شاب مصرى يعرف أية فتاة مصرية منذ عشر سنوات ٠٠ وكانت هى صديقة لأختى فى المدرسة ، وقد زارتنا مرارا ٠٠ ولا أستطيع أن أصف لك هيامى بها فى هذه السن ٠٠ كنت أذهب كل يوم الى محطة حلوان وأظل أرقبها حتى تصل ، فأتأملها من بعيد وأتبعها الى المدرسة دون أن ترانى !

ـ بدأت أذكر الآن ٠٠ لقد حدثتنى عن ذلك منذ سنوات ٠٠

ـ وظل ذلك سنوات حتى أعاننى الله وتخرجت فى كلية الطب ٠٠ وافتتحت عيادتى هنا فى باب الخلق على مقربة من دارنا القديمة فى درب سعادة ٠٠ وسارت أمورى سيرا حسنا ٠٠ بل حسنا جدا ٠٠ وفاض المال بين يدى فيضا ٠٠ ثم تحدثت الى أختى فى أمر زواجى من نادية ٠٠ فقبلت نادية تحت شرط واحد : أن نترك درب سعادة وباب الخلق ٠٠

ورفضت والدتى ٠٠ كانت قد قضت حياتها فى هذا المنزل الواسع العزيز ٠٠ وكان يعز عليها أن تهجره وقد قاربت حياتها النهاية ٠٠ ثم اننى لم أكن أستطيع أن أترك عيادتى فى باب الخلق ، وفيها عملائى ومرضاى ٠٠ وفيها مورد رزقى

واستطعنا بعد لأى أن نذلل هذه العقبة ٠٠ ووافقت نادية

على الزواج اذا انتقلت الى منزل حديث هنا ٠٠ فى شارع حسن الاكبر ٠٠ وقد كنت أنا الذى اقترحت ذلك لأظل على مقربة من والدتى التى لم تكن تستطيع مغادرة غرفتها الا فى مشقة٠٠

وتزوجت نادية بعد أن كلفتنى من النفقات ما لا تصدقه اذا ذكرته لك ٠٠ كأنها أميرة من أميرات الاساطير ٠٠ ولكننى كنت سعيدا ٠٠

*

◆ **شعرت** منذ الأسبوع الأول انها لا تحبنى . كانت تحب المال الوفير الذى أغدقه عليها بغير حساب ٠٠ ولم تكن أسرتها بالغنية ، وانما كانت أسرة قديمه ذات مظهر خادع ٠٠ كانوا يعيشون من ايراد وقف متواضع ، ولكنها كانت تحشر نفسها فى الارستقراطية حشرا ٠٠ وكانت تحسب نفسها محظية لا زوجة ٠٠ كل همها أو تسرف فى الاناقة وتسرف فى المظاهر ٠٠

كانت لا تمس فى البيت شيئا ٠٠ بل كانت لا تطيق البقاء فيه ٠٠ تقضىَ ساعات الصباح فى غرفة نومها ٠٠ فاذا أقبل بعد الظهر لبست ثيابها وتأنقت وذهبت تؤدى زيارات طويلة ٠٠

وأنا فى أثناء ذلك أعمل كأننى أجير : أذهب الى العيادة فى الثامنة صباحا ٠٠ وأظل واقفا على قدمى حتى الظهر ٠٠ لا يخرج مريض الا دخل مريض ٠٠ وأعود فى الظهر لأجد هذه المحظية تتمطى فى فراشها ٠٠ وأجلس معها الى المائدة ، فلا تكف عن السخرية منى ومن مرضاى ومن عيادتى !

وكانت المناقشة الحادة تثور بيننا لأتفه الاسباب ٠٠ ولم أوفق خلال سنتين كاملتين الى أن أغير من خلقها شيئا ٠٠ كانت لا تتحدث الا عن زميلاتها ساكنات الزمالك وجاردن سيتى ٠٠ وكانت لا تنفك تعيرنى بأزواج زميلاتها : الدكتور نظمى والدكتور شوكت والاستاذ عصام ٠٠ ولا تخجل أن

تقول لى أنهم أحسن منى : انهم من أسر ٠٠ نشأت فى أكف العز ومهاد النبل !

وتتركنى أكاد أحترق من الغيظ ٠٠ وكنت ـ رغم ذلك ـ أحبهـــا !

◆ **وكانت** الاعمال تسير أثناء ذلك من حسن الى أحســن بفضل « نفيسة » ٠٠

لا أزال أذكر أول يوم رأيتها فيه ٠٠ كانت اذ ذاك فتاة صغيرة باهتة اللون أتتنى بها أمها لكى أعالجها من انيمياكانت تشكو منها ٠٠ كانت من سكان الدرب الاحمر لا يعدو تعليمها مرحلة القراءة والكتابة ، ولكن عينيها كانتا تفيضان ذكاء ٠٠

عالجتها ٠٠ وما أسرع ما ارتدت اليها عافيتها وتــوردت وجنتاها

وتصادف أن كان الممرض الذى يعمل عندى قد ترك العمل فجأة ٠٠ وكنت فى حاجة الى مساعد ٠٠

ولا أدرى ما الذى دفعنى الى أن أعرض على أمها أن تدعها تعمل عندى ! كنت بحاجة الى من يساعدنى ولم يكن أمامى غيرها فى ذلك اليوم ٠ ووافقت أمها بعد تمنع طويل ٠٠

وأصبحت هذه الفتاة فى بضعة شهور ممرضة من الطراز الاول ٠٠ ولست أستطيع أن أحدثك عن تفانيها فى العمل ٠٠ كانت تعمل خمس عشرة ساعة فى اليوم ! وحملت عنى معظم العبء : كانت تقوم بالعمل هنا ٠٠ ثم تطوف بمرضـــاى فى البيوت حتى العاشرة مساء ٠٠

✠

◆ **واستمرت** نادية تزيد حياتى شقاء ٠٠

لم أدخر وسعا فى ارضائها ٠٠ بل اشتريت لها سيارة حتى أحظى بعطفها ، ولكنها لم تكن لترضى أبدا

وفي سبيلها نقلت سكني الي مصر الجديدة ٠٠ وتحملت



متاعب الانتقال كل يوم لكى أسعدها ٠٠ وأخذت تلح على فى ترك عيادة باب الخلق والانتقال الى أحد الشوارع الكبرى لكى أصبح مثل أزواج صديقاتها ٠٠ ورضخت لارادتها أخيرا ٠٠ وانتقلت الى عيادة فى شارع سليمان « باشا » ٠٠

وكانت نادية تمر على فى العيادة كل يوم ٠٠ لا لكى ترانى ٠٠ بل لان العيادة كانت « محطة » مريحة فى وسط البلد تلتقى فيها بصديقاتها وتستريح فيها اذا تعبت من اللف فى محلات الازياء ٠٠

لم ترض نفيسة عن استعمال العيادة ملتقى لصديقات زوجتى ٠٠ وكانت نادية لا تكف عن الكلام فى التليفون ٠٠ وكانت نفيسة فى حاجة اليه لشؤون العيادة ٠٠ وهنا بدأت الخصومة بين زوجتى وبين نفيسة ، وأخيرا أصرت زوجتى على طردها ٠٠!

واستغنيت عنها مرغما ٠٠ أنا قليل الخير !

وكانت أعمال العيادة الجديدة تسير من سىء الى أسوأ ٠٠ لم يعد مرضاى من سكان باب الخلق وما يتصل به من الاحياء يترددون على عيادتى ٠٠ انهم أناس متواضعون يدفعون فى الكشف عشرة قروش ٠٠ فكيف تريد منهم أن يدفعوا ضعف هذا المبلغ ؟٠٠ وكيف تريد منهم أن ينتقلوا الى عيادتى الفخمة الجديدة فى شارع سليمان ؟! ولم أستطع الحصول على عملاء جدد ٠٠

وهبط ايراد العيادة ، واختلت ميزانيتي ، وعجزت عن أن

أقوم بنفقات زوجتى ، وبدأت أستدين ٠٠ وأخذت نادية تعيرنى بفشلى وهى المسئولة عنه !

أصبحت حياتى لا تطاق : شقاء فى المنزل وافلاس فى العيادة ! وانتهينا الى الانفصال ٠٠ انفصلنا دون طلاق ٠٠ فقد كنت ما أزال أحبها !

*

◆ **وساءت** حال أعمالى حتى كدت أعجز عن القيام بنفقات أهلى ، وقل عملائى حتى لم أكن لأستقبل فى اليوم أكثر من واحد ٠٠ رغم الانتظار فى العيادة ساعات ٠٠

ووصلتنى « فاتورة » من « عزيز » بائع الجواهر يطالبنى بأربعمائة جنيه ثمن حلى أخذتها نادية على الحساب خلال الشهرين السابقين لانفصالنا ٠٠ وكنت قبل ذلك قد أذنت له فى أن يعطيها ما تشاء على الحساب

وتوقفت عن الدفع ٠٠

وخطر ببالى أن أذهب الى نادية فى حلوان أسترضيها وأطلب اليها أن تعيرنى بعض الحلى التى اشتريتها لها لكى أسد بها أفواه الدائنين

وذهبت ٠٠ ورجوتها ٠٠ فرفضت !

وتعهدت لها كتابة أن أعيد اليها كل قطعة منها فيما بعد حينما تتحسن الاحوال ٠٠ فسخرت منى وقالت :

ـ وهل تظنها ستتحسن ؟

ثم قالت : « ولم لا تبيع هذا البيت المتهدم فى درب سعادة ؟ »

ـ انه منزل الاسرة يا نادية ٠٠ تعيش فيه أمى وأختى حكمت وأولادها ٠

ـ تريد أن تبيع جواهرى لتنفق على أهلك !

لم أستطع أن أكبح جماح نفسى ! لقد جرحت كرامتى جرحا لا أزال أحس ألمه الى اليوم !

لم يكن لديها مجرد الملابس يوم تزوجتها ‥ فلبست ملابس الاميرات بمالى ، ثم تقول اليوم انني أريد أن أنفق « مالها » على أهلى !

لم أملك نفسى ‥ فطلقتها ‥!

*

◆ **وحجز** على الدائنون ‥

وبيع أثاث عيادتى ومنزلى فى مصر الجديدة

وعدت الى درب سعادة خالى الوفاض كما خرجت منه !

ولبثت أياما أفكر ‥ وتردد فى ذهنى خاطر الانتحار ‥ ثم خطر على بالى فجأة ـ لا أدرى كيف ـ أن أذهب لأرى نفيسة ! كنت أعرف منزلها العتيق فى أحد أزقة الدرب الاحمر ‥ فذهبت اليها ، ولا تسلنى كيف وجدتها ‥

لم تستطع المسكينة أن تعمل عند أى طبيب آخر، لان زوجتى نادية كانت قد أساءت الى سمعتها عند الاطباء أجمعين ، فقنعت بالعيش المتواضع من عملها كممرضة خاصة تتردد على بيوت الناس، للقيام ببعض المساعدات الطبية البسيطة ‥



قصصت عليها بقية ما جرى بينى وبين نادية ‥ وبكت بكاء طويلا ‥

ثم نظرت الى لحظة وقالت :

ـ تفتح العيادة من جديد يا دكتور ؟

ـ من أين يا نفيسة ٠٠ أنا رجل غارق فى الدين ٠٠ لا بد أن أبيع جزءا من الدار الكبيرة فى درب سعادة

ـ لن تبيع شيئا يا دكتور ٠٠ لقد بعت ما فيه الكفاية ٠٠

ثم نهضت فأحضرت صندوقا ووضعته أمامى وقالت :

ـ فى هذا الصندوق ثمانون جنيها ٠٠ خذها يا دكتور

ـ نفيسة ٠٠!

ـ انها من فضل خيرك يا دكتور ٠٠ ادخرتها أثناء عملى معك ٠٠ خذها لتأثيث العيادة ٠٠

ـ أية عيادة ٠٠؟

ـ هناك فى باب الخلق ٠٠ هناك شقة لطيفة هى أصلح ما تكون لك ٠٠ ما أغرب المقادير ٠٠! ما مررت بها الا فكرت فيك وتمنيت أن تكون أنت فيها ٠٠ ان الناس فى الحى كله ما زالوا يذكرونك ٠٠ أنت طبيبهم العزيز ٠٠

وافتتحت العيادة ٠٠ وهى هذه التى نحن فيها الآن ٠٠

وسارت أمورى صعدا ٠٠ وعادت الايام الحلوة ٠٠ بفضل نفيسة ٠٠

*

◆ **قلت** : ولكننى لم أرها اليوم ٠٠ أعندك ممرضة غيرها؟

وفتح فمه ليجيب ٠٠ ولكن جرس التليفون قطع الحديث ٠٠ وسمعته يقول : « لا تقلقى يا عزيزتى ٠٠ نحن فى الطريق اليك ! »

وعاد الى يقول :

ـ لقد شغلنا الحديث فتأخرنا عن العشاء ٠٠ انها تنتظرنا

ـ من هى ٠٠؟

ـ نفيسة يا صديقى ٠٠ لقد تزوجتها منذ شهر واحد ٠٠ انها تعرفك من كثرة ما حدثتها عنك ٠٠ انها تنتظرنا على المائدة منذ ساعة ٠٠ هيا !

الحياة قصة



روائع القصص العالمي

عزيزى القارىء ...

قرأت معى فى الاعداد الماضية قصص :

- اموك : لستيفان زفايج
- مرتفعات وذرنج : اميلى برونتى
- قلب عذراء : جون جالزورثى
- التلميذ : بول بورجيه
- أحدب نوتردام : فيكتور هوجو
- جريمة حب : بول بورجيه
- جين اير : شارلوت برونتى
- أيام بومباى الاخيرة : ليتون
- مانون ليسكو : الاب بريفو
- حديقة الله : روبرت هتشنز
- آسيا : ايفان تورجنيف
- كاس تمبرلين : سنكلير لويس
- الشيطان على الارض : رسل
- رسالة من مجهولة : زفايج
- تاييس : اناتول فرانس
- بلاد العميان : هـ.ج. ويلز
- نادى الانتحار : ستيفنسون
- كوخ العم توم : ستو
- البوهيمية : هنرى موجيه
- فتاة لها ماض : بورجيه
- شيرى : كوليت
- الجريمة والعقاب : دستويفسكى
- لحن كرويتزر : تولستوى
- أميرة مصر : جورج ايبرز
- الامطار : سومرست موم
- أفروديت : بييرلويس
- جيجى : كوليت
- الشيطان فى الجسد : راديجيه

واليوم أقدم لك هذه القصة الفذة لستيفان زفايج ((ليبوريللا))



ليپوريلا

للكاتب النمسوى الأشهر: ستيفان زفايج

ترجمة : الدكتور محمد مندور

« القواد » الأشهر !

◆ قدمت لك - فى أعداد سابقة - الكثير من روائع الكاتب النمسوى الاشهر « ستيفان زفايج » ، وفى مقدمة هـذه الروائع قصصه الخالدة : «أموك» و«رسالة من مجهولة» ، و « الخوف » .. وفيما يلى أقدم لك تحفة رابعة من روائع هذا الكاتب الانسانى المتعمق ، هى هذه القصة التى أطلق عليها «ليبوريللا» . والقارىء للقصة فى لغتها الاصلية ، أو ترجماتها الاوربية ، لا يجد فيها أى ايضاح لمغزى اطلاق لقب « ليبوريللا » عـلى بطلتها ، فى منتصف القصة ، على سبيل المجاز والدعابة .. وذلك لاعتماد المؤلف عـلى ثقافة القارىء الغـربى الذى يعرف - من المامه بقصص الأوبرات العالمية - شخصية المدعو « ليبوريللو » ، القـواد الذى كان يلازم العاشق الاسبانى دون جوان فى مغامراته الغراميـة ، ويسهلها له ، على ما جاء فى قصـــة أوبرا دون جوان - أو « دون جيوفانى » بالايطالية - وهى الاوبرا المشهورة التى لحنها الموسيقى الخـالد « موزار » ، والتى مثلت لاول مرة فى أوبرا (براج) عام ١٧٨٧ ، وفى أوبرا لندن عام ١٨١٧ ، وفى أوبرا نيويورك عام ١٨٢٦ .. الخ

ويبدو أن ستيفان زفايج حين أطلق على قصـته هذه اسـم « ليبوريللا » - مؤنث « ليبوريللو » - أراد الاشارة الى وجه الشبه بين شخصية بطلة القصة وشخصية ليبوريللو المذكور بطل تلك الأوبرا العالمية المشهورة .. وتدور حوادث أوبرا « دون جـوان » فى مدينة (اشبيلية) باسبانيا ، حيث مارس الفـارس الوسيم الانيق دون جوان فنه الخاص فى اغواء أجمل فتيات المدينــــة ونسائها ، ثم هجرهن !.. وهكذا نراه يمضى بصحبة خادمه الوفى ليبوريللو ، فيوقع بالحسناء « دونا الفيرا » ، ثم ينبذها لينصب شباكه لابنـة القائد دون بدرو - المدعوة « دونا انا » - ويقتل خلال المحاولة أباها ، فى مبارزة !.. ويفر العاشق المحترف على الاثـر ليحول دفة « جهوده » الى العروس الفلاحة « زرلينا » ، فيحتـال بكل الطرق للتغرير بها وصرفها عن خطيبها !.. وفى النهاية يقتص شبح القائد القتيل « دون بدرو » من الشاب الماجن ، بأن يلقى به فى هاوية تتلظى فيها النيران .. فيموت شهيد مجونه !

- ١ -

◆ **كان** اسمها فى شهادة الميلاد « كريسانس » ، وكانت فى التاسعة والثلاثين من عمرها ، ابنة غير شرعية ، ولدت فى قرية صغيرة بوادى « زيللر » ٠٠ وفى خانة « العلامات المميزة » من بطاقة العمل الخاصة بها ، خط أفقى ينم عن خلوها من علامات كهذه ٠ ومع ذلك ، فلو أن الموظفين عنوا بأن يسجلوا علامة مميزة ، لكفتهم لمحة بصر ـ ولو سريعة ـ كى يلاحظوا أنها كانت تحمل كافة سمات حصان الجبل الاعجف المعروق ٠٠ **اذ لم يكن أحد ليخطىء ما يبدو عليها من مميزات فصيلة الخيل : فى شفتها المدلاة فى صفحة وجهها المستطيل الجامد الذى دبغته الشمس ، وفى عينيها الكئيبتين المجردتين من الاهداب ، ثم بنوع خاص فى شعرها الكثيف الملبد الملتصق بجبهتها فى خصل لزجة ٠ بل ان مشيتها أيضا كانت تنطق بذلك التردد الحذر والعناد العصبى الذى تتميز به بغال الجبل ٠٠ تلك البغال التى تسلك الطرق الجبلية المحصبة ، عبر ممرات الالب ، تحمل الخشب صيفا وشتاء ، وتسير فى كآبة ، صاعدة وهابطة بنفس الخطوة المترنحة ٠٠**

وما أن تلقى كريسانس عنها « بردعة » العمل ، حتى تراها وقد ثنت ذراعيها ، وأوشكت يداها أن تتلاقيا ، وهى تنظر أمامها فى شرود يشبه البله ، وكأنها حيوان فى حظيرة !٠٠ فلقد كان كل شىء فيها جامدا ، دميما ، ثقيلا ٠٠ وكان من الشاق عليها أن تفكر ، اذ كان فهمها بطيئا ، تتسرب كل فكرة جديدة من أعماق نفسها فى صمت ، وكأنها تقطر خلال مصفاة دقيقة ٠٠ فاذا قدر لها أن تدرك ـ فى صعوبة بالغة ـ فكرة جديدة ، وتتمثلها ، تمسكت بها فى عناد ، لا تتخلى عنها أبدا !

ولم تكن تقرأ شيئا : لا صحفا ، ولا كتب صلوات ٠٠ بل كانت الكتابة لديها عملا شاقا ، وكان خطها المشوه فى دفتر المطبخ يشبه الى حد بعيد جسمها الكثير الزوايا ، السيىء التكوين ، الذى حرم حرمانا واضحا من كل صفات الانوثة ! وكان ردفاها ، ويداها ، وجمجمتها ، وصوتها ، جامدة كلها كعظامها ٠٠ ومع أن لغة « التيرول » تمتاز بلهجة تنبعث من الحلق فى نبرات مليئة ، الا ان هذه اللهجة كانت تصدر عن « كريسانس » فى صرير كأنه صرير الباب الصدىء ! **ولم يكن ثمة عجب فى أن يصدأ صوتها ، فانها لم تكن توجه الى أحد كلمة ، ما لم تدع اليها ضرورة ٠٠ كما لم يرها أحد قط تضحك !٠٠ فكان هذا كله يزيدها شبها بالحيوان ، لانه اذا كان هناك شيء أدعى للأسى من فقدان النطق ، فهو بلا ريب فقدان الضحك ٠٠ ذلك الانفجار الذاتى للعاطفة ، الذىحرمت منه مخلوقات الله « غير الواعية » !**

وكانت البلدية قد كفلت كريسانس وأنفقت على تربيتها ، حتى اذا بلغت الثانية عشرة من عمرها أخذت تعمل كخادمة ، ثم غسالة للأوانى فى مطعم حقير ، فلفت اليها النظر تكالبها على العمل فى نشاط محموم ٠٠ ولم تلبث أن التحقت طباخة بفندق للسياح ، بعد خروجها من ذلك المطعم الذى كان وقفا على الحوذيين ٠ وفى هذا الفندق كانت «كريسانس» تستيقظ فى الساعة الخامسة من كل صباح ، لتكنس وتنظف ، وتجلو وتدعك بالفرشاة ، وتنظم وتسخن ، وتطبخ وتعجن ، وتغسل وتشطف ، وتنشر وتكدح حتى ساعة متأخرة من الليل ٠٠ لم تأخذ قط أجازة ، ولا خرجت الا لتذهب الى السوق أو الى الكنيسة ٠ وكان قرص فرنها الملتهب يحل بالنسبة اليها محل الشمس ، كما كانت آلاف قطع الخشب التى تشقها طوال السنة ، هى غابتها !

ولم يكن الرجال يضايقونها فى شىء ٠٠ اما لأن ربع القرن الذى سلخته فى عمل متكالب ، جردها من كل ما كان يحتمل أن يكون فيها من أنوثة ، واما لأن جفوتها وصمتها المطبق كانا يقطعان السبيل على كل محاولة للتقرب منها ٠٠ فكانت تجد لذتها الوحيدة فى تلك النقود التى كانت تجمعها ـ مدفوعة بالفطرة النهمة التى يجبل عليها الفلاحون والبسطاء ـ لكيلا تضطر فى شيخوختها الى أن تعود فتقتات من خبز البلدية المر فى ملجأ للفقراء !

٠٠ وقد كان حب المال دون غيره هو الذىدفع هذه المخلوقة « المغلقة » الى أن تترك لاول مرة ، وهى فى السابعة والثلاثين، موطنها فى التيرول : فقد رأتها ـ أثناء اجازتها فى الريف ـ امرأة ممن يقدمن الخادمات الى المنازل ، وكانت وقتئذ تتكالب على العمل من الصباح الى المساء ، فاجتذبتها الى فيينا ، بأن وعدتها بضعف أجرها !٠٠ ولم تشغل « كريسانس » أثناء السفر بغير الاكل ، فلم تتحدث الى أحد ، وأصرت على أن تحمل فوق ركبتيها المضنيتين سلتها الثقيلة التى ضمت كل ما كانت تملك ـ رغم تلطف زملائها فى السفر حين عرضوا عليها وضع السلة فوق الشبكة ! ـ وما ذلك الا لأن السرقة والنصب كانا كل ما انطبع فى مخها المغلق عنالمدينة الكبيرة !

- ٢ -

◆ **وخلال** الايام الاولى فى فيينا ، لم يكن بد من أن يرافقها أحد الى السوق ـ اذ كانت تخشى العربات ، كما تخشى البقرة السيارات ! ـ ولكنها لم تكد تعرف الشوارع الاربعة التى تؤدى الى السوق حتى أصبحت فى غنى عن كل انسان : فكانت تمضى منالمنزل الى معارضالباعة ، ثم تعود منها وسلتها معلقة بذراعها ٠٠ وكانت تكنس وتوقد النار فى مطبخها الجديد على نحو ما كانت تفعل فى مطبخها القديم ، دون أى

تغيير ، فاذا حانت الساعة التاسعة ـ ساعة النوم في القرية ـ ذهبت الى فراشها ونامت كالدابة ، مفتوحة الفم ، الى أن ينتزعها الصباح بغتة من النوم !

ولم يقدر لاحد أن يعلم ما اذا كانت راضية عن حالها أم غير راضية ، بل لعلها ـ هي نفسها ـ لم تكن تعرف ذلك .. فما كانت تبوح لاحد بشيء ، ولا كانت ترد على الاوامر التي تتلقاها الا « بنعم » مكبوتة ، أو بهزة كتف عنيدة اذا لم يعجبها الامر !.. ولم تكن تلقى بالا الى جيرانها ، ولا الى خدم المنزل الآخرين .. ولم تحرك نظرات زميلاتها المرحة ، المنبعثة عن روح مخالفة ، ساكنا لديها .. حتى كان يوم ، أخذت فيه احدى الخادمات تقلد لهجتها التيرولية ، وتسرف في السخرية منها ، فاستلت فجأة من فرنها جذوة من النار ، وانقضت على البنت المذعورة .. التي هربت صارخة !.. ومنذ ذلك اليوم أخذ الجميع يجتنبون هذه المخلوقة الشرسة ، ولم يعد أحد يجسر على السخرية منها !

ومع ذلك ، ففي يوم الاحد من كل أسبوع ، كانت «كريسانس» ترتدي ثوبها الفضفاض ذا الثنايا ، وقبعتها المنبسطة كالطبق ـ الشبيهة بقبعات الفلاحات ـ لتذهب الى الكنيسة . وجازفت ذات مرة ـ بمناسبة أول اجازة لها في فيينا ـ فخرجت « للنزهة » ! .. لكنها كانت تأبى ركوب الترام ، ولما لم تر طوال سيرها الحذر خلال الشوارع المزدحمة الصاخبة سوى سلسلة من أحجار الجدران ، فانها لم تذهب الى أبعد من قناة الدانوب .. وهناك أخذت تحدق في الماء الجاري ، كما يحدق المرء في شيء معروف ، ثم عادت من نفس الطريق ، محاذية المنازل دائما ، ومتجنبة وسط الشارع .. خوفا من العربات ! ولا شك في أن هذه الرحلة «الاستكشافية» الوحيدة خيبت أملها ، اذ أنها لم تغادر بعدها المنزل قط ،

مفضلة أن تجلس يوم الاحد بجوار النافذة ، خالية اليدين ، أو ممسكة بشيء تخيطه ..

وهكذا لم تحدث المدينة الكبيرة أى تغيير فى نظام حياتها الرتيبة ، **فيما عدا شيئا واحدا ، هو أن يديها اللتين براهما الطبخ والغسل أصبحتا تتلقفان في نهاية كل شهر أربع أوراق مالية زرقاء بدلا من اثنتين ! وكانت فى كل مرة تفحص هذه الاوراق النقدية طويلا ، ثم تطويها في دقة ، وتسويها في حنو ، قبل أن ترتبها الى جوار سابقاتها داخل صندوق الخشب المحفور الذى حملته معها من القرية . وكانت هذه « الخزانة » الخشنة القبيحة هى كل « سرها » وسبب حياتها الوحيد ! فكانت تضع - فى المساء - مفتاحها تحت وسادتها .. أما فى النهار فلم يتح لاحد فى المنزل أن يعرف أين كانت تودعه !**

*

◆ **هكذا** كانت تلك المخلوقة البشرية العجيبة - اذا صح هذا التعبير - فان الطابع « البشرى » لم يكن يلوح على تصرفاتها الا على نحو بدائى غير واضح المعالم . على أنه ربما كان من الضرورى لكريسانس أن تكون منطوية ومغلقة الى هذا الحد ، لكى تظل فى خدمة تلك الاسرة العجيبة - أسرة البارون « ف. س. » - التى لم يكن الخدم يحتملون جو الشحناء الذى كان يسود الدار التى تقطنها ، الا أقل فترة ممكنة ، بعد دخولهم فى الخدمة .. فقد كان الصراخ الصاخب الشبيه بالصرع ، ينبعث بصفة شبه دائمة من سيدة المنزل !.. كانت ابنة ثرى من رجال الصناعة فى مدينة « اسن » ، ولم تكن فى مستهل الشباب عندما تعرفت فى احدى مدن المياه المعدنية بالبارون ، الذى كان يصغرها فى السن كثيرا . ورغم أنه لم يكن دونها مرتبة فى النبل ، الا أنه كان فى حال مالية أكثر تواضعا . ومع ذلك خفت الى الزواج من هذا المتحذلق الجميل ذى السحر الارستقراطى !

.. غير انه لم يكد شهر العسل ينقضى ، حتى أخذت العروس تتبين أن أهلها لم يكونوا على خطأ عندما عارضوا تسرعها فى الزواج ، وتمسكوا بضرورة توفر صفات أكثر صلابة فى الزوج .. فقد ظهر عندئذ أن البارون الشاب لم يخف فقط عدة ديون كان مثقلا بها ، بل انه كان أيضا يحفل « بمغامرات الشباب » أكثر مما يحفل بواجبات الزوجية ! ومع أنه لم

يكن يعوزه اللطف ، بل كان يملك أيضا تلك الروح المرحة ، الملازمة للطبائع الخفيفة ، الا أنه لم يكن يتصور الحياة الا على ذلك النحو الكسول الخالي من الشعور بالمسئولية .. فكان يستهين بكل مسألة مالية ، وكأنها أمر لا يستحق أن يوليه اهتماما ، وكان يحب الحياة السهلة .. في حين كانت زوجته على العكس منه ، تريد بيتا منظما ، ذا تقاليد ، على نحو ما اعتادت أن تكون عليه الحياة لدى ثراة الطبقة الوسطى – « البورجوازية » – في اقليم « الرين » .. فكان هذا يخرج البارون عن أطواره !.. حتى اذا رأى نفسه مضطرا – برغم ثراء زوجته – الى أن يدخل معها في مناقشات كلما شاء مبلغا كبيرا من المال ، ولاحظ انها تمادت الى حد معارضة أعز رغباته – وهي الحصول على اسطبل لخيل السباق – لم يجد داعيا لان يقيم وزنا لهذه الزوجة البدينة العريضة الكتفين ، المنحدرة من أقاليم الشمال ، والتي كان صوتها القوي الآمر يؤذي أذنيه !.. وهكذا انتهى الى وضعها على الرف ، في رفق وبغير ضجيج – وان حرص على أن يكون اهماله اياها اهمالا تاما ، كاملا ! – وحين كانت توجه اليه اللوم ، كان يصغي اليها في أدب واهتمام ظاهرين .. ثم يبادر بمجرد انتهاء « الموشح » ، الى طرد مواعظها الحارة مع دخان سيجارته .. ويمضي في غير تحرج ، يفعل ما يحلو له !

وكان هذا التأدب السهل ، شبه المحترف ، أكثر اغاظة للزوجة الخائبة الامل ، من أي اعتراض .. فقد وجدت نفسها عاجزة تماما ، مسلوبة الحول ، ازاء تأدب هذا « الارستقراطي » الخبيث الناعم ، الذي لم يكن ينزلق قط الى أية فظاظة !.. لذلك لم يلبث غضبها المكبوت أن أخذ ينطلق في مجال آخر ، فكان ينفجر ضد الخدم ، ويصب ثورته على الابرياء ! ولم تلبث النتيجة أن ظهرت : ففي خلال سنتين اضطرت الى أن تغير خادمتها ست عشرة مرة ! بل وحدث يوما أنها اعتدت باليد على احداهن ، واضطرت – تفاديا للضجة – الى أن تدفع لها مبلغا كبيرا كتعويض !

وسط هذا الجو العاصف ، استطاعت « كريسانس » وحدها أن تصمد ، كحصان « الحنطور » تحت المطر . ولم تكن تنحاز الى صف أحد ، أو تعنى بالتغيرات التي تطرأ .. بل يلوح أنها لم تكن تلاحظ أن أولئك المجهولات اللاتي يعملن معها ويقاسمنها حجرتها ، كانت تتغير باستمرار أسماؤهن ، وألوان شعرهن ، ورائحة أجسامهن ، وطبائعهن .. الخ .. فانها لم تكن تتحدث الى أي منهن ، أو تعنى بالابواب التي تصطك ، أو الوجبات التي لا تتم .. ولا بالازمات العصبية ، أو الاغماءات .. كانت تذهب من المطبخ الى

السوق ، ومن السوق الى المطبخ ، فى نشاط وعدم مبالاة .. فما كانت لتعنى بما يجاوز أفقها المغلق .. وانما كانت تعمل كالمدق الآلى ، محطمة الايام بعضها فى أثر بعض ، حتى مرت بها سنتان من عمر المدينة الكبيرة ، لم يزد عليها خلالهما سوى أن الاوراق الزرقاء المكدسة فى صندوقها قد وصلت الآن الى سمك الابهام .. وانها عندما كانت تعدها واحدة بعد الاخرى باصبعها المبللة ، كانت تصل فى النهاية الى الرقم السحرى : ألف !

- ٣ -

◆ **ولكن** الصدفة تمتلك آلات ثاقبة ، والقضاء الواسع الدهاء يعرف كيف يشق – على غير انتظار – طريقا الى النفوس ، وكيف يثير الاضطراب فى أكثر الطبائع تحجرا . وعند « كريسانس » أخذ السبب الخارجى للاحداث مظهرا مبتذلا مثلها .. كان قد مضى على آخر تعداد عشر سنوات ، ورأت الحكومة أن تقوم بتعداد جديد للسكان ، فأرسلت نماذج بأسئلة معقدة الى كافة المنازل ، كى تعرف بالضبط أسماء وتواريخ وأماكن ميلاد السكان . ولما كان البارون لا يثق بدراية خدمه ولا ادراكهم ، فقد فضل أن يملأ النماذج بنفسه ، ولهذا استدعى كريسانس الى مكتبه كما استدعى الآخرين . وعند مناقشتها فى أصلها ومنبتها تبين البارون ، وهو الشديد الشغف بالصيد ، أنه قام عدة مرات بصيد الوعل فى الاقليم الذى وفدت منه ، بل ان دليلا من أبناء قريتها اصطحبه لمدة أسبوعين . وشاءت المصادفة الغريبة أن يكون هذا الدليل هو خال « كريسانس » ، كما شاءت أن يكون البارون فى ذلك اليوم بالذات مرح المزاج ، فأطال الحديث مع خادمته .. واذا هو يقف على اكتشاف مفاجىء آخر : انه كان قد تذوق شواء « تيس » جبلى فى نفس الفندق الذى كانت تعمل فيه « كريسانس » طاهية . وكل هذه كانت بلا ريب تفاهات ، ولكنها مع ذلك مصادفات غريبة ، بدت لعينى الفتاة المسكينة أمورا خارقة .. فراحت تتثنى فى غير رشاقة وهى تقف



أمام البارون محمرة الوجه ، منبسطة الاسارير ، وقد أرضى الحديث زهوها. وتمادى البارون فمازحها ، وأخذ يقلد لهجتها التيرولية ، ويسوق اليها بعض النكات المضحكة .. حتى اذا استخفه الطرب فى النهاية ، ضرب براحته على ردفها - على طريقة أهل الريف - وقال ضاحكا : « والآن .. اذهبى يا شاطرة !.. ولكن ، خذى قبل انصرافك هذين الكورونين ، لانك من وادى زيللر .. »

*

ولم يكن الحادث ذا قيمة فى حد ذاته ، ولكن الحديث الذى استغرق خمس دقائق ، كان كالحجر الذى يلقى فى بركة ماء ، اذ حرك أعماق الروح الجامدة فى جوف تلك المخلوقة الكئيبة .. ولم يكن ذلك لانها لاذت بالصمت فلم تتبسط فى حديث مع أحد منذ سنين ، فحسب ، بل لأن المصادفة شاءت أيضا أن يكون الرجل الذى أظهر ميلا للحديث معها بعد هذا الجمود الطويل ، من رواد جبالها ، وان يكون قد أكل شريحة من تيس أعدتها هى بنفسها !.. وهى أمور لاحت لها من قبيل المعجزات .. فضلا عن ضربته تلك على ردفها فى غير تحرج ، وهى فى عرف الفلاحين دعوة صامتة ، وطعم يبذل للمرأة ! واذا كانت « كريسانس » لم تجرؤ على أن تعتقد أن السيد الرشيق الرفيع المقام قد اشتهاها حقا ، الا أن هذه الألفة حركت مع ذلك حواسها الهامدة !

وتحت تأثير هذه الدفعة المفاجئة ، تحركت الطبقات العميقة فى قرارة كيانها ، واحدة بعد الاخرى .. حتى برز منها احساس جديد ، كان فى أول أمره مبهما ، ثم أخذ يتضح .. فاذا هو شبيه بذلك الاحساس الذى يقود الكلب عندما يكتشف فجأة ذات يوم ، بين جمهور من الناس ، السيد الذى يرتضيه .. فيروح منذ تلك اللحظة يتبعه ، ويستقبله بالنباح أو بهز الذنب ، ويطيعه راضيا ، ويصاحبه طائعا فى كل مكان !.. وكان ذلك حال « كريسانس » . كانت حياتها « المغلقة » لا تتسع لغير خمسة أو ستة أشياء : النقود ، والسوق ، والفرن ، والكنيسة ، والفراش .. فاذا بعنصر جديد يدخلها منذ ذلك اليوم ، فيزيح جانبا كل ماكان قد سبقه !.. وبتكالب الفلاح الذى لا يمكن أن يتخلى عما استحوذت عليه يداه الجامدتان ، امتصت « كريسانس » هذا العنصر ، حتى وصلت به الى عالم غرائزها المضطرب .. وفى الحق ان فترة من الزمن قد مرت قبل أن يصبح هذا التحول محسوسا. بل ان مظاهره الاولى كانت بالغة التفاهة ، فقد صارت تعنى مثلا بتنظيف ملابس سيدها وأحذيته فى تحمس بالغ ، بينما ظلت تترك للخادم الاخرى

كل ما يتعلق بالبارونة ! وأخذت تظهر فى الردهة والحجرات أكثر مما كانت تفعل فى الماضى .. وما ان تسمع صرير قفل المدخل ، حتى صارت تسرع الى لقاء سيدها ، لتأخذ عنه عصاه ومعطفه . وباتت تعنى بالمطبخ بنوع خاص ، بل انها حرصت على أن تعرف الطريق الى السوق الرئيسية خصيصا كى تشترى شريحة من التيس البرى لارضاء السيد !.. فضلا عما جعلت تسبغه على مظهرها من عناية خاصة ..

- ٤ -

◆ وكان لا بد من مرور أسبوع أو أسبوعين ، كيما تظهر أولى براعم هذا الاحساس الجديد ، منبثقة من عالمها الداخلى . بيد أن أسابيع أخرى مرت قبل أن يتفتح فوق هذه البراعم احساس ثان ، وقبل أن يصبح هذا الاحساس حقيقة واقعة . ولم يكن هذا الاحساس الثانى غير تكملة للأول .. كان بغضا - كامنا فى أول الامر ، ثم ظاهرا واضحا شيئا فشيئا - لزوجة البارون ، المرأة التى أتيح لها أن تحادثه ، وتساكنه ، وتنام معه ، مع أنها لم تكن تحمل له مثل هذا الحب المتفانى الذى اختصته هى - كريسانس - به ! ولما كانت قد أصبحت - دون تعمد أو قصد - أكثر انتباها لما حولها ، فقد شاهدت أحد تلك المواقف المحرجة التى كانت الزوجة السليطة تذل فيها كبرياء السيد المعبود ، على نحو أشد مايكون اثارة للنفس .. فهل زادتها ألفة الزوج المرحة ، احساسا بالتحفظ المتعالى الذى كانت تلك السيدة الألمانية القادمة من الشمال تتميز به ؟.. مهما يكن الامر ، فان «كريسانس» شرعت تبدى نحو السيدة - التى كانت تجهل كل شىء - ألوانا من العناد والعداء ، ظهرت فى مئات من صغائر الامور : من ذلك أن البارونة كانت تضطر لأن تدق الجرس أكثر من مرة ، قبل أن « تتفضل » كريسانس بالرد عليها ، فى تثاقل متعمد وسوء طوية ! .. وكانت عندما تتقدم نحوها ، تدخل رأسها بين كتفيها - كأنما هى تتأهب لتجابه أية ملاحظة . وكانت تنصت دائما - بسحنة عابسة - للأوامر التى تصدر اليها ، دون أن ترد ، فلا تدرى البارونة هل فهمت عنها أم لم تفهم ! فاذا أعادت عليها أمرا ، من باب الاحتياط ، نفضت كريسانس رأسها فى امتعاض ، أو قالت فى ترفع : « لقد سمعت ! » .. وقد يحدث عند موعد الذهاب الى المسرح - وفى اللحظة التى تشتد فيها عصبية سيدتها وهى تذرع الحجرات - أن يختفى مفتاح ، فلا يعثر عليه الا بعد نصف ساعة ، وفى مكان لا يخطر لاحد ببال !.. وباطراد ، أخذت كريسانس تغفل أن تبلغ البارونة المكالمات التليفونية الخاصة بها ..

فاذا سألتها السيدة تفسيرا لذلك ، قالت فى جفاء وكأنها تقذف بالكلمات فى وجهها : « لقد نسيت ! » .. وكانت تحرص على ألا ترفع بصرها قط الى عينى السيدة ، خوفا - بلا ريب - من ألا تستطيع اخفاء بغضها لها !

*

◆ وباتت المشاحنات العائلية ، فى تلك الاثناء ، تسبب بين الزوجين مشاهد متزايدة المرارة ! ولعل ما كان يصدر عن « كريسانس » - دون وعى منها - من سوء خلق ، قد ساعد على هياج أعصاب الزوجة .. اذ راحت تزداد انفعالا من أسبوع لآخر ، وتفقد اتزانها شيئا فشيئا من فرط اضطراب أعصابها - بسبب الحرمان الجنسى الطويل ، وما كانت تلقاه من اهمال الزوج ، وقحة الخدم وعدائهم ! - ولم تجد العقاقير والمسكنات نفعا فى تهدئتها ، اذ كانت النوبات الهستيرية تتلو نوبات البكاء ، دون أن تفلح أية محاولة لتخفيفها .. حتى انتهى الامر بالطبيب الى أن نصح لها بالاقامة لمدة شهرين فى أحد المصحات .. وهى نصيحة وافق عليها الزوج - الذى كان عادة لا يبالى - فى حماسة دعت الزوجة ، السيئة الظن ، الى أن تجنح الى العصيان !.. ولكن السفر تقرر فى النهاية ، على أن تصحب الخادم الاخرى سيدتها ، بينما تبقى « كريسانس » بالمنزل الرحب فى خدمة السيد . وما ان علمت هذه ان سيناط بها وحدها مهمة العناية بالسيد ، حتى انتفضت حواسها الهامدة .. وغدت كزجاجة سحرية هزت هزا عنيفا .. فقد انبعث من أعماق كيانها راسب خفى من الشهوة ، أضفى على حركاتها مظهرا جديدا كل الجدة ، فاختفى ما كان فيها من ثقل وتكلف ، وانحلت عقد أطرافها المتحجرة ، وأصبحت مشيتها حية خفيفة .. وما أن شرعوا فى اعداد العدة للسفر ، حتى أخذت تعدو من حجرة الى حجرة ، وتصعد السلالم وتهبط ، وترتب الحقائب قبل أن تؤمر بذلك ، وتحملها بنفسها الى العربة !.. وعندما عاد البارون من المحطة فى المساء ، وقدم الى الخادم الحفية عصاه ومعطفه ، وهو يقول متنفسا الصعداء : « هاهى قد ذهبت ! » .. حدث شىء عجيب : فقد تقلصت فى عنف مفاجىء ، شفتا كريسانس المطبقتان ، اللتان لم تضحكا قط ، وكشر الفم ثم اتسع .. ومن ذلك الوجه الذى أضاء فى بله ، انبعثت ضحكة ، بلغت من الصراحة - بل من الوقاحة والحيوانية - حدا جعل البارون يبهت فى اشمئزاز ، وقد انتابه خجل مفاجىء من تبسطه فى رفع الكلفة مع الخادم الى الحد الذى أغراها بهذا الاسفاف !.. ثم دلف الى حجرته دون أن ينبس ببنت شفة !

◆ على أن هذه النوبة العارضة من الاشمئزاز لم تلبث أن تبددت . وفى الايام التالية أخذ الصمت الممتع ، والحرية المريحة التى تمتع بها فى صباه، يخلقان نوعا من الصلة بين السيد والخادمة .. حتى ليمكن القول بأن سفر الزوجة قد أفسح له مجالا للتنفس ، للخلاص من ذلك الالتزام الابدى الذى كان يقتضيه أن يقدم حسابا عن كل تصرفاته .. فعاد الى بيته - منذ الليلة الاولى - فى ساعة جد متأخرة ، ليستمتع بالمقارنة بين الحفاوة الصامتة التى تلقته بها « كريسانس » ، وبين تلك «الفصاحة» المسرفة التى كانت تتلقاه بها زوجته ! .. وغالت الخادمة فى الانغماس فى عملها اليومى الى حد الهوس: صارت تستيقظ أكثر بكورا من ذى قبل، وتجلو المقابض وقطع النحاس كالمحمومة ، وتؤلف قوائم الطعام بعناية زائدة ، واختيار مرهف..وفى غداة سفر البارونة ، فوجىء البارون عند الافطار بأن «الطقم» الذى لم يكن يخرج عادة من صوان الفضية الا فى المناسبات الكبيرة ، قد أخرج من أجله وحده!

وبالرغم من أنه - بطبعه - كان شارد البال ، الا أنه كان من المستحيل الا يلاحظ تلك العناية اليقظة ، الشبيهة بالحنان ، التى كانت تبديها تلك المخلوقة العجيبة نحوه ! ولما كان هو - فى قرارة نفسه - رجلا طيب القلب ، فانه لم يضن عليها بعبارات الاطراء .. فكان يمتدح طهيها ، ويوجه اليها - من وقت الى آخر - بعض العبارات الطيبة . وعندما رأى على المائدة فى عيد ميلاده فطيرة فخمة ، نقشت عليها بالسكر الحروف الاولى من اسمه وشعار نبالته ، قال لكريسانس وهو يضحك بلا احتفال : « انك ستدللينني يا « سنزى » ! الام يصير أمرى عندما تعود زوجتى .. لا قدر الله ؟ »

.. ولم يكن هذا التبذل الخالى من الذوق - والذى قد يدهش له الناس فى بلد آخر - شيئا غريبا عند أرستقراطية النمسا القديمة ، اذ كان ينبعث عن استهتار أولئك النبلاء ، فى كل مناسبة ، وعن ذلك الاحتقار البالغ الذى كانوا يظهرونه نحو عامة الشعب ! .. وكما كان «الارشيدوقات» المعسكرون فى قرية نائية فى «غاليسيا» يكلفون أحد صف الضباط بأن يقتاد اليهم عاهرة من ماخور ، ثم يتركونها له بعد ذلك نصف عارية ، ويسخرون أعمق السخرية بكل ما يمكن أن يقوله أبناء المنطقة فى اليوم التالى .. كذلك كانت الارستقراطية العليا تفضل أن تصطحب فى الصيد حوذيا أو سائسا ، بدلا من أن تصطحب أستاذا أو تاجرا كبيرا . ولكن هذا التبذل الديمقراطى فى الظاهر ، والذى كانوا يتنزلون اليه ثم يترفعون عنه ، كان يختلف فى حقيقته عنه فى مظهره تمام الاختلاف .. فهو لم يكن قط الا من جانب واحد ، كما كان ينتهى فى اللحظة التى يغادر فيها السيد المائدة ! .. وكان

صغار النبلاء يحاولون دائما أن يحاكوا تصرفات الاقطاعيين ، **ولذلك لم يجد البارون أى حرج لضميره فى أن يتحدث باحتقار عن زوجته ، أمام فلاحة تيرولية جلفاء ! .. ومع أنه كان مطمئنا الى أنه لم يسرف فى الحديث ، الا أنه لم يستطع أن يتصور مدى الغبطة الجشعة واللذة الجامحة اللتين كانت تتذوق بهما تلك الخادمة الكظوم ، عبارات الاحتقار التى يفوه بها أمامها !**

- ٥ -

◆ **ومع ذلك** فقد ألزم نفسه لمدة يوم أو يومين آخرين شيئا من التحفظ، قبل أن يلقى الزمام ! .. فلما تضافرت عدة دلائل على ترسيخ اعتقاده فى «صمت» الخادمة ، أخذ يسلك مسلك الاعزب الحقيقى .. فاستدعى «كريسانس» ذات يوم ، وأمرها فى صوت طبيعى - ودون ما ايضاح - بأن تعد فى المساء عشاء لشخصين ، وأن تذهب بعد ذلك لتنام ، على أن يتولى هو بنفسه بقية الامر . وتلقت « كريسانس » الامر دون أن تنطق بحرف . ولم يلمح ، سواء من نظرتها أو من أقل اضطراب فى أهدابها ، أن معنى كلماته قد نفذ خلف جبهتها المنخفضة .. **لكن السيد لم يلبث أن تبين - فى طرافة مشوبة بالدهشة - الى أى حد أدركت مقاصده الحقيقية ! .. فعندما عاد بعد انصرافه من المسرح فى المساء ، مصطحبا حسناء شابة من تلميذات الاوبرا ، لم يجد المائدة محلاة بالزهور ومرتبة فى ذوق فحسب ، بل وجد الفراش المجاور لفراشه فى غرفة نومه مرتبا على نحو مثير .. بينما كان قميص امرأته الحريرى ، وخفها ، فى مكان واضح معدين للبس ! ولم يستطع الزوج المتحرر أن يمنع نفسه من الضحك لما أوتيت تلك المخلوقة من تلطف ذهبت فيه حقا الى مدى بعيد !.. وسقط - من تلقاء نفسه - آخر حاجز بينهما ، أمام ذلك التآمر الحماسى.. فلما أشرق الصباح ، دق البارون الجرس ليستدعى «كريسانس» كى تساعد الحسناء الدخيلة على ارتداء ملابسها ، وقد اطمأن الى أن الميثاق الضمنى قد وقع بينهما نهائيا !**

ومنذ ذلك الحين صارت « كريسانس » تدعى باسم جديد .. فان المغنية الطروب التى كانت تتدرب عندئذ على دور « الفيرا » ، والتى حلا لها من قبيل المداعبة أن تخلع على صديقها الحانى لقب « دون جوان » ، قالت له ضاحكة : «هل لك أن تستدعى تابعتك (ليبوريللا) ؟ » .. فراقت له هذه التسمية ، **لانها كانت تصور - على نحو مضحك - تلك التيرولية الجافة ..** ومنذ ذلك اليوم لم يعد يسميها بغير هذا الاسم ! وقد أخذها الذهول من

ذلك فى أول الامر ، ثم لم يلبث أن أغراها حسن جرس ذلك الاسم الذى لم تفهم له معنى ، وان أحست بأن فيه سموا ورفعة لها !.. وفى كل مرة كان البارون المرح يدعوها بهذا الاسم ، كانت شفتاها الرفيعتان تنفرجان ، فتكشفان عن أسنانها الصفراء التى تشبه أسنان الحصان . وفى خشوع وذلة كانت تقترب لتتلقى الاوامر من السيد المبجل

❖

◆ **وكانت** كوكب المستقبل قد أطلقت اسم «ليبوريللا» على كريسانس من باب السخرية ، فلقد وجدت فيه ـ دون تعمد ـ اسما شديد الملاءمة لتلك المخلوقة العجيبة .. فقد كانت الفتاة الجافة ، التى تجهل الحب ، أشبه بقواد دون جوان ، تجد فى مغامرات سيدها لذة فريدة ممزوجة بالكبرياء ! فهل كان مبعث هذه اللذة ، ذلك الرضى الذى كانت تستشعره كل صباح عندما تجد مضجع المرأة التى كانت تبغضها ـ البارونة ـ مدنسا بواسطة هذه المرأة أو تلك ؟ .. أم أن حواسها كانت تشارك سرا فى اللذة التى تبذرها فى سخاء رجولة سيدها ؟! .. مهما يكن الامر فان تلك العانس الصارمة المتعبدة كانت تخدم ـ فى حماسة ملتهبة ـ مغامرات البارون . وكانت سنوات العمل الطويلة قد جردت جسمها المنهوك من الحاسة الجنسية، فلم يعد يضطرب لنوازعها .. وان لاح أنها كانت تجد لذة حقيقية ـ كقوادة ـ فى أن تتابع بنظراتها كل امرأة جديدة تدلف الى حجرة نوم سيدتها الغائبة ! .. وأخذ هذا التآمر ـ المختلط بأريج جو الغرام المثير ـ يعمل كالحامض فى حواسها الهامدة .. فأصبحت كريسانس «ليبوريللا» بحق ، أى قوادا حقيقيا ! أصبحت حية يقظة ، واسعة الحيلة مثل سميها المذكور . وبفضل ذلك الحافز الحار المنبعث من مشاركتها فى مغامرات سيدها الغرامية ، استيقظ فيها المكر ، وحب الاستطلاع . أرادت أن تعرف ما كانت تنطوى عليه تلك المغامرات .. وفى سبيل ذلك جهدت فى استراق السمع من وراء الابواب ، وفى اختلاس النظر خلال ثقب المفتاح ، وفى تفحص المخادع والمضاجع ! وانتهى بها هذا النشاط الى أن تخرج من حالة الجمود التى كانت تلازمها من قبل ، الى نوع من الحياة ((البشرية)) ! وبلغت دهشة الجيران أقصاها عندما رأوا «كريسانس» تصبح فجأة محبة للاختلاط ، فتتحدث الى الخادمات الاخريات ، وتمزح مزاحا ثقيلا مع ساعى البريد ، وتدخل فى مناقشات مع الباعة .. بل حدث ذات مرة أن انطفأت الانوار فى الفناء، فسمعت خادمات الجيران طنينا غريبا ينبعث من نافذة كريسانس، التى كانت فى العادة صامتة .. واذا هى تتمتم مغنية ـ بصوت ناشز ذى

صرير - احدى أغنيات الاب الرتيبة ، التى يرددها فى المساء رعاة البقر فى الجبال ٠

ومن شفتيها الغفلتين كان اللحن ينبعث فى حشرجة ، مشوها ، مصدوعا، فى نبرة مشروخة ٠٠ ولكنها مع ذلك لم تخل من شىء غريب مؤثر : لاول مرة منذ طفولتها حاولت «كريسانس» أن تغنى ! وكان شيئا مؤثرا أن تسمع تلك النبرات المتعثرة ، التى أخذت تصعد فى مشقة نحو الضوء ، من ذلك القاع المظلم لاعوامها الدفينة !

- ٦ -

◆ وكان البارون أقل الناس ادراكا لهذا التحول الخارق ، مع أنه كان هو السبب غير الارادى له ٠٠ وذلك لان أحدا لا يلتفت الى الخلف ليرى ظل شخصه ٠ اننا نحس بالظل يتبعنا وفيا صامتا ، أو يسبقنا أحيانا ، كالرغبة التى لم نفطن اليها بعد ٠٠ لكننا قلما نقف عند هذا الظل ، أو نتعرف على أنفسنا فى هذا «الكاريكاتير» ! ٠٠ كل ما أدركه البارون هو أن «كريسانس» كانت دائما على استعداد لان تخدمه ، وأن عدم فضولها كان تاما ، وأنه كان يستطيع أن يعتمد عليها الى حد التضحية ٠ وكان صمتها ، وحدود الكلفة التى كانت تعرف كيف تحافظ عليها فى كافة الظروف الدقيقة، هما الصفتان اللتان كان يقدرهما فيها بنوع خاص ٠ وفى بعض الاحيان كان يوجه اليها بعض العبارات اللطيفة ، كما يلاطف الانسان كلبه ، وكان يداعبها ٠٠ فيقرص طرف أذنها ، أو يعطيها ورقة بنكنوت ، أو تذكرة مسرح، يستلها فى غير مبالاة من جيب صداره ٠٠ وكانت تلك الامور بالنسبة له أشياء تافهة ٠٠ أما بالنسبة لها ، فقد أصبحت «مقدسات» ، احتفظت بها فى ورع داخل صندوقها !

وبتراخى الزمن اعتاد البارون أن يفكر بصوت عال أمامها ، بل وأن يكلفها ببعض المهام المعقدة ٠ وكلما أظهر لها مزيدا من الثقة ، ضاعفت من جهدها كى ترتفع الى مستوى حسن ظنه ٠ وشيئا فشيئا ، أخذت تظهر عندها غريزة فريدة ٠٠ غريزة كلب الصيد الذى يتشمم ويبحث ويحدس رغبات سيده ، حتى لاح أنها ترى معه ، وتنصت معه ! ٠٠ كل مسرات البارون وكل مغامراته ، كانت تلتذ بها فى حماسة تشبه الفحشاء ! ٠٠ فكانت تتهلل عندما تعبر امرأة جديدة عتبة الدار ٠٠ وتلوح حزينة متكدرة عندما يعود فى المساء غير متأبط رفيقة لهوه ! ٠٠ وأخذت أفكارها - التى كانت هامدة من قبل - تعمل فى نشاط محموم ، لا عهد لغير يديها به ٠٠ بينما أخذت عيناها تشعان بريقا جديدا ، بريقا يقظا ٠ فقد أخذ كائن «بشرى»

يستيقظ فى «دابة» العمل القديمة المنهكة .. كائن عنيد ، كتوم ، ماكر ، قلق ، مدرك نشط ، خبيث خطر !

*

◆ وحدث ذات يوم أن عاد البارون الى المنزل مبكرا عن عادته . ووقف فى الصالة مندهشا : أليست ضحكة مختنقة تلك التى سمعها منبعثة من المطبخ ؟! .. ولكن هاهى «ليبوريللا» تخرج من الباب المنفرج ، وهى تجفف يديها فى مرولتها ، ثم تقول فى لهجة محرجة ووقحة معا : « ألا معذرة ياسيدى ! » .. ثم تضيف وقد خفضت بصرها الى الارض : « ان ابنة الحلوانى موجودة هنا .. بنت جميلة .. وهى تود لو تعرفت بسيدى ! » ..ونظر اليها البارون فى دهشة ، لا يدرى أينبغى أن يثور لرفع الكلفة بينها وبينه على هذا النحو الجرىء ، أم أن يلهو بتلطف القوادة . وفى النهاية تغلب فيه فضول الذكر ، فقال : «دعينى أراها ! »

ومن المطبخ خرجت الفتاة : صبية شقراء مثيرة للشهية ، فى السادسة عشرة من عمرها – وكانت « ليبوريللا » قد راحت تجتذبها اليها شيئا فشيئا بأقوالها المعسولة – خرجت متوردة الخدين وعلى شفتيها ابتسامة حائرة ، والخادم تدفعها وتشجعها . ودارت فى ارتباك أمام السيد الرشيق الذى كثيرا ما رمقته من داخل محل الحلوى المواجه ، فى اعجاب يشبه اعجاب الطفولة . ووجدها البارون جميلة ، واقترح ان تتناول معه الشاى فى حجرته . ولما لم تدر ماذا تفعل – ازاء دعوته – أخذ نظرها يتلمس «كريسانس» لكن هذه كانت قد عادت الى المطبخ فى سرعة واضحة .. فلم يبق أمام الفتاة التى استدرجت الى هذه المغامرة ، الا أن تقبل – محمرة الوجه ، منفعلة ، مستطلعة – تلك الدعوة الخطرة !

*

◆ لكن الطبيعة لا تعرف القفز . واذا كان ذكاء «كريسانس» قد دفعه شعور غامض مختلط الى نوع من الانطلاق ،فان هذا الذكاء لم يصل الى أبعد من غريزة الحيوان الذى ظلت من فصيلته .. فان الرغبة التى استغرقتها فى خدمة سيدها المحبوب ، بتفانى العبيد ، أنستها سيدتها الغائبة نسيانا مطلقا .. الامر الذى أدى الى زيادة اليقظة هولا ، فأحست كريسانس بكارثة غير متوقعة عندما أخبرها البارون ذات صباح ، وفى يده خطاب ، وعلى وجهه علامات الامتعاض ، أن زوجته عائدة فى اليوم التالى ، وأوصاها بأن ترتب كل شىء فى المنزل ! .. كان النبأ بمثابة خنجر طعنها ، فامتقع لونها ، وجمدت فى مكانها فاغرة الفم من الفزع ، دون أن تحرك ساكنا ، وهى

تنظر أمامها وكانها لم تفهم ! ٠٠ واضطربت ملامحها ، الى حد حمل البارون ، على أن يخفف عنها بعبارة فكهة فقال : ((اظن أن هذا لا يسرك أنت أيضا يا ((سنزى)) ! ولكن ، ماذا نصنع ، وليست لنا فى الامر حيلة ؟))

ومع ذلك فقد أخذت تشيع في وجه ((كريسانس)) المضطرب لحظتئذ ، حركة تشنجية صعدت من الاعماق وراحت تلون صدغيها الشاحبين شيئا فشيئا ٠٠ انها شىء أخذ يصتعد فى بطء ، مدفوعا بوجيب عنيف راح صدرها يهتز له ، حتى وصل أخيرا الى شفتيها ٠٠ ومن بين أسنانها المطبقة انبعث صرير يقول : ((ان ٠٠ هناك شيئا ٠٠٠٠ يجب أن يعمل !))

انبعث هذا الصرير فى عنف كأنه القذيفة النارية ، ثم تقلص وجهها مكفهرا بالشر بعد هذا التنفيس ، مما حمل البارون على التقهقر على الرغم منه ٠٠ لكن «كريسانس» كانت قد استدارت ، وأخذت تنظف هاونا من النحاس فى نشاط محموم ، يخيل للرائى أنها ستكسر فيه أصابعها !

- ٧ -

◆ وبعودة الزوجة استأنفت العاصفة هبوبها فى المنزل : فالابـــواب تصطك فى عنف ، والصراخ يرتفع فى كافة الحجرات ، مكتسحا ذلك الجو الدافىء المريح الذى ساد فى الايام السابقة ٠٠ ولعل الزوجة البائسة قد أحيطت علما - بفضل ثرثرة الجيران ، أو بفضل خطابات غفل من الامضاء تلقتها - بسلوك زوجها المعيب ٠٠ أو لعل الزوج - الذى لم يخف سخطه لعودتها - قد أساء استقبالها ، مما أثار حفيظتها ! على أية حال ، فقد بدا ان الشهرين اللذين قضتهما فى المصحة لم يأتيا بأية نتيجة لتهدئة أعصابها المتوترة ، فعادت الى نوبات الدموع والتهديدات ومشاهد الغضب ، وأخذت العلاقات بين الزوجين تزداد سوءا ٠٠ ومع ذلك ، فان البارون لم يتخل قط - ازاء حملات التقريع التى كانت زوجته تشنها عليه - عن ذلك التأدب الذى خبره منذ زمن بعيد ! وعندما كانت تهدده بأن تكتب لذويها وتهجره ، كان يتجنب الرد عليهـــا ، أو يبذل جهده لتهدئتهـــا ٠٠ ولكن مثل هذا السلوك لم يكن يؤدى الا الى اشتداد انفعال هذه المرأة التى كانت تحس بأن لا سند لها ، وبأنها محوطة بعداوة سرية !

٠٠ أما ((كريسانس)) فقد عادت الى التحصن الكلى خلف صمتها القديم ٠ ولكن هذا الصمت أصبح عدوانيا خطرا ، فقد أصرت فى بادىء الامر على عدم الخروج من المطبخ عند قدوم سيدتها ٠ وعندما دعتها السيدة بعد أن تبينت أنها لم تخرج من المطبخ للقائها ، رفضت أن تحييها ، وظلت جامـــدة فى موقفها وقد زمت كتفيها الى الامام كمن يتاهب للوثوب ، وأخذت ترد على

أسئلة البارونة فى نغمة تنضح بالحقد ، حتى نفد صبر السيدة فاستدارت ٠٠ واذا بنظرة بغض تخترق ظهرها كالخنجر ، دون أن تشعر ٠

والواقع ان ((كريسانس)) أحست منذ عودة سيدتها بالحرمان ٠٠ فبعد أن تذوقت ملذات الخضوع الذى لم يكن يقف عند حد ، والذى كانت تتفانى فيه بكل قلبها وروحها ، اذا بها تنزوى من جديد فى المطبخ ، بل وتحرم من اسمها اللطيف ((ليبوريللا)) ! فقد أخذ البارون يتجنب فى حذر أن يظهر لكريسانس أى عطف أمام زوجته ٠ ومع ذلك فقد أتفق بعد احدى المعارك البالغة العنف ، أن أحس بالحاجة الى الترويح عن نفسه ، فتسلل الى المطبخ ، حيث جلس على أحد مقاعده وتنهد قائلا : ((اننى لم أعد أحتمل!))

وكانت اللحظات التى يلتجىء فيها هذا السيد المعبود الى المطبخ ، وقد أثقله التوتر الشديد ، أسعد اللحظات عند «ليبوريللا» ، التى لم تسمح لنفسها قط بأن ترد عليه أو توجه اليه كلمة عزاء ٠٠ وانما كانت تظل صامتة منطوية على نفسها ، مكتفية بأن ترفع أحيانا نظرة «اشفاق» نحو معبودها ، الذى كان يجد راحة فى هذا العطف الصامت ! وما ان يغادر المطبخ ، حتى كانت التقطيبة الثائرة تعود الى جبهة «كريسانس» ، فتروح تعجن اللحم المستسلم بين يديها الثقيلتين ، فى حركة عصـــبية ، أو تصب غضبها على الفضيات والاوانى التى تنظفها !

فى مثل هذا الجو ، حدث فى النهاية ما لم يكن بد من حدوثه : انفجرت العاصفة ! فخلال أحد المشاهد العنيفة فقد البارون صبره ، وتخلى عن دور الغلام المتواضع الخاضع ٠٠ فصاح فى غضب : « كفى ! » ٠٠ ثم صفق خلفه باب الصالون فى عنف ، اهتزت له ألواح الزجاج فى كافة الغرف ، وانطلق الى المطبخ حيث كانت « كريسانس » تهتز كالقوس المشدود ، وقال : « أعدى لى فورا حقيبتى وبندقيتى ٠ اننى مسافر للصيد لمدة ثمانية أيام ٠ ان الشيطان نفسه لا يستطيع احتمال هذا الجحيم !٠٠ يجب أن أضع له حدا ! »

ونظرت اليه ((كريسانس)) مأخوذة بالنشوة : لقد عاد فأصبح السيد !٠٠ وفى نفس الوقت الذى انطلقت فيه من حنجرتها ضحكة خشنة ، قالت : ((ان سيدى على حق ! يجب وضع حد لهذه الحال !)) ٠٠ وفى حماسة محمومة أخذت تعدو من حجرة الى أخرى ، لتنتزع فى عنف من داخل الدواليب ، أو من فوق المناضد ، كل ما هو فى حاجة اليه .. ثم حملت بنفسها الحقيبة والبندقية الى العربة ٠٠ واذ هم البارون بشكرها ، ارتد اليه بصره مفزوعا ٠ ففوق شفتى الخـــادمة المطبقتين ، كانت تزحف تلك الضحكة الخبيثة التى كانت تروعه فى كل مرة ، اذتبدو له أشبه بتكشيرة الحيوان الذى يتـــأهب

للانقضاض على فريسته ! ولكنها لم تلبث أن عادت الى ذلتها . وفى ألفة جارحة أخذت تتمتم بصوتها الخشن : « فلتطب لسيدى الرحلة .. وليطمئن ! فانى سوف أفعل كل ما يجب فعله » !

- ٨ -

◆ **وبعد** ثلاثة أيام من ذلك التاريخ ، استدعى البارون من الصيد ببرقية ! .. وكان ابن عمه ينتظره فى المحطة . فأدرك فورا أن أمرا غير سار لا بد قد حدث .. سيما وقد لاح ابن عمه مرتبكا مضطرب الاعصاب . وبعد مقدمات قصيرة ، علم البارون أن زوجته قد وجدت فى الصباح فى مخدعها جثة هامدة ، وأن الموت نشأ عن اختناقها بالغاز !.. وأضاف ابن العم أن افتراض القضاء والقدر أمر لا يمكن تصوره ، ففى تلك الفترة من العام - شهر مايو - كان قد مضى زمن طويل على عدم استخدام مدفأة الغاز .. كما أن المسكينة تناولت عشية موتها أقراص « الفيرونال » المنومة ، مما يدل على قصد الانتحار .. وهذا فضلا عن شهادة الطباخة ، التى كانت وحدها بالمنزل فى تلك الليلة ، والتى سمعت سيدتها تمشى أثناء الليل فى دهليز الغرفة ، مما يرجح أنها كانت ذاهبة لفتح صنبور الغاز الذى كان محكم الاغلاق . واعتمادا على هذه الشواهد قرر الطبيب الشرعى عند استدعائه ، فى محضر حرره ، استبعاد فكرة القضاء والقدر ، مقررا أن الوفاة كانت بالانتحار !

وأخذ البارون يرتعد .. فبمجرد أن أشار ابن عمه الى شهادة «كريسانس» ، أحس بيديه تبردان ، واستبدت به فكرة مؤلمة بشعة - كأنها الكابوس - ولكنه كبتها ، وترك نفسه يقاد الى منزله فاقد الارادة . وكان جسد الميتة قد وضع فى تابوت ، والاهل ينتظرونه فى الصالون ، عابسين .. وقد بدا شعورهم العدائى ، وتعازيهم الباردة ، كنصال الخناجر !.. ورأوا أنفسهم مضطرين الى أن يؤكدوا أنه ليست هناك لسوء الحظ وسيلة لاخفاء الفضيحة ، وذلك لان الخادمة أخذت منذ الصباح تهرول فى السلالم صائحة بصوت حاد : « سيدتى قد انتحرت ! » .. ولذلك أوصوا بأن تكون الجنازة بالغة البساطة ، فان الشائعات أثارت فضول الجمهور .. وكان فى كل هذا الحديث ما وجه النصل الحاد من جديد نحو البارون ، الذى انهار وأخذ ينصت فى ذهول . وبالرغم منه ، رفع فى احدى اللحظات بصره الى باب غرفة النوم المغلقة ، ولكنه لم يلبث أن خفضه فى استخذاء .. وحاول أن يسترسل فى تقليب فكرة غامضة أخذت تلح عليه وتعذبه ، لكن هذه الاحاديث الجوفاء الصادرة عن الاهل ، فى بغضاء ظاهرة ، أنزلت به الاضطراب الشديد .. وظل هؤلاء الناس المجللون بالسواد يدورون حوله ويثرثرون ، لنصف ساعة أخرى ،

ثم انصرفوا .. وبقى هو وحيدا فى الغرفة الخالية المعتمة ، يرتعد كمن تلقى صدمة ، وفى جبهته صداع .. وفى مفاصله تكسر !

❖

◆ **ودق** الباب ، فانتفض قائلا : « ادخل » !.. وأحس خلفه بخطوة مترددة ، خشنة ومتسللة معا .. خطوة كان يعرفها جيدا ! وأخذه ذعر مفاجىء . وخيل اليه أن عنقه قد تحجر ، كما انتابته رعشة سرت من صدغيه الى ركبتيه ! وأراد أن يستدير ، لكن عضلاته أبت عليه ذلك ، فظل واقفا فى مكانه وسط الغرفة صامتا مرتجفا ، وذراعاه متدليتان ، متصلبتان، وقد خالجه فى وضوح ذلك الاحساس بالجبن الذى يحسه المجرم ! وحاول أن يتحرك ، لكن مجهوداته ذهبت عبثا ، ولم تستجب له عضلاته .. وما لبث أن سمع من خلفه صوتا جافا غير مكترث يقول : « انما أريد أن أسأل سيدى: هل سيتناول طعامه هنا أو فى المدينة ؟ » ..

وتزايدت رجفة البارون ، وسرت فى قلبه برودة الثلج ، فتلعثم عدة مرات قبل أن يستطيع أن يتمتم بقوله : « اننى لا أريد شيئا الآن ! » .. وأخذت الخطوة تبتعد متثاقلة ، بينما ظل هو عاجزا عن أن يستدير . وفجأة انكسر هذا التصلب ، فأحس بهزة تخترق كيانه من رأسه الى قدميه .. هزة تشنج أو اشمئزاز ! وفى قفزة انطلق نحو الباب ، وأدار المفتاح - وهو يرتعد - كى لا تلاحقه تلك الخطوة اللعينة البغيضة !.. ثم ألقى بنفسه فى مقعد وثير ، ليطرد فكرة كان يحاول أن ينحيها فلا تكف عن أن تلح عليه ، باردة لزجة كالافعى !.. وكانت هذه الفكرة الملحة التى كره أن يفحصها ، هذه الفكرة اللزجة المنفرة ، قد أخذت تغزو نفسه دون أن يستطيع فكاكا منها ، فلم تتركه طوال الليل ، ولا فى الساعات التى تلته .. بل ظلت ملازمة له أثناء دفن المتوفاة ، وهو واقف فى صمت الى جوار التابوت !

❖

◆ **وفى** اليوم التالى للجنازة بادر البارون الى مغادرة المدينة ، اذ لم يعد يطيق رؤية كل تلك الوجوه التى كان عطفها عليه يحمل نظرة غريبة من التساؤل والتحرى الذى كان يضنيه . بل ان الجمادات ذاتها كانت تتحدث اليه فى خبث ، وكأنها تتهمه !

أما الكابوس المخيف الذى أخذ بخناقه فى النوم والصحو ، فقد تمثل فيما لاحظه من عدم اكتراث شريكة أسراره السابقة ، التى أخذت تسرح فى المنزل الخاوى ، كأنما لم يحدث فيه شىء على الاطلاق ! ومنذ اللحظة التى فاه فيها ابن عمه باسمها فى المحطة ، صار البارون يرتجف لمجرد التفكير فى أنه

سيلقاها !.. وصار اذا سمع وقع قدميها ، تملكه انفعال عصبى قلق يدفعه الى الهرب !.. فهو لم يعد يطيق رؤيتها ، ولا جرجرة خطواتها ، ولا برودها وجمود احساسها .. وبات ينتابه الاشمئزاز لمجرد التفكير فيها : فى صرير صوتها ، وفى شعرها اللزج ، واحساسها الاصم الحيوانى ، الذى لا يعرف الرحمة !

وفى غمرة غضبه نقم على نفسه أن أعوزته القوة كى يحطم هذا الرباط الذى بات يخنقه ، حتى لم يعد يرى غير مخرج واحد منه ، هو الهرب !.. فأعد حقائبه سرا دون أن ينبس ببنت شفة لكريسانس ، مكتفيا بأن يترك لها مذكرة مقتضبة يخبرها فيها بأنه قد ذهب الى أصدقاء فى « كارنتيه »

- ٩ -

◆ **وظل** البارون متغيبا طوال الصيف ، حتى استدعى الى « فيينا » كى يسوى حساب الميراث .. ففضل عندئذ أن يعود الى العاصمة « سرا » ، وأن ينزل فى فندق ، دون أن يخطر ذلك الكائن المشئوم الذى كان ينتظره فى منزله !.. والواقع أن « كريسانس » لم تتلق منه أى خبر طوال غيبته .. وكانت تعود الى محاميه فيما يختص بالعناية بالمنزل وتغطية المصروفات الجارية . وفيما عدا ذلك كانت تقضى الايام منتظرة فى المطبخ ، جامدة فوق مقعدها ، كئيبة كالبومة !.. ثم بدأت تذهب الى الكنيسة مرتين فى الاسبوع بدلا من مرة واحدة . وأخذت عظام وجهها تزداد بروزا .. وشكلها يشتد قسوة .. وأصبحت حركاتها حركات تمثال آلى !.. وعاشت على هذا المنوال أشهرا طويلة ، فى حالة خمول غامض !

ومع ذلك فقد جدت فى الخريف أمور عاجلة ، منعت البارون من أن يطيل غيابه ، واضطرته الى أن يعود الى منزله .. فوقف مترددا عند مدخل المنزل !.. كان الشهران اللذان قضاهما بين أصدقاء حميمين قد أنسياه أشياء كثيرة .. **أما الآن ، وقد أوشك أن يجد نفسه وجها لوجه أمام ذلك الكابوس - بل أمام تلك الشريكة فى الجرم ! - فقد أخذت تعاوده نفس التقلصات الخانقة ، ونفس الغثيان القديم !.. فكان كلما صعد درجة من السلم ازداد تباطؤا ، وكأن يدا خفية تأخذ بخناقه ، وتزداد ضغطا عليه شيئا فشيئا ! واحتاج الى أن يجمع ارادته كلها كى يحمل أصابعه المتجمدة على أن تدير المفتاح فى قفل الباب الخارجى ، ليدخل ..**

.. وما ان فوجئت « كريسانس » بسماع صرير المفتاح حتى قفزت الى خارج المطبخ !.. فلما رأت سيدها ، امتقع لونها لحظة ، ثم مالت نحو الحقيبة التى وضعها عند قدميه ، كى تطرق برأسها الى الارض .. ولكنها نسيت أن تقدم اليه تحياتها ، كما أنه من ناحيته لم يفتح فمه !.. وفى

صمت حملت الحقيبة الى الحجرة ، وفى صمت تبعها هو !.. ثم أخذ ينظر من النافذة منتظرا أن تغادر الغرفة ، فلما فعلت سارع الى اغلاق الباب بالمفتاح مرتين !

*

◆ **وانتظرت** « كريسانس » ــ كما انتظر البارون أيضا ــ أن تختفى تلك « القشعريرة » المزعجة التى كان يحس بها عند رؤيتها !.. ولكن عبثا .. فقد كان الضيق يأخذ بخناقه بمجرد سماع وقع خطواتها بالردهة ، دون أن يراها !.. ولم يعد يتناول افطاره فى البيت ، بل كان يسارع فى كل صباح الى الهرب ــ بغير أن يوجه اليها قولا ! ــ فيظل غائبا حتى ساعة متأخرة من الليل ، لا لشىء الا لتجنب رؤيتها !.. وعندما كانت الضرورة الحتمية تقتضيه أن يوجه اليها الحديث ، ليصدر اليها أوامره ، كان يفعل ذلك وهو مشيح بوجهه عنها .. بل ان مجرد استنشاقه هواء الحجرة ــ التى تجمعه وهذا الشبح ــ كان يخنقه ويكاد يزهق أنفاسه !

.. وفى تلك الاثناء ، كانت كريسانس تقضى سحابة يومها فوق مقعدها فى صمت مطبق ، فلم تعد تطهو شيئا لنفسها ، وكانت تنفر من كافة أنواع الطعام ، وتتجنب جميع الناس !.. كانت قابعة هناك واجفة القلب ، كالكلب الذى يعلم أنه أخطأ ، ولكنه ينتظر صفير سيده يبشره بالصفح ! انها لم تدرك بعقلها المغلق ما حدث .. ولكن مجرد تجنب سيدها اياها ، وزهده فى خدماتها ، كان يؤثر فيها تأثيرا عميقا !

وبعد عودة البارون بقليل دق الباب ، واذا برجل أشيب الشعر ، حليقه فى عناية ، ينتظر لدى الباب وبيده حقيبة . وأرادت كريسانس أن تعرف من يكون ، فقال انه الخادم الجديد الذى طلب اليه السيد أن يحضر فى الساعة العاشرة . وطلب اليها أن تبلغ سيدها بقدومه .. فامتقع لون « كريسانس » ، وظلت لحظة كالمتجمدة ، مادة يدها فى الهواء ، وقد تصلبت أصابعها المنفرجة ، ثم سقطت يدها كالعصفور الذى أصابته رصاصة . وفى صوت مختنق ، قالت للرجل : « تول أنت تبليغه » ! ثم حبست نفسها فى المطبخ بعد أن صكت الباب من خلفها !

*

◆ **واستلم** الخادم عمله . ومنذ ذلك اليوم ، لم يعد السيد فى حاجة لأن يوجه الى « كريسانس » أى حديث . فقد كانت الاوامر الخاصة بها تنقل اليها بوساطة هذا الخادم الكهل الهادىء . ولم تعد تعلم بما يجرى

فى المنزل ، فقد صار كل شىء يمر فوقها فى برود ، مرور الموجة فوق الحجر !

واستمرت هذه الحال خمسة عشر يوما كانت وبالا على « كريسانس » ، فأضحى وجهها مدببا حاد الزوايا ، وابيض شعرها فجأة عند الصدغين . واستمرت تجلس على مقعدها كأنها كتلة من الخشب ، محدقة بنظرها الخاوى فى فضاء النافذة .. وصارت حركاتها ، حين تشتغل ، تشبه نوبات الصرع !

وفى نهاية الاسبوعين ، أتى الخادم يوما الى السيد فى مكتبه . واستنتج البارون من مظهره أن لديه شيئا هاما يود أن يفضى به اليه . وكان الخادم قد سبق له أن شكا من غلظة تلك التيرولية القذرة ، واقترح طردها .. ولكن لاح عندئذ أن البارون لا يستمع اليه ، فانسحب الخادم منحنيا .. أما فى هذه المرة فقد صمم على فكرته . وفى عبوس ينم عن الحرج ، تمتم راجيا من سيده أن يسخر منه اذا شاء ، ولكنه .. مضطر .. نعم ، لا مفر له من أن يعترف بأنه .. خائف منها !.. فان هذه المرأة المنطوية الشريرة لا تطاق. و « السيد لا يعلم قطعا أى شخص خطر يظله منزله ! »

وعند سماع هذه الالفاظ ، انتفض البارون ، وسأل الخادم عما يعنيه ، فاضطر هذا الى أن يتراجع ، وادعى أنه لا يستطيع تحديد شىء ، ولكنه يحس أن هذه المرأة حيوان متوحش ، قادر على أن يأتى أمرا رهيبا .. ولقد فطن الى نظرة منها أشعرته بأنها تود لو كتمت أنفاسه ! ومع انه ليس من الصواب أن يبنى حكما على مجرد نظرة ، الا أنه منذ ذلك الحين صار يخافها ، الى حد أنه كان يخشى أن يمس لونا من ألوان الطعام التى تعدها ! .. ثم أضاف : « لا شك أن سيدى البارون لا يعلم الى أى حد تبلغ خطورة هذه المرأة ! انها لا تتكلم ، ولا تقول شيئا ، ولكننى أحسبها قادرة على أن ترتكب .. جريمة ! »

وألقى البارون المفزوع نظرة مفاجئة على صاحب الاتهام ! .. ترى هل سمع حديثا عن شىء محدد ؟.. هل عبر له أحد عن شك ما ؟.. وأحس بأصابعه ترتجف ، فسارع الى القاء السيجار حتى لا يفضح تعرج الدخان اضطراب أعصاب يديه !.. ولكن وجه الخادم الكهل لم يكشف عن أى قصد دفين .. لا !.. لا بد أنه لا يعرف شيئا !.. وتردد البارون ، ثم تسلح فجأة بميله الباطنى وقال : « اصبر عليها قليلا .. ولكن اذا عادت الى الفلظة معك ، فلتعطها بالنيابة عنى حسابها وتفصلها »

وانحنى الخادم ، وعاد البارون الى الجلوس . كان التفكير فى هذه المخلوقة الغامضة الخطرة ، يفسد عليه نهاره كله .. وقال لنفسه : « قد يكون من الافضل أن يحدث هذا أثناء غيابى .. فى فترة عيد الميلاد مثلا ! »



.. وكانت مجرد فكرة الخلاص المرتقب تشعره بالراحة • وعاد يكرر : « نعم ، أثناء فترة عيد الميلاد .. أثناء غيابى » .. وكأنما كان بهذا التكرار يبرر قراره فى عينى نفسه !

- ١٠ -

على أنه – فى اليوم التالى – لم يكد ينسحب الى مكتبه بعد الطعام ، حتى أخذ الباب يدق • فانتزع بصره بحركة آلية عن الصحيفة التى كان يطالعها، وزمجر قائلا : « ادخل! »

•• واذا بالخطوة البغيضة – تلك الخطوة القاسية المجرجرة التى تقض أحلامه – تصك أذنيه ! •• وفوق هيكل «كريسانس» الاعجف الاسود ، كان يهتز رأس ضامر ممتقع يذكر الرائى برأس ميت ! •• فأخذ شىء من الشفقة يخالط فزع البارون ، حين رأى ذلك المخلوق البائس المنحنى على نفسه يقف فى خوف عند حافة السجادة ! •• ولكى يخفى ارتباكه ، قال متظاهرا بالسذاجة : « هه ! ما وراءك يا كريسانس ! » •• ولكنه لم ينجح فى أن يعطى عبارته النغمة اللطيفة التى أرادها •• ولاح سؤاله – بالرغم منه – جافا •• غير ودى !

ولم تتحرك « كريسانس » ، وانما غاص بصرها فى السجادة •• وفى النهاية تمتمت فجأة كمن يركل فى عنف شيئا بقدمه ، قائلة : « لقد أخطرنى الخادم بفصلى من الخدمة •• وقال انه يفعل ذلك بناء على أوامر السيد ! »

فنهض البارون ، وقد اشتد به الضيق والحرج •• انه لم يكن يحسب أن الامر سيسير بهذه السرعة ! •• وأخذ يرد عليها

بطريقة غامضة غير محددة ، ناصحا اياها بألا يفزعها الامر ، وأن تحاول الاتفاق مع الخدم الآخرين ٠٠ وبالجملة قال لها كل ما مر برأسه ٠ ولكن « كريسانس » ظلت جامدة فى موقفها ، وعيناها لا تفارقان السجادة ، ورأسها غائر بين كتفيها ، ورقبتها محنية فى عناد ٠٠ لم تكن قد أنصتت الى شيء مما قال ، فقد كانت ترتقب عبارات أخرى لم توجه اليها ! ٠٠ حتى اذا صمت البارون فى النهاية ـ ساخطا على هذا الدور الحقير الذى لعبه أمام الخادم ـ تمتمت قائلة : « انما أردت فقط أن أعرف هل سيدى البارون هو الذى كلفه بطردى ؟ »

قالت هذه العبارات فى قسوة وعنف غاضب ، فأحس البارون المهتاج الاعصاب بتحفز ٠٠ أهو تهديد ؟٠٠ أهو استفزاز ؟٠٠ وفجأة ، تلاشى من نفسه كل جبن ، وكل شفقة ٠٠ واختلط البغض والاشمئزاز اللذان تجمعا فى نفسه منذ أسابيع ، بالرغبة فى انهاء هذا الوضع ٠٠ فغير لهجته تغييرا تاما ، ليؤكد بالبرود « الادارى » الذى تعلمه قديما فى منصبه الحكومى ، أنه قد فوض الخادم تفويضا تاما فى كل ما يختص بشئون المنزل ٠ وأنه شخصيا لا يريد لها غير الخير ، كما أنه مستعد لان يسوى المسألة ، على أنها اذا أصرت على الاستمرار فى فظاظتها مع الخادم ، فسوف يجد نفسه مضطرا الى أن يستغنى عن خدماتها !

وعند التفوه بهذه العبارات الاخيرة ، استجمع كل قوته ، وقد انعقد عزمه على ألا يتأثر بأية ألفة أو أى تلميح خفى ٠٠ وجعل يحدق بعزم واصرار فى تلك التى ظن أنها تهدده !

لكن النظرة التى رفعتها « كريسانس » نحوه فى تلك اللحظة ، فى استحياء ، لم تكن الا نظرة حيوان جريح ، يرى أمامه كلاب الصيد خارجة اليه من خلال الاحراش التي كان يأمل أن يجد فيها مأوى له وملاذا !

وتمتمت الخادم قائلة بصوت كسير : « شكرا !٠٠ انى ذاهبة !٠٠ فلست أريد أن أثقل على السيد ! »

وفى بطء ، ودون أن تلتفت ، خرجت تجرجر قدميها ، متهدلة الكتفين !

*

◆ **وفى** المساء ، عاد البارون من « الاوبرا » ، واذ تقدم يتناول بريده اليومى من فوق مكتبه ، لمح على المكتب شيئا غريبا مستديرا ٠٠ صندوقا صغيرا من الخشب المحفور بالطريقة الريفية ، لم يكن مغلقا بمفتاح ٠ وفى داخله ، الى جوار حزمة من أوراق البنكنوت المستطيلة ، وجد تلك الاشياء الصغيرة التى كانت « كريسانس » قد أخذتها منه ، وقد رتبت فى عناية : بعض خرائط الصيد ، وتذكرة مسرح ، وخاتم من الفضة ٠٠ وثمة صورة فوتوغرافية أخذت لكريسانس فى « التيرول » منذ عشرين عاما ٠٠ وفى عينيها اللتين أفزعهما يومئذ بلا ريب وهج المغنسيوم ، رأى نظرة الحيوان المطارد ٠٠ نفس النظرة التى لاحظها فى عينيها بعد ظهر اليوم ، وهى تغادر مكتبه ٠٠

وأحس البارون بشىء من الارتباك ، فدفع الصندوق ٠٠ ونادى الخادم ليسأله عن سر وجود هذه الاشياء الخاصة بالطباخة على مكتبه !٠٠ فانطلق الخادم بدوره ليبحث فورا عن غريمته ، كى تقدم لسيده ايضاحا ٠٠

لكن « كريسانس » لم تكن بالمطبخ ٠٠ ولا بأية حجرة أخرى ٠٠ ولم يعرف مصيرها الا فى اليوم التالى ، حين أعلن البوليس أن امرأة فى نحو الاربعين قد انتحرت بالقاء نفسها فى قناة الدانوب ٠٠ ومنذ تلك اللحظة لم يعد هناك محل للتساؤل عن مكان ليبوريللا !

ثقافة الأديان

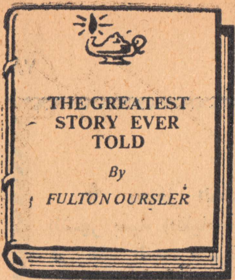


أصحاب العقائد والرسالات

عزيزى القارىء ..

لما كانت رسالة ((كتابى)) تستهدف تعميم الثقافة الرفيعة بجميع الوانها ، وفى جميع مجالاتها وميادينها .. ولما كانت الثقافة الدينية من اول اسس الحضارة البشرية والتاريخ الانسانى ، فقد رأيت ان اقدم لك فى هذا الباب الجديد دراسات شاملة لسير اصحاب الوحى من دعاة العقائد والاديان ، ثم لسير انبياء الصف الثانى فى الديانات السماوية الثلاث .. على ان اتبعها فى فرصة قريبة بمجموعة مكملة لها من القصص الانسانية التى وردت فى كتب الأديان نفسها ، اى من قصص التوراة والانجيل والقرآن ..

وهكذا تقرأ فى هذا الباب بعون الله قصص هؤلاء ، حسب الترتيب الزمنى لظهورهم : موسى ، المسيح ، محمد .. ثم سير الانبياء والرسل : ابراهيم ، اسحق ، اسماعيل ، يعقوب ، يوسف ، شعيب ، داود ، سليمان ، ايوب ، يونس ، زكريا ، يحيى ، اشعيا ، يوحنا ، بولس ، ابى بكر الصديق ، عمر بن الخطاب ، عثمان بن عفان ، على بن ابى طالب .. ثم من الأئمة والمصلحين الدينيين : ابى حنيفة ، بن حنبل ، مالك ، الشافعى .. مارتن لوثر ، كلفن .. الخ .. الخ



الكتاب الذي بيعت منه ٣ ملايين نسخة !

حياة المسيح

للكاتب الأمريكي "فلتون أورسلر"



الرسم مقتبس عن لوحة للرسام العالمي « فيودور ديمسكي »

هذا الكتاب ..

◆ يحتفل العالم المسيحى - فى الشرق والغرب - خلال هذا الشهر بعيد (القيامة) المجيد . وقد رأيت لهذه المناسبة ان أقدم لك فى هذا العدد سيرة حياة (المسيح) ، داعية المحبة والتسامح والسلام ، ومؤسس الديانة المسيحية ، مواصلة لهذه السلسلة الثقافية عن دعاة العقائد والديانات - السماوية وغير السماوية - التى نشرنا منها فى العددين الماضيين : حياة بوذا ، ثم حياة موسى .. وننشر منها - بعد الجزء الثانى من حياة المسيح - ((حياة محمد)) : حسب الترتيب الزمنى لكل منهم ، ولمناسبة احتفال العالم الاسلامى فى ٢٣ مايو القادم بعيد الفطر المبارك

والكتاب الذى يقص عليك فيما يلى حياة المسيح ، هو أحدث - ولعله أوفى - كتاب فى هذا الباب ، وقد وضعه الباحث الامريكى ((فولتون اورسلر)) بعد ان قام برحلتين طويلتين الى ارض فلسطين فى عام ١٩٣٥ ، وشرع فى تأليفه منذ ذلك التاريخ فلم يفرغ منه الا فى عام ١٩٤٩ - بعد ١٤ عاما ! - وقد بلغت صفحاته الاربعمائة ، واطلق عليه مؤلفه اسما فريدا فى بابه ، هو ((اعظم قصة رويت)) !

وقد طبعت من الكتاب حتى الآن خمس وخمسون طبعة ، ما بين غالية وزهيدة ، بيع من نسخها ما يربو على الثلاثة ملايين .. كما اقتبس منه برنامج اذاعى اذيع من محطات الاذاعة الامريكية على حلقات اسبوعية استغرقت شهورا .. ويقول الناقد المسيحى المشهور ((نورمان فنسنت بيل)) عن هذا الكتاب : ((فى كل خمسين سنة تقريبا يظهر كتاب قيم عن حياة المسيح . وهذا الكتاب - فى نظرى - من أحسن ما كتب فى هذا الموضوع))

١ - مولد طفل

يوسف .. النجار

◆ **كان** أهل (الناصرة) يقولون ان ((يوسف)) يشبه سلفه العظيم - وسميه - ((يوسف الصديق)) ، ابن يعقوب المفضل . والحق ان نجار الناصرة ذا اللحية الذهبية كان ، على خلاف أبناء عشيرته السمر ، رجلا حالما رزينا ، هادىء الصوت ، أقرب فى مظهره الى طالب العلم منه الى الصانع

الذي يمارس حرفة يدوية .. وكان قد نشأ يتيما، كفله عمه وعلمه حرفته، فاستطاع أن يستخدم يديه فى صنع مقعد ، أو باب ، أو محراث .. وكان حانوته يتميز بنظافته ، وقد أعد فى نهايته سريرا ، يجاوره موقد كان يطهو عليه الطعام بنفسه . فاذا ما جن الليل أنفق الســاعات الطوال يقرأ ، على لهب المصباح الخافت ، الاسفار التى كان لا يفتأ يستعيرها ..

OVER 3 MILLION COPIES SOLD!

THE GREATEST STORY EVER TOLD

صورة زنكوغرافية لرأس الطبعة الخامســة والخمسين للكتاب ، سجل عليها بيع ٣ ملايين نسخة من الطبعات السابقة

وكان أهل البلدة يعتبرونه خيالى النزعة ، « مثاليا » ، لانه كان ينأى بنفسه عن الانغماس فى لعب الميسر مع رجال القوافل العابرة ، كما كان يتجنب مصاحبة نساء الحانات مثل أفراد عشيرته الذين يعيشون على الفطرة .. وكانت (الناصرة) ، بحكم موقعها الجغرافى بين أوربا وآسيا ، مركزا تجاريا تروج فيه مختلف السلع : من توابل الشرق ومنســوجاته الحريرية ، الى مصنوعات الغرب ، وبضائع الاسكندرية ودمشق ..

وذات مساء ، وفد الى حانوت يوسف تاجر من أصدقائه يدعى «صموئيل»، فلامه على الحياة الموحشة التى يحياها ، والتى لا مكان فيهـــا للحب أو الغزل ! .. ثم تطرق بهما الحديث الى السياسة والدين ، فقال الزائر والألم يحز فى نفسه : « لقد مللنا تعاليم أنبيائنا وقضاتنا ، فما نحن فى الحقيقة الا عبيد نشقى فى خدمة روما . لكم نتوق الى أن نتحرر ! » .. فأشار عليه يوسف بأن يخفض من صوته ، خشية أن يبلغ مسامع السلطات وأرصادها ، فلقد حكم الرومان الشعب بيد من حديد ، خلال المائة سنة التى قبضوا فيها على ناصية الامور .. وكلما كان الوطنيون من أهل البــلاد يتحمسون لتحرير وطنهم فيشــعلون الثورات بين حين وآخر ، كانت تلك الثورات تتمخض عن قتل الآلاف المؤلفة منهم ، والتنكيل بالباقين .. فاذا الشعب الذى بلغ يوما ذروة المجد ، وشهد اقدام « يشوع » ، وقوة « داود » ، وحكمة « سليمان » وعظمته .. يصبح مستعبدا ، ذليلا ، خاضعا ، يدفع الجزية لاغسطس قيصر !

.. واذ حث الزائر يوسف على الانضواء تحت لواء الثائرين ضد الحكم الرومانى ، أبدى الاخير تحمسه لتحرير وطنه من نير المستعمرين ، ولكن بغير سلاح العصيان وسفك الدماء .. وانما بانتظار مولد « مســيا » ـ المسيح ـ المرتقب ، (حسب نبوءة التوراة) ، « الذي سوف يخلص شعبه ويقوده الى السلام ! »

لكن صموئيل ، الذى كان قد ضاق ذرعا بالكتب والنبوءات ، قال لمحدثه في مرارة : « ان الملك هيرودس لا يتورع عن قتل الابرياء اشباعا لشهواته ، وقد ساءت الحال ، وأنت ما زلت متمسكا بتلك الوعود والنبوءات التى ظلت تردد على مسامعنا منذ مئات السنين ؟ لعلك تتــوقع أن تعيش حتى ترى المسيح المنتظر وتصبح صديقا له ؟!

فأجابه يوسف فى تواضع : « من أنا ، النجار البسيط ، حتى أصادق المسيح ؟ كل ما أطمع فيه أن أحيا حياة هادئة يسودها السـلام . على أن مجىء المسيح قد أصبح على الابواب ، بحيث باتت الرقابة تفرض على كل طفل يولد من نسل داود فى هذه الايام ، خشية أن يكون هو المسـيح المنتظر ! »

ـ يا لك من غرير مسكين يا يوسف ! .. عش فى أوهامك .. ووحدتك

ـ لن تطول وحدتى ، فلقد وجدت الفتاة التى تصلح زوجة لى . انهـا صغيرة السن ، تختلف عن سائر فتيات العالم !

وما هى الا لحظات ، حتى مرت أمام الحانوت الفتاة التى تحدث عنهـا يوسف ، تحمل فى يدها ابريق ماء .. واذ رأى الزائر جمالها ، ونبـل مظهرها ، سأل محدثه :

ـ أواثق أنت من أنها وعدتك بقبول الزواج منك ؟

ـ انى لم أفاتحها فى الامر بعد ..

ـ ان شبان البلدة يا صاحبى لهم عيون بصيرة ، ولن يلبثوا أن يحوموا حولها .. فان استسلمت لخجلك ولم تنتهز الفرصة ، أضعت الصفقة !.. أتعرف والديها ؟

ـ ليس بعد . لقد قدموا من (أورشليم) حديثا واستقروا هنـا فى الناصرة

ـ ألا تعرف حتى اسم الفتاة ؟

ـ ان اسمها « مريم »

هواجس .. تسبق الخطبة !

◆ **فى الليلة التى اعتزم فيهـــا يوسف مفاتحـــة والدى « مريم »** ـ «يواقيم» و «حنة» ـ بشأن رغبته فى الزواج منها ، اغتســل وقص لحيته ، ونسق شعره ، ثم حمل هدية من حلوى (دمشق) وسار صوب المنزل المنشود الذى كان يبعد عن حـــانوته نحو ميل . وكانت تنزل فى ضيافة الاسرة فى تلك الآونة ابنة خالة مريم ، المدعوة « اليصابات » ، وكانت تكبرها بنحو ٤٠ عاما ، وقد تزوجت منذ شبابها من كاهن يدعى « زكريا » ، لكنها لم ترزق منه نسلا . وكانت تأتى من حيث يقطنان فى

قرية (عين كارم) كى تزور خالتها ، مرة أو مرتين كل عام ..

وحين وصل يوسف الى الدار استقبله يواقيم فأجلسه وحياه ، ثم دخل الوالد لينبىء زوجته ، فخرجت مريم واليصابات من الغرفة ، واذ ذاك صارحت « حنة » زوجها بأنها منذ سمعت بميل يوسف الى ابنتها تولاها خوف مبهم - لا تدرى له سببا ولا مبررا ! - وكأن مريم سوف تصيبها محن ومتاعب قاسية من جراء زواجها من يوسف ، سيما وان عائلتها معروفة بقدرة أفرادها على الشعور أحيانا بما يخبئه لهم المستقبل !.. ثم أضافت الزوجة : « ولكن ينبغى أن أتغلب على هواجسى هذه ، فاننى أود لمريم أن تنعم بالحب والسعادة كما ننعم نحن يا يواقيم .. فادع يوسف الى هنا »

وأقبل يوسف ، فلم تكد عين « حنة » تقع عليه حتى أحست نحوه بارتياح بدد هواجسها .. وجلس الثلاثة يتحدثون فى الموضوعات المألوفة : الجو ، والمحصول ، وفداحة الضرائب .. ثم طلب يوسف يد مريم ، مصرحا بأنه يكن لها من الحب والاعجاب ما أغراه بمراقبتها بغير انقطاع منذ قدمت الاسرة الى (الناصرة) ، فيما عدا الايام القليلة التى مرضت اثناءها فلازمت الفراش ، ولم تخرج كعادتها لتستقى ماء من البئر ..

وعند هذا سمعت الام ضحكة خافتة ، أدركت انها صدرت عن مريم التى صعدت مع اليصابات الى السطح لتسترقا السمع ! وتذكرت الام وقلبها يبتسم انها فعلت ذلك بعينه يوم ذهب يواقيم الى دار أبيها ليطلب يدها ! .. ثم نادت ابنتها ، فجاءت مريم ترتدى دثارا أزرق اللون ، ووقفت تجاه يوسف حافية القدمين .. واذ ذاك وضع الاب يدها فى يد يوسف وباركهما، معلنا انهما صارا خطيبين !

الرسـول المجهـول !

◆ **وطرأت** ظروف استدعت سفر الجميع الى مدينة أورشليم - اذ وقعت « القرعة » على زكريا كى يقوم بالخدمة الدينيـة يوما فى هيكلها - فدعت الاسرة يوسف لمرافقتها . وكانت الرحلة تستغرق ثلاثة أيام على ظهور الحمير ، فركبت كل من حنة ومريم حمارا، وأمسك يواقيم ويوسف بلجامى الحمارين. وقربت الرحلة يوسف الى قلبى والدى مريم ، فشعرا كأنه ابن لهما ! ..

واذ وصلوا الى أورشليم ، ورأت مريم عظمتها ومجدها ، همست ليوسف : « يا لها من مدينة عظيمة ! » .. وازداد اعجابهم بها حين زاروا الهيكل ، بردهاته الفسيحة ، وأبهائه ، وأعمدته الرخامية المرتفعة ، وسقفه المصنوع من أرز لبنان ! وكان قد ازدحم بآلاف العابدين الوافدين اليه ، خلال أبوابه الخمسة ، بينما ازدحمت ساحته الخارجية بالصيارفة والباعة ، باعة

الحمام ، والاغنام ، والشموع .. وقد اشتدت حركة البيـع والشراء ، والهرج والمرج .. فطافت بخيال يوسف ذكرى المجد الغابر لهيكل داود ، الذى شيده فى نفس البقعة ، ثم هيكل سليمان العظيم الذى أقامه على انقاضه ، فظل قائما أربعمائة عام ، حتى هدمه ملك أشور « نبوخذ نصر » !

ورأى يوسف فى مقدمة الهيكل رجلا قصير القامة ، كثيف اللحية ، ذا عينين زرقاوين جامدتين ، قد جاوز الاربعين .. ثم سمع يوسف صـوتا يكلمه ، فتلفت ، واذا به أمام صديقه التاجر « صموئيل » الذى حياه وقال له : « هذا الرجل هو « حنانيا » ، الكاهن الاعظم ، الذى يندر حضوره الاجتماعات الدينية ، والذى يحيا حياة بعيدة كل البعد عن التقوى والورع ، ويتآمر مع هيرودس ضد الشعب .. والذى أثرى هو وأتباعه عن طريق الغش ، والخداع ، والتجارة فى ساحات الهيكل ! »

وبدأت الخدمة الدينية .. فوقف زكريا يقود المصلين ، فى مهابة ووقار، الى صلاة صامتة . وبين آلاف المصلين ، لم يعرف الافكار التى كانت تنبعث من قلب زكريا خلال الصلاة ، سوى زوجته « اليصابات » .. فهى تعرف أمنيته « المزمنة » التى لا يمل ترديدها فى صلواته : انه يبتهـل الى الله أن يرزقه .. طفلا !

واذ انتهت الصلاة الصامتة رفع زكريا المبخرة الفضية العامرة بالبخور ، ملوحا بها فوق رؤوس الحاضرين ، ثم أزاح ستار الهيكل ودخل « قدس الاقداس » ، حيث يتقرب الكاهن عادة الى الله بالخشوع والابتهال .. لكن غيبته فيه طالت أكثر من المألوف ، حتى قلق عليه أهله .. وأخيرا ظهر زكريا، ومن شحوب وجهه الشديد أدرك الجميع أن « حادثا » مروعا لا بد قد وقع له .. فسارع حنانيا الى تطويقه بذراعيه خشية أن يسقط ، وعندئذ أشار زكريا الى فمه بما يعنى انه فقد القدرة على النطق ، فاضطر حنانيا الى أن يختم الخدمة !.. ثم رحلت الاسرة بزكريا الى قريته . وحين رأى الخوف والاضطراب يبلبلان أفكار أهله جميعا ، طلب ورقة وقلما .. وشرع يكتب : « لقد تحدث ملاك الى ! ما كادت قدماى تطـآن قدس الاقداس حتى رأيت ملاكا واقفا وقد بسط جناحيه ، فذعرت .. واذ ذاك بادر الملاك يطمئننى : « لا تخف يا زكريا ، فان أمنيتك قد سمعت وأجيبت ، وسـوف تلد لك اليصابات ابنا ذكرا ، تسميه « يوحنا » ، يكون تقيا وعظيما فى قومه ، ويرد الى الدين الكثيرين من العصاة المارقين » .. فقلت للملاك : « لكنى شيخ ، وامرأتى متقدمة فى السن ؟! » فقال وقد بدا عليه الضيق بارتيابى : « أنا جبرائيل ، الملاك الواقف فى حضرة الله ، أرسلت لأبشرك بهذا .. وما دمت لم تصدق كلامى فسوف تفقد النطق الى اليوم الذى يتحقق فيـه

ذلك » .. وعلى أثر ذلك فقدت النطق ، فأيقنت من قرب تحقق النبوءة ! »

وخشيت اليصابات أن يكون زوجها قد أصابه مس من جنون !.. أما حنة فقالت : « بل ان هذا بشير بمجىء نبى !.. فلقد تميزت أسرتنا بالقدرة على استشفاف الغيب » .. وبالفعل ، لم تمض شهور حتى وصل رسول الى « حنة » ذات يوم ، يحمل اليها خطابا من اليصابات تقول فيه : **« سلام الرب معك يا عزيزتى .. لقد سمع الله ابتهالنا وتحققت نبوءة الملاك وها أنا - رغم كبر سنى - حبلى ! »**

ليلة .. بغير احلام !

◆ **وقف** يوسف حين فرغ من عمله اليومى ، أمام رف فى حانوته عليه آنية خزفية ظل يدخر فيها كل فلس يكسبه منذ وقعت عيناه على مريم !.. واذ أفرغ ما بها فى يده ، وأحصاه ، طفح وجهه بشرا وهمس لنفسه : « هذا يكفى لان يبشر بقرب اتمام زواجى ! » .. **ثم انطلق نحـــو منزل خطيبته ، وقد ألهب دفء الربيع قلبه ، واكتست التلال التى تحف بالطريق بالخضرة اليانعة ، وانتثرت خلالها الزهور ذات الالوان الزاهية ..**

واذ اقترب من منزل مريم ، رآها تمسك فى يدها مصباحا وقد انحنت تجمع « تمرا » وتينا مجففا ، فما أن سمعت وقع قدميـــه حتى لوحت له بيدها .. **وبعد تناول العشاء قضى الخطيبان وقتا ليس بالقصير يرسمان برنامج مستقبلهما ، وقد أفعم قلباهما هناءة وايمانا وعزيمة .. واقترحت مريم أن يكون اتمام الزواج بعد ثلاثة أشهر ، حتى تستطيع انجاز ما يلزمها من ثياب .. وفى نهاية السهرة ودعها يوسف على أن يلقاها فى الصباح الباكر عند ذهابها لملء جرتها ، ثم سار وقد أحس نفسه أسعد رجل فى الناصرة !**

وما أن توسد فراشه حتى كحل النعاس عينيه ، فبدأ يحلم بما يحلم به كل رجل : دثار مريم الازرق يرفرف فى الهواء .. وعينى مريم الحالمتين ! .. لكنه لم ير أحلاما صادقة تكشف الغيب ، كتلك التى كان يراها أسلافه الانبياء قديما .. **لم ير ذلك الحدث الذى كان يتخذ طريقه نحو الارض فى تلك الليلة ! كما لم يحلم هيرودس أو شعب البلاد ، أو أغسطس قيصر فى قصره ، بأن العالم على وشك أن يتجه اتجاها جديدا ! ولم يدر بخلد انسان ان هناك انقلابا اجتماعيا على الابواب ، يتخذ طريقه فى ظلام الليل الدامس ..**

وما كاد الفجر يلوح ، حتى هب يوسف من مرقده على صـــوت طرقات متوالية على الباب .. واذا « يواقيم » يقول له فى ارتباك وحيرة ، وهو يضع يده على كتفه : **« تجلد يا ابنى .. ان مريم قد اختفت ! »**

مباركة أنت يا مريم ..

◆ **لقد** فرت مريم من الناصرة ! مريم ذات العينين الزرقاوين ، والشعر الحالك ، المخطوبة ليوسف الذى أحبته بقلبها وروحها ! .. ذلك انه لم تنقض خمس دقائق على توديعها لخطيبها ، حتى طرأ حادث خطير غير مجرى حياتها وقوض كيانها ، فبقيت الساعات الطوال لا تقوى على الكلام ! يا له من اختبار خطير ، وافاها على حين غرة ، ودون انتظار .. لم يكد والداها يصعدان الى السطح فى تلك الليلة ، حتى اضطرها الشعور بالبرد للدخول الى الشرفة الداخلية .. **وهناك رأت شخصا غريبا ، أحاطت به هالة من النور، رغم الظلام السائد ، فذعرت ، وسمرت فى مكانها .. واذ ذاك ابتدرها الغريب بالتحية ، قائلا فى صوت لم تسمع مريم أرق منه : « سلام لك أيتها المنعم عليها . الرب معك . مباركة أنت بين النساء ! » .. فأغمضت عينيها ، وقد سرى شىء من الطمأنينة الى قلبها ، وأصغت الى الغريب يواصل بشارته : « لقد وجدت نعمة عند الله ، وسوف تحبلين وتلدين ابنا وتسمينه « يسوع » .. وسيكون عظيما ، وابن العلى يدعى ، ويملك على عرش داود .. ولا يكون لملكه نهاية ! »**

شعرت بحاجتها الى التأكد .. فسألت ، بنفس الريبة التى عوقب عليها زكريا بالبكم : « كيف يكون ذلك وأنا لم أتصل برجل ؟ » .. ففاض صوت الغريب حنانا واقترب منها ـ حتى عرفت من حفيف جناحيه انه ملاك ـ وأجابها : « الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلى تظللك ، لذلك يدعى القدوس المولود منك ابن الله ! »

جمد جسمها ! لقد كان هذا أكثر مما تستطيع فتاة الناصرة الساذجة فهمه ، أو هضمه ! واذ أخبرها الملاك أن قريبتها اليصابات حبلى فى الشهر السادس ، أيقنت من صدق نبوءته ، فقالت : « هوذا أنا أمة الرب ، ليكن لى كقولك » .. وعندئذ اختفى الملاك !

أسرعت مريم الى مخدعها ، فجثت على ركبتيها ، وأغمضت عينيها ، ثم أخذت تصلى من خلال نحيبها . لكم شعرت بالحاجة الى أن تلقى بنفسها بين ذراعى أمها ، وتبوح لها بهذا السر الخطير .. لكنها لم تستطع . انهم ما زالوا يعتبرونها طفلة ! وسيعتقدون انها تهذى ، متأثرة بقصة زكريا !

ولم يغمض لها جفن فى تلك الليلة ، وبعد ساعتين قضتهما نهبا للارتباك والقلق ، كتبت رسالة الى أمها .. ثم أعدت صرة ثيابها وبعض الطعام ، ورحلت !.. لم تجد مخلوقا فى العالم تستطيع الالتجاء اليه فى هذا الظرف ، وتركن اليه ، سوى شخص واحد : فسارت وقد ولت وجهها شطر ابنة خالتها : « اليصابات ! »

ازمة .. بين الخطيبين !

مضت مريم تغذ السير، حتى صادفت قافلة دعتها للسفر بصحبتها ، وقدمت لها حمارا فركبته ، وقد أخذت تفكر فى والديها حينا .. وفى يوسف أحيانا : ماذا تقول له ؟ وكيف تصارحه ؟ ذلك ما سوف تجد حلا له فى نصائح اليصابات !.. وفى اليوم الرابع دخلت منزل زكريا .. فاستقبلتها اليصابات معانقة ، مرحبة ، بنفس عبارات الملاك : « أيتها المنعم عليها مريم .. مباركة أنت بين النساء ! »

« واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، فاتخذت من دونهم حجابا ، فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا . قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا ، قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا . قال كذلك قال ربك هو على هين . ولنجعله آية للناس ورحمة منا ، وكان أمرا مقضيا »

قرآن كريم ـ سورة « مريم »

.. ثم غسلت لها قدميها ، وقدمت لها طعاما ..

وحل يوم ولادة اليصابات ، فولدت ابنها يوحنا ـ المعمدان ـ واذ ذاك انطلق لسان زكريا من عقاله، بعد انتهاء أجل بكمه المؤقت، واستطاع الكلام !

وعادت مريم الى الناصرة . وذهبت الى يوسف فى حانوته لتفاتحه فى أمرها ، فصدمه شحوبها وهزالها .. لكنه حين عرف السبب تضاعفت صدمته ، فقد ذكرت له انها .. حامل !

ـ كيف ذلك وانا لم اتصل بك بعد ؟

ـ لم يتصل بى اى رجل ، وانما حملت من الروح القدس .. هكذا قال لى الملاك الذى ظهر لزكريا !

ـ ولم لم يظهر لى الملاك ليخبرنى ؟ ألست خطيبك ؟ وهل أنبأت والديك ؟

ـ كلا . لقد رأيت ان انبئك انت قبل اى انسان آخر !

ـ اننى مر النفس متألم ، ويجب ان تتركى لى فرصة للتفكير .. الى غد !

ثم ودعته وانصرفت .. تركته فى حال من التعاسة يرثى لها .. فارتمى على فراشه وهو يتلوى من الألم ، وظل ينتحب طويلا حتى وافاه النعاس .. فظهر له الملاك فى حلم وبدد كل هواجسه ومخاوفه من اتخاذ مريم زوجة له ، لأن ما حدث كان تحقيقا للنبوءة القديمة : « هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ! » .. واذ ذاك اطمأن يوسف وسكنت نفسه ، فلما استيقظ فى الصباح كان قد قرر اتخاذ مريم زوجة له !

أمر .. من روما !

◆ **وكانت** حفلة الزواج غاية فى البساطة .. وأولى يوسف زوجته الصغيرة كل حب ورعاية ، وعكفت هى على بذل اقصى جهدها فى الاهتمام بشئونه وشئون المنزل .. وقد حافظا أمام المجتمع على مظهرهما كزوج وزوجته ، اما فى الحقيقة فقد استعاضا عن رباط الجسد بنشدان السعادة فى الارتباط الروحى ، والامتزاج النفسى ..

وفى تلك الاثناء اراد هيرودس ان يضاعف الجزية على الشعب ، فأمر بعمل احصاء عام استلزم سفر يوسف ومريم - وأبويها - الى (بيت لحم) لقيد اسمائهم فى سجلات عشيرتهم .. وكانت المسافة نحو ٧٥ ميلا ، وقد ازدحمت الطريق بالمسافرين لنفس الفرض ، يستعينون على مشقة الرحلة بالعزف على آلاتهم الوترية والترنم باغانيهم ، وفى الليل يضربون الخيام فى العراء

ولم تكد الاسرة تدخل بيت لحم وتستريح تحت شجرة ، حتى بدأت مريم تعصر يديها وقد شحب لونها .. انها على عتبة الولادة ! وعبثا حاول يوسف أن يجد لها فراشا فى فندق أو خان ، فقد كانت جميع الفنادق مزدحمة بالوافدين. أخيرا قبلت زوجة صاحب الفندق الاخير أن تسمح لها بالاقامة فى مذود البقـــر ، فشكرتها مريم قائلة : « يسرنى أن أجد هذا المكان الدافىء ، فكثيرا ما افترشت الحظيرة ونمت مع الاغنام ! »



« العذراء تدلل طفلها » : للرسام « كوريجيو »

استلقت مريم عـــلى « الفراش » منهوكة القوى ، ترعاها والدتها ، بينما انتحى يواقيم جانبا .. وراح يوسف يذرع المكان منزعجا ، حتى انتفض على سماع صرخة طفل !.. **وفى اللحظة التى نظر فيها الى المولود ، أحس أنه طفل « غير عادى » ، وان هذا الوليد ذا الوجه المتورد والبشرة الناعمة ، الناصعة ، قد أتى الى العالم لا ليأخذ شيئا ، بل ليعطى .. كل شىء !**

الرعاة الثلاثة !

◆ **استسلمت** مريم للنعاس ، و نام الطفل « يسوع » (Jesus) داخل الصندوق الذي كان معدا لوضع علف الحمير والبقر - بعد ان فرشه له الاب الذي « تبناه » بالتبن والقش النظيفين .. وفيما كان الجميع يلتزمون الهدوء ، سمعت ضجة خارج الباب . كان ثلاثة من الرعاة قد جاءوا يبحثون عن الطفل ، ويروون قصتهم : « كنا نحرس اغنامنا اثناء الليل ، وفجأة اضاء نور في السماء ، فتملكنا الفزع والرعب .. واذا ملاك يظهر لنا بغتة ويقول : « لا تخافوا ، فها انا ابشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب . لقد ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب ، وهذه لكم العلامة : تجدون طفلا مقمطا ومضطجعا فى مذود ! » .. وظهر بغتة مع الملاك حشد من جنود السماء يسبحون لله قائلين : « المجد لله في الاعالى ، وعلى الارض السلام ، وبالناس المسرة » ...

ففرك يوسف يديه من شدة الانفعال ، وفتح باب المذود .. فدخل الرعاة وسجدوا للطفل المولود !

وبلغت مسامع هيرودس هذه الانباء المتلاحقة غير العادية : اصابة زكريا بالبكم ، وحمل زوجته المتقدمة فى السن ، ثم حمل عذراء الناصرة البكر ! وموكب الملائكة الذى قاد الرعاة الى مكان الطفل !.. بل ان جواسيس الملك أخبروه بأنهم رأوا ثلاثة من رجال الفلك يدعون الحكماء ، أو « المجوس » - ويقول البعض انهم ملوك متخفون ! - يذرعون البلاد باحثين عن مولود عظيم يقولون ان نجمه قد ظهر لهم فى اقصى بلاد المشرق ، ودلهم على ان الطفل سوف يصير ملكا عظيما .. فجاءوا من بلادهم البعيدة ومعهم جمل حملوه بالهدايا - من ذهب ، ولبان ، ومر - كى يقدموا للمولود فروض الولاء والاجلال ..

وجن جنون هيرودس ، فاستدعى أولئك المجوس .. واذ تحقق من صدق الرواية المنقولة عنهم ، لجأ الى خدعة ماكرة : طلب اليهم ان يرشدوه الى مكان الطفل حين يهتدون اليه ، بزعم انه يبغى الذهاب اليه بدوره كى يسجد له ! .. لكن المجوس ، بعد ان وصلوا الى بيت لحم فسجدوا للطفل وقدموا له كنوزهم ، أوحى اليهم ان يسلكوا فى عودتهم الى بلادهم طريقا غير الذى جاءوا منه ، امعانا فى تضليل هيرودس !

الفرار الى مصر !

◆ **فى** تلك الليلة ظهر ليوسف - فى حلم - الملاك الذى نصحه من قبل بالزواج من مريم ، وقال له : « خذ الطفل وامه واهربوا الى مصر ، لأن هيرودس يزمع قتل المولود ! » .. فانزعج يوسف لعجزه عن تدبير نفقات



« استقبال المولود » : للرسام « دل نوتى »

الرحلة ، واذا حموه يدخل حاملا هدايا المجوس من « الذهب » وسواه .. فجثا الجميع شاكرين لله رحمته وتدبيره !

واحتدم غضب هيرودس حين علم بخدعة المجوس .. وفى نوبة انزعاجه من الطفل الذى حسبه سوف ينتزع منه عرشه فى المستقبل ، خطرت له فكرة جهنمية : استدعى قواده وأمرهم ، وهو يتفصد عرقا ، بأن يرسلوا فرقا من الجيش تحاصر بلدة (بيت لحم) وتقتحم بيوتها بيتا بيتا فتقتل كل طفل ذكر حديث عهد بالولادة ! .. وهكذا لم ينج من اطفال البلدة غير الطفل « يسوع » ، الذى كان أبواه يعبران به فى تلك الآونة صحراء سيناء ، على ظهر حمار ، فى طريقهم الى مصر !

٢ – صبى فى الناصرة

على ضفاف النيل

◆ **ودخلت** «العائلة المقدسة» مصر عن طريق (المطرية) – حيث لا تزال توجد «شجرة العذراء» العتيقة التى يقال انهم تفيأوا ظلها عند مرورهم بها – ومروا بمسلات هليوبوليس (عين شمس) ، التى نقلت فيما بعد الى أكبر ميادين روما وباريس والقسطنطينية ونيويورك ، ثم انتهى بالاسرة المطاف الى بقعة بالقرب من اهرام الجيزة ، حيث استقر الثلاثة فى بيت متواضع .. (وقد تعقبتهم جواسيس هيرودس الى مصر وعين شمس ، لكنهم لم يهتدوا الى مكانهم !)

وعاش المسيح ووالداه فى « الجيزة » نحو عامين .. حتى ظهر الملاك ليوسف ، للمرة الثالثة ، قائلا له : « خذ الصبى وأمه وعودوا الى الناصرة ، فان الذى كان يبغى قتل يسوع قد مات ! » .. فسارع يوسف الى حزم أمتعة الاسرة وعاد الثلاثة عبر الصحراء ذاتها التى جاءوا منها قبل عامين ..

وفى الطريق ، سمعوا من المسافرين العابرين قصة نهاية هيرودس : كيف تمرد ابنه عليه بعد سفكه دماء الاطفال الابرياء ، ودس له السم ، فعاقبه أبوه بقتله !.. ثم أصيب الملك بتشنجات وآلام مبرحة فى أمعائه ، كان يحس منها كأن نارا تلتهب فى أحشائه .. وصارت رائحة فمه نتنة عفنة .. ورغم مساهمة أكثر من مائة طبيب فى محاولة علاجه من هذه الامراض ، فانهم فشلوا جميعا فى شفائه .. فانهارت صحته بالتدريج ، وساعدت على انهيارها حياة التبذل والمجون التى كان يحياها - ويكفى لاعطاء فكرة عنها انه ، فى سن الستين ، كانت له تسع زوجات ، وعدد لا يحصى من المحظيات ! - وحين مات فى النهاية ، خلفه ابنه الثانى ، الذى كان شريرا بدوره .. وان لم يبلغ فى الشر درجة أبيه !

سنوات صباه الباكر

◆ **استقر** يوسف بأسرته فى الناصرة ، وحرص هو ومريم على أن يكفلا للطفل أحسن تربية ، ويكونا له أحسن قدوة ، ويلقناه أصول الشرائع والنواميس منذ نعومة أظفاره . وقد تجلى ذكاء يسوع ، ويقظته ، وتوقد ذهنه ، منذ صباه الباكر . **كان يميل الى الاختلاء بنفسه كثيرا ، ويقضى ساعات طوالا فى التأملات ، أو ما نسميه « أحلام اليقظة » ، يشخص ببصره الى الفضاء وهو جالس أمام داره ، أو يتمدد على عشب الحقل مصغيا لهمسات ريح المساء ، كما لو كانت تتحدث بلغة لا يفهمها الا هو ! بل يمكن القول انه كان يتمتع بالكمال والقوة الخارقين فى كل حاسة من حواسه ، بصورة لعلها لم تؤثر عن طفل سواه منذ آدم !**



« العائلة المقدسة » : للرسام « أندريا دل سارتو »

والحقه « والداه » بمدرسة (شاماى) ، حيث كان يجلس على أرض المجمع يتعلم أحكام الدين وتاريخ الانبياء . وقد أبدى خلال ذلك من الفطنة ، والادراك ، والترفع عن الدنايا ، ورحابة القلب الذى يحنو على كل من حوله .. ما حدا بيوسف أن يقول

لمريم : « ان هذا الطفل يبدو أرفع من أن يستقر فى بلدة حقيرة كالناصرة ! »
واذا استثنينا تزمت الاسرة فى أداء شعائر الدين والتزام فروضه ، أمكن القول ان يسوع قد نشأ فى جو وظروف عائلية عادية ، واستمتع بمباهج الطفولة كأى طفل آخر : **كان يحب الجرى واللعب ، ولكن يكره المنافسة .. يهوى ممارسة الرياضة ، وان لم يجد لذة فى التفوق على خصم !.. وبقدر ما كان أقرانه يكرهون المدرسة والدراسة ، كان هو يقبل عليهما ، ويظهر فيهما ذكاء ممتازا . ويجيب بمهارة عن أى سؤال فى أى سفر من أسفار التوراة !**

وكان الصبى يظهر من الحكمة ورجاحة العقل ما يفوق سنه بكثير !

حرب على النفاق !

◆ **وقد** بدأت تظهر « شخصيته » واتجاهاته منذ فطن الى نقائص الحياة الدينية لقومه : العظات الطويلة المملة .. والصلوات « المحفوظة » المكررة التى تصدر عن الفم ، دون القلب !.. بل لقد استطاع الصبى أن يستشف خلف ستار الخدمات الدينية المقنعة ، حقيقة عكسية موجعة ، هى التزام الحرفيــة المطلقة فى مظاهر الناموس ، وفى ترديد وصــاياه ، دون أن تمتد جــذور التــدين الى أعماق النفس ، أو تنعكس التقوى على المسلك الشخصى للانسان !

بل ان الصبى ، ببعد نظره غير الطبيعى ، بسط اهتمامه الى خارج نطاق الاسرة : الى القرية ، فالمدينة ، فالامة ، فالعالم بأسره .. الذى ينبغى فى نظره أن يكون وطنا واحدا ، يضم أسرة واحدة كبيرة ، هى الانسانية !.. وقد ظهرت نزعته الى المسالمة والتسامح فى نفوره الفطرى من مجاراة صبية البلدة فى ألعابهم العدوانية « الثورية » التى كانوا يرمزون بها الى التمرد على تعسف حكام الرومان ، ونير احتلالهم الغاشم !.. وحين نشبت فى بلدة (صفورة) ثورة شعبية ضد قوات الاحتلال ، أخمدتها هذه بسرعة ثم انتقمت من مشعليها باحراق بلدتهم وذبح قائدهم وصلب ألفى رجل من أتباعــه وحرق جثثهم ثم بيع الباقين عبيدا .. كان منظر الألفى صــليب التى نصبت فى العراء ، والدخان الذى تصاعد من حرق مئات الجثث فزكم أنوف سكان (الناصرة) ، من الذكريات الاولى الاليمة التى انطبعت فى نفســية الصبى يسوع ، وأحدثت تفاعلاتها فى أعماقه !

الدين لب .. لا قشور !

◆ **وكان** أهل الناصرة فريقين : فريق يؤمن بالتحرر من الاستعباد عن طريق العنف والثورة ـ وعلى رأس هذا الفريق التاجر « صموئيل » صديق

يوسف ، الذى أبدل اسـمه الى « باراباس » ، تمهيدا لتزعم الثورة - وفريق آخر يؤمن بالتحرر عن طريق النجدة السلمية التى وعدت بهـا نبوءات التوراة ، ومن بينها نبـوءة ظهور المسيح المنتظر ، الذى سوف يخلص الشعب - وكان من هذا الفريق « يوسف » زوج مريم



« العذراء والطفل يسوع » : لوحة للرسام « ب . باتونى »

وكان يسوع يسمع الاحاديث تتردد فى المدرسة عن قرب مجىء المسيح الذى سيحارب ليخلص الشعب .. وعن أنه سيولد فى بيت لحم ، من نسل داود ، ويعيش فى (الجليل) - الاقليم الذى يضم بلدة الناصرة - وسيظهر نجم فى السماء يبشر بمجيئـه .. وكان يوسف ومريم قد أخبرا يسوع بمجىء الرعاة والمجوس للسجود له فى بيت لحم يوم ولد .. لكنه كان يعلم ما لا يعلمه أهل بلدته ، من أنه لن يأتى مسيح « يحارب » ليحرر الشعب !

وحين بلغ يسوع الثانية عشرة رافق « والديه » لاول مرة الى أورشليم لزيارة هيكلها فى عيـد الفصح . وهناك رأى الصيارفة وباعة الحمام يتخذون الهيكل سوقا لتصريف بضاعتهم ! كما راح يتفرس فى آلاف الوافدين من مختلف البلدان لتقديم ذبائحهم ومحرقاتهم ، وتأدية الفروض والطقوس « الخارجية التى لا شأن لها بالقلب .. فجلس الصبى يحاج الشيوخ ورؤساء الكهنة ويسائلهم عن حقائق الدين ، وعما ينبغى من عناية بلب الحياة الروحية ، دون قشورها .. فبهت الجميع من نضـج ادراكه ، وعجزوا عن شفاء غليله باجابات سليمة المنطق !

فترة الاعداد .. لحمل الرسالة

◆ **وانقضت** ثمانية عشر عاما ، عاشها يسوع فى الناصرة .. ولا يحدثنا التاريخ عن تلك الفترة من حياته بغير النذر اليسير ، ومنه انه فقد خلالها كلا من «أبيه» يوسف ، و «جده» يواقيم ، و «جدته» حنة .. فمارس حرفة «أبيه» - النجارة - كى يقيم أود نفسه وأمه مريم . وكان يحيا حياة

الوحدة والانفراد ، وسط مجتمع صاخب ، ويعلم انه قد اقترب ذلك اليوم الذي سوف يتخلى فيه عن أدوات النجارة ، ويترك أمه ، ليكرس ما بقى من حياته لهداية الضالين وطمأنة الخائفين .. فلن يستطيع سواه أن يجدد حياتهم ، ويهبهم رجاء ، سواء فى هذا العالم أو العالم الآتى !

وظل المسيح زمنا ، قبل أن يغادر حمى أمه ، يعلم انه سيقف يوما موقف المعارضة لطبقة الكهنة الاغنياء ، ذوى النفوذ والسلطان ، الذين يتخذون الدين وسيلة لقضاء مآربهم !.. وكان كلما فكر فى الشرور المتفشية فى المجتمع ، شعر بمسيس حاجة البشرية اليه : أو ليس يرى الشعب يحترم حاكمه الفاسق هيرودس ، الذى اختلس من أخيه زوجته واتخذها لنفسه ؟.. أما هو فينشد اقامة « مملكة » تسودها المحبة والتضحية ، والبر والصلاح ، مملكة لا تقوم على الحرب وسفك الدماء ، ولا يتمتع شعبها بالحرية التى تغتصب عن طريق القتال ، وانما بالحرية الكاملة التى تأتى عن طريق اتباع الحق ، واستهداف حب الله الذى يتولد عنه حب الانسان لاخيه الانسان ..

وهكذا بدأ ينشغل ، وهو جالس حيث كان يحلو له الجلوس فوق التلال المشرفة على المدينة ، بالرسالة التى أحس أنه قد نيطت به تأديتها . لقد أصبح الآن مكتمل الرجولة ، ذا شعر ذهبى داكن مسترسل على كتفيه ، وعينين كعينى أمه البراقتين القاتمتين ، وعضلات أكسبها العمل قوة وصلابة . وكان وجهه أنصع بياضا وأكثر شحوبا من وجوه غالبية الرجال..

٣ ـ مرحلة الاستعداد

صوت صارخ فى البرية !

◆ **وعلى** غير انتظار ، شاع فى الناصرة نبأ عن رجل قوى المراس ، يدعى « يوحنا » ، يجول فى المناطق المجاورة مبشرا بقرب ظهور المسيح المنتظر الذى تحدثت عنه النبوءات ! وقد عرفت مريم ابنها بأن ذلك الرجل يمت اليه بصلة القرابة ، فهو ابن زكريا واليصابات ـ ابنة خالتها ـ وكان قد حضر الى الناصرة بضع مرات مع أبويه ، ثم اختفى بعد موتهما . عاش فى البرية قرب البحر الميت ، وكان طعامه الجراد والعسل البرى ، ولباسه قطعة من وبر الابل يضعها على حقويه . وكان يبشر الشعب بقوله : « أنا أعمدكم بماء ، ولكن سيأتى بعدى من هو أقوى منى ، الذى لست مستحقا أن أحل سيور حذائه ، وهو سيعمدكم بالروح القدس .. فتوبوا وآمنوا ، لأنه قد اقترب ملكوت السموات ! »

واذ سمع به يسوع ، ذهب اليه كى يعمده ، ففعل .. ولكن بعد أن تمنع

برهة وقال : « كان ينبغى أن آتى أنا اليك لتعمدنى ! » . وفيما هو يعمده نزل عليه الروح فى شكل حمامة بيضاء ، وسمع الناس صوتا من السماء يهتف : « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت . له اسمعوا ! »

وعلى أثر ذلك ذهب المسيح الى البرية حيث انفرد مختليا بنفسه ، كى يعدها للرسالة التى شعر أنه جاء الى الدنيا من أجلها . **وهناك صام عن الطعام ٤٠ يوما ، فلما ضعف واشتد هزاله واتته التجربة الكبرى : فقد قاده الشيطان الى جبل عال ، وأراه مجد العالم الذى حوله ، ثم أغراه وراح يمنيه بملك العالم أجمع : فتخضع له الشعوب ، والقادة والملوك ، ويفوق فى العظمة والجاه « دارا » و « الاسكندر » و « هيرودس » ! كل ذلك مقابل شىء واحد : أن يخر ويسجد له ، فانه آت اليه من عند الله ! وكان الشيطان يستشهد خلال كلامه بآيات من التوراة - امعانا فى التضليل - لكن المسيح لم يضعف ، أو يرضخ للتجربة ، بل أجابه بآيات « مضادة » ، قال : « مكتوب فى الناموس أنه للرب الهك تسجد ، واياه وحده تعبد ! » .. فقال له الشيطان : « اذا كنت حقا ابن الله ، فلتأمر هذه الاحجار بأن تتحول الى خبز ! » .. فأجابه المسيح : « مكتوب أنه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله » .. فعاد الشيطان يكرر محاولاته : « الق بنفسك من قمة هذا الجبل ، لتبرهن على أنك آت من السماء . أليس مكتوبا ان الله يوصى ملائكته بك فيحملوك على أجنحتهم ، كى لا تصطدم بحجر ؟! » .. فأجابه المسيح : « ومكتوب أيضا : « لا تجرب الرب الهك » !.. اذهب عنى يا شيطان ! »**

ففارقه الشيطان اذ ذاك .. الى حين !

المعجزة الاولى !

◆ فى اليوم التالى مضى المسيح الى حيث كان يوحنا المعمدان يبشر ، فلما رآه يوحنا قال : «هوذا حمل الله الذى جاء ليرفع خطية العالم ! » - اشارة الى التضحية التى اعتزم المسيح القيام بها ، اذ كان يرمز للتضحية بالحمل الذى يقدم قربانا فى عيد الفصح من كل عام ..

وتكررت مقابلات المسيح ويوحنا ، وأحاديثهما فى أمور الدين والدنيا .. وفى لقائهما الاخير - اذ لم يلتقيا قط بعد ذلك - كان يقف مع يوحنا رجلان يشكوان الفاقة ، يدعى أحدهما « أندراوس » ، والآخر « يوحنا » ، فلما سمعا حديث المسيح عن حياة المحبة ، والتضحية ، وخدمة الآخرين ، تطوعا بأن يتبعاه ويكونا تلميذين - حواريين - له .. لكنه اعترض على تسرعهما ، وطالبهما بالتريث حتى يختبرا مدى صدق رغبتهما ، لان أساس تعاليمه هو التضحية « بالاختيار » ، بعد اعتناق الايمان وزوال كل الشكوك والريب ..



«العذراء» : للرسام «موريللو»

وأثناء الحديث اكتشفت صلة القرابة الوثقى بين المسيح ويوحنا ـ اذ كانت أم يوحنا هى شقيقة مريم الكبرى !

وتبع التلميذان « معلمهما » الى الناصرة، ثم انضم اليهما شقيق لاندراوس يدعى « سمعان » ، فآخر اسمه «فيلبس» ـ كان صيادا ثم عمل ساقيا للجنود الرومان ، لكنه لم يحتمل مجونهم وتهتكهم ! ـ **وحين وصل الجميع الى منزل المسيح كانت مريم تتأهب لحضور عرس فى (قانا الجليل) ، فدعتهم للذهاب معها . وسار الستة الى مكان العرس ، على بعد نحو خمسة أميال ، فلما وصلوا وجدوا هرجا ومرجا ، اذ كانت الخمر قد نفدت فتذمر من ذلك بعض الحاضرين .. واذ ذاك نظرت مريم الى ابنها ـ وكانت تعرف قدرته ـ فأمر الخدم بأن يملأوا الجرار ماء ، ففعلوا ، وماهى الا لحظة حتى صاح البعض : « يا للعجب ! لقد تلون الماء فصار محمرا .. تحول الى خمر ! » .. وحين ذاق رئيس السقاة تلك الخمر قال انه لم يذق أجود منها طيلة الاربعين عاما التى مارس فيها مهنته !**

المرأة السامرية

◆ فى اليوم التالى سار يسوع وأمه وتلاميذه الى بلدة (كفر ناحوم) لزيارة بعض الاهل والاصدقاء . واذ رأى المسيح مركز البلدة التجارى الفريد ، بسبب موقعها الذى كان ملتقى الطرق المؤدية الى دمشق وموانىء البحر الابيض المصرية ، فقد تنبه الى أنها أصلح بلدة يتصل فيها بالشعب ويبشر بدعوته .. وفى الايام الاولى كان عليه أن ينفق وقتا طويلا فى تلقين تلاميذه الخمسة مبادئه وتعاليمه .. ثم حدث ما استدعى انتقال الجماعة بأكملها الى (اريحا) ، فقد جاءهم نبأ المتاعب التى جلبها على نفسه « يوحنا المعمدان » ، بحملاته العلنية فى الاسواق والمجامع ضد الملك هيرودس وزوجته هيروديا ، التى اغتصبها من أخيه واتخذها زوجة له !.. ورغم تعلق الشعب بيوحنا وتردد الملك فى التعرض له ، فقد ألحت عليه

الملكة حتى أصدر أمره بالقبض عليه . واذ ذاك لم ير المسيح وجماعته جدوى فى مواصلة رحلتهم الى أريحا ، فقرروا العودة من حيث أتوا . وعندئذ أدهش المسيح أتباعه باعتزامه أن يسلك - فى العودة - الطريق الذى يمر بمدينة (السامرة) !

صعقتهم الفكرة !.. ذلك ان كل شخص محتشم ، وقور ، من أهل الجليل كان يتجنب تلك المنطقة كما لو كانت مستعمرة للبرص ! وكانت روح العداء المسيطرة على أهل الجليل ضد أهل السامرة ، من القوة بحيث قد تكفى نظرة بسيطة بريئة من سامرى الى جليلى ، لان تعتبر اهانة تؤدى الى اشعال نار الحرب بين المنطقتين !

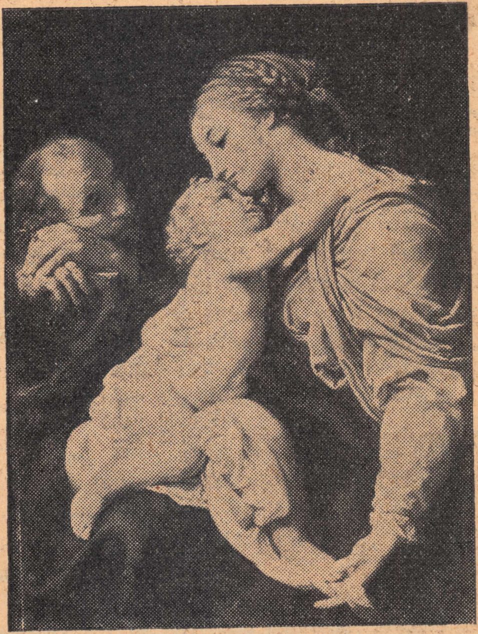
الى هذه البقعة المنبوذة ، التى تقع على بعد نحو خمسين ميلا الى الشمال من أورشليم ، قاد المسيح تلاميذه .. بل وتوغل بهم الى بقعة تاريخية فى أقصى المدينة تعرف باسم بئر يعقوب - اذ يقال ان « يعقوب » وهبها لابنه يوسف (الصديق) ، بل يقال ان قبر يوسف يقع فيها ! - واذ ذهب التلاميذ لشراء طعام ، جلس المسيح على حافة البئر يخلو الى نفسه .. **فجاءت امرأة سامرية تملأ دلوها ، فقال لها : « اعطينى لأشرب » .. فأجابته وقد كادت الدهشة تعقد لسانها : « كيف تطلب منى ماء وأنت جليلى وأنا سامرية ؟ »**

فالتفت اليها المسيح متأملا ، يفكر فى تلك الضغائن المتأصلة بين البلدين، وفى روح العداء التى ألفها بين الناس منذ صباه - والتى كانت الحكومات ذاتها تعضدها ! - ثم قال للمرأة : « **لو علمت من الذى يخاطبك ، لطلبت منه فأعطاك ماء حيا ، من يشرب منه لا يظمأ قط ! »**

- (ضاحكة فى ارتياب) اعطنى اذن من هذا الماء يا سيدى كى لا أظمأ !
- **اذهبى وادعى زوجك ..**
- (وقد طأطأت رأسها الى أسفل) ليس لى زوج
- **بل كان لك خمسة أزواج ، أما الذى معك الآن فليس زوجك !**
- (مذهولة) يا سيد ، أرى انك نبى !

ونسيت المرأة دلوها وانفلتت تعدو الى المدينة ، لتحدث الناس عن النبى الذى نزل بساحتهم !.. وسرعان ما تقاطر أهل السامرة ليروه . وألحوا عليه أن يبقى بينهم أياما ، ففعل . وراح يعلمهم درسا جديدا لم تألفه البشرية . حدثهم عن « أخوة » الانسان لأخيه الانسان ، لان جميع الناس أولاد الله .. وعن نهاية عهد الحقد ، والبغضاء ، وسفك الدماء .. وكيف ان الصفح هو العلاج الناجع للحزازات الدينية ، والمحبة هى البلسم الشافى للجروح .. الخ .. فكان أول درس ألقاه المسيح على الجماهير ، هو درس : « التسامح » !

معجزة شفاء المريض !



((العائلة المقدسة)) : للرسام ((باتونى))

◆ **وبعد** أيام ذات صباح عذب النسيم من أيام الربيع ، سار المسيح وتلاميذه الخمسة عائدين من السامرة الى الجليل. وحين أشرفوا على الناصرة جلسوا يستريحون قليلا ، فالتف حولهم جمع من الفقراء والمتسولين .. وفجأة شق الجمع رجل من أعيان الاقليم ذو ثراء عريض وسلطة ونفوذ .. يلمع على صدره وسام مرصع بالاحجار الكريمة .. فتراجع الجميع مجفلين ، **واذا الرجل يتقدم من المسيح فى انكسار ، والدموع تتساقط على وجهه الشاحب ، فيقول له : ((لقد سمعت أنباء معجزاتك يا نجار الناصرة ، الأمر الذى أحيا فى نفسى الامل بعد اليأس ، فلقد تركت ابنى فى كفر ناحوم يحتضر .. فهلا مددت له يا سيدى يد الشفاء ؟))**

واجهش الرجل بالبكاء .. فأجابه المسيح بصوت هادىء : ((اذهب فى طريقك ، لقد شفى ابنك !)) .. وآمن الرجل ، وانطلق عائدا الى بلدته .. وفى اليوم التالى خف عبيده لملاقاته فى الطريق ، يبشرونه بان ابنه قد

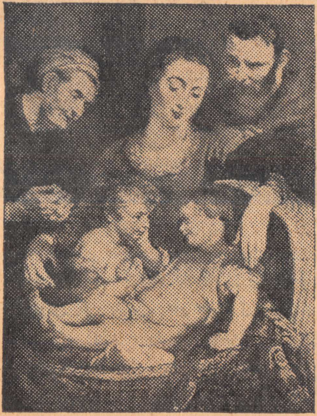
شفى ! وعندما سأل عن الساعة التى زايلته فيها الحمى ، علم انها الساعة ذاتها التى التقى فيها بالمسيح !

وشاعت هذه الاخبار فى القرى المجاورة ، فتبعت المسيح جموع غفيرة ، صار يستهل عظاته لها قائلا : « توبوا وآمنوا » ، فآمن به عدد كبير من سامعيه .. وذات يوم اندفع نحوه شاب كان به روح نجس جعل له شخصية مزدوجة ، فركع عند قدميه صارخا : « ما لنا ولك يا يسوع الناصرى ، هل جئت لتهلكنا ؟ » .. فانتهر المسيح الروح النجس وامره بالخروج منه .. فخرج منه ، وشفى الشاب من فوره !

واصيبت حماة تلميذه سمعان (الذى صار يعرف باسم «بطرس») بحمى وبائية خبيثة . وكان العلاج المتبع فى مثل هذه الحالات هو الرماد المتخلف من حرق جمجمة ذئب ، أو رؤوس الفئران ، أو عيون «أبو جلمبو» ، أو مخ البومة ، أو كبد الضفدعة ! كما كانت الامثال تقول : « اذا أصبت ببرد فقبل انف الفرس ، واذا تألمت من ضرسك فتناول ضفدعة مطبوخة بالدم .. الخ » . وقد جربت حماة بطرس كل ذلك ، لكن حالتها ازدادت سوءا حتى اشرفت على الموت .. فدعا بطرس المسيح الى لمسها ، ففعل .. وللحال شفيت وقامت فأخذت تخدمهم ! .. وشاع الخبر فالتف حول المسيح جمهور كبير من المرضى والفقراء

التصادم الاول ..
مع رؤساء اليهود !

◆ **بعد** ان جال المسيح فى عدة مناطق عاد الى كفر ناحوم ، وكان كهنة اليهود فى أورشليم قد أرسلوا جواسيسهم ليلازموه ، لعلهم يتصيدون منه سقطة يهاجمونه بسببها !.. لكن اليأس كاد يدب الى قلوبهم ، حتى وقع حادث أحيا فيهم الأمل : كان المسيح قد دخل بيتا ليعظ الجموع التى احتشدت فيه . وفجأة حدث هرج ، واذا أسرة تحضر عائلها - المريض بالفالج - على فراشه كى يشفيه . ولما لم يجدوا طريقة لادخال السرير من فرط الزحام ، صعدوا به الى السطح ثم دلوه بالحبال الى ردهة البيت المكشوفة .



« العائلة المقدسة » : للرسام « روبنز »

فنظر المسيح الى المريض وقال له « مغفورة لك خطاياك » .. ووجد رؤساء اليهود فى هذه العبارة فرصتهم المنشودة ، فراحوا يحدثون أنفسهم متذمرين : « من هذا الذى يعطى نفسه سلطة الله فى غفران الخطايا ؟ هذا تجديف عقابه الموت ! » فعرف المسيح ما يدور فى أذهانهم وقال لهم : **«أيهما أيسر : أن يقال مغفورة لك خطاياك ،أم يقال « قم احمل سريرك وامش ؟!» .. ولكن لكى تعلموا أن لابن الانسان سلطانا لغفران الخطايا ، أقول للمفلوج : « قم ، احمل سريرك وامش ! »** .. فنهض المريض وحمل سريره !

.. فتعالت اصوات الدهشة من جانب الحاضرين ، ومجدوا الله .. اما جواسيس الكهنة ، والفريسيون ــ اليهود المتعصبون ، المتمسكون بحرفية الدين وقشوره ــ فانتحوا جانبا وراحوا يتآمرون من جديد !

ومر المسيح يوما بجابى الضرائب المدعو «ليفى» ، وكان مكروها ومحتقرا من الشعب لانه يجمع منه الضرائب الظالمة لحساب الحكومة الرومانية .. فقال له المسيح «اتبعنى» ، فترك الرجل عمله لآخر وتبعه دون تردد ، فضمه الى تلاميذه الخمس وغير اسمه الى «متى» .. ثم قبل ضيافته ودخل بيته الذى كان يضم الخطاة أمثاله ، والمرابين ، والسكيرين ، والمقامرين ! وحين تذمر فريسى متعجرف وسأل أحد التلاميذ : **« لماذا يجلس معلمكم ويأكل مع الخطاة والمرابين ؟ »** ، علم المسيح بذلك فقال لهم : **« لا يحتاج الاصحاء الى طبيب ، بل المرضى .. لم آت لأدعو ابرارا ، بل خطاة ، الى التوبة ! »**

ومرة اخرى تذمر الفريسيون لان المسيح سار مع تلاميذه وسط المزارع ، يوم سبت ، وقطفوا سنابل قمح وأكلوها ، مع أن الشريعة تقول : « لا تحصد او تعمل عملا يوم السبت » . فقال المسيح : **« ألم تقرأوا ان داود النبى واتباعه عند ما جاعوا اخذوا خبز الكهنة الذى حرم اكله على الشعب ؟ هل خلق الانسان للسبت أم السبت للانسان . ان ابن الانسان هو رب السبت ! »**

ثم دخل المسيح المجمع يوم سبت ، واذ تقدم اليه مريض ذو يد يابسة ، يطلب الشفاء ، قال له : « مد يدك ! » .. فمدها ، واذا هى تعود سليمة كالاخرى ! وتذمر الفريسيون كعادتهم ، فقال لهم المسيح : « هل يحل فعل الخير ام الشر يوم السبت ؟ اذا سقط حمار احدكم فى حفرة يوم سبت ، الا يخرجه منها ؟ »

نزوة امرأة .. ونهاية قديس !

◆ **وسمع** يوحنا المعمدان ، وهو فى سجنه ، بمعجزات «يسوع» .. لكنه لم يكن قد وثق بعد من انه هو «المسيح» الذى تنبأ انبياء التوراة

بظهوره ، والذى بشر هو بمجيئه دون أن يعرفه .. فأرسل ، من سجنه ، رسولين ليسـألا المسيح : **« هل أنت هو الآتى ، أم ننتظر آخر ؟ »** .. فاستصحبهما يسوع معه ليروا معجزاته ، ثم أرسلهما ليخبرا يوحنا بما رأيا : **« العمى يبصرون ، والعرج يمشون ، والبرص يطهرون ، والصم يسمعون ، والموتى يقومون ، والمساكين يبشرون »** .. فلما عادا الى يوحنا ايقن من ان يسوع هو بعينه المسيح المنتظر .

وكانت قد انقضت على يوحنا شهور وهو ملقى فى السجن ، حتى اطمأن انصاره على مصيره . لكن الملكة «هيروديا» كانت فى الواقع ما تزال تتحين الفرص لقتله ، وان عجزت عن ان تقنع بذلك زوجها هيرودس - (وهو غير

عيسى فى القرآن

((يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق . انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم ، وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله)) سورة النساء

((اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ، وجيها فى الدنيا والآخرة ، ومن المقربين ، ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين . قالت ربى أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ، قال كذلك الله يخلق ما يشاء ، اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون . ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ، ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم ، أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله . وأبرىء الأكمه والأبرص ، وأحيى الموتى باذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم . ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين . ومصدقا لما بين يدى من التوراة ، ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم ، وجئتكم بآية من ربكم ، فاتقوا الله وأطيعون . ان الله ربى وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم))

سورة آل عمران

هيرودس الاول ، قاتل الاطفال) - فقد كان هذا يخشى غضب الشعب عليه لو أعدم «معبوده» يوحنا !.. **ولكن اتفق أن أقام الملك ذات ليلة حفلة ساهرة كبرى لمناسبة عيد ميلاده ، واذ ثمل الحاضرون حتى فقدوا اتزانهم أزيحت الستائر فدخلت ((سالومى)) - ابنة هيروديا من زوجها الاول ((فيلبس)) ، شقيق هيرودس ! - وقد ارتدت غلالة تكشف عن مفاتن جسمها البض الرائع ، وبدأت ترقص .. حتى انتشى الجميع من رقصها ، وفى مقدمتهم الملك ، الذى أجلسها على ركبتيه ووعدها بأن يعطيها أى شىء تطلبه ، ولو الى نصف مملكته .. فما كان من الماكرة ، التى لقنتها أمها الدرس ولا شك ، الا أن طلبت : رأس يوحنا المعمدان ، على طبق !**

ولم يستطع الملك الحنث فيما وعد ، فأرسل جلادا عاد برأس يوحنا على طبق من ذهب ! فأخذته سالومى ووضعته عند قدمى والدتها ..

اقرأ القسم الثاني والاخير من الكتاب في العدد القادم

نتيجة استفتاء

هـــل تصـــارح زوجهـــا ؟

الرأى الفائز بالجائزة

◆ فى العدد ٣٤ ، قدمت لك اولى حلقات كتـــاب « اندريه موروا » المتع : « اقنعة الحب السبعة » ،وقد لخص وحلل فيه قصة من اروع قصص الادب الفرنسى فى القرن السابع عشر ، هى قصـــــة « الاميـــرة دى كليف » التى كتبتها «مدام دى لافييت» .. وقد رأيت فى القصة كيف ان الاخلاص دفع «مدام دى كليف» الى ان تصارح زوجها بحبها العفيف لصديقها «دى نيمور» ، مما ترتبت عليه الكوارث لابطال القصة الثلاثة ..

وقد اوضحت لك الجدل الذى أثارته هذه القصة على اثر نشرها : بين القائلين بوجوب اعتراف الزوجة لزوجها اذا أحبت سواه ، والقائلين بأن الواجب يقضى عليها بالصمت .. وانتهزت هذه الفرصة لأشركك فى ابداء الرأى فى هذا الموضوع «الانسانى» الحيوى ووعدت بمنح صاحب الرد الفائز جائزة مالية قدرها خمسة جنيهات ، مع نشر رده فى عدد أول مارس .. ولكن نظرا لكثرة عدد الردود ، التى استغرق فحصها وقتا طويلا ، فقد اضطررت لارجاء نشر النتيجة الى هذا العدد .. وقد تنافس على الجائزة ردان ، فانتهى الرأى الى تقسيمها بينهما بالتســاوى ، وقد ارسلت الى صاحبى الردين فى تاريخ صدور هذا العدد

« ان التطور الهائل الذى قطعته البشرية على مر العصــــور .. وروائع الفلسفات التى تفتقت عنها قرائح العباقرة والملهمين فى هذه الحقبة الطويلة من عمر الزمان ، وانبثاق نور تعاليم السماء التى بشر بهـــا الرســـل والانبياء فى العالمين .. كل هذه الاحداث العظيمة لعبت دورها الخطير على مر الزمان فى تهذيب الكثير من غرائزنا البدائية .. ولكنها لم تستطع ان تغير أو تبدل من القانون الذى وضعه الرجل البدائى الاول فى علاقته بالمرأة .

انه قانون يقوم على الاثرة والانانية ، والغرور والكبرياء ، وحب التملك المطلق للمرأة ، بكل ما فيها من كنوز الجسد ، وبكل ما تزخر بها روحها وعقلها وقلبها من مشاعر واحاسيس . واى خروج منها على هذا القانون ، عن قصد أو غير قصد ، تدفع ثمنه غاليا من سعادتها وهنائها وحياتها ، كما دفعت «مدام دى كليف» ، بالرغم من ان هواها بالرجل الآخر كان نقيـــا

لم تلوثه شهوات الجسد ، ولكنها اثمت بالفكر والروح .

ان الروائيين والقصصيين الذين تعرضوا لهذا النوع من المشكلات فى رواياتهم وقصصهم ، وعالجوها وحلوا عقدتها بصفح الزوج عن زلات زوجته .. انما التمسوا نهايات سعيدة لقصصهم .. متملقين القلب البشرى .. ناسين أو متناسين ، ان الاحاسيس والانفعالات والرغبات التى تختلج فيه ، ليست وحدها التى تسيطر على الحياة الانسانية . فكثيرا ما ينكر العقل ما يحس به القلب ويشتهيه ، واكثر منه ما تفعلـــه بنا الغرائز الموروثة ، غرائز الرجل البدائى الاول نحو المرأة .

ان الرجل فى اثرته وانانيته لا يقتنع بان يكون حاضر المرأة التى تقاسمه الحياة نقيا طاهرا ، بل انه ليطلب ان يكون ماضيها ايضا اكثر نقاء واشد طهرا .. وهو اذا علم عن علاقة لها بسواه ، لا يملك سوى ان يتخيلها مع ذلك الغير فى اوضاع تجعل حياته جحيما ، وقد تضطره الى ان يطلقها ، ولا يزال قلبه يحمل لها اعظم الحب واشد الهوى .

ان من الخطأ الاكبر ان تصارح المرأة زوجها بأية خيانة .. سواء بالفكر أو بالجسد ، سواء كانت قبل الزواج او بعده ، وفى ظروف لا حيلة ازاءها .. اذ لا يمكن لقوة بالغة ما بلغت ان تستل من نفوسنا هذه الغرائز التى ورثناها من الرجل الاول منذ آلاف السنين .

اسطفان نجيب
بادارة القوى الكهربائية المائية ـ بالقاهرة »

●

« من رأيى أنه لا يجدر بالزوجة ـ فى أمثال هذه الحوادث ـ أن تصارح زوجها ما لم تكن متأكدة من حسن تقديره للموقف الذى زجتها فيه الاقدار ، والذى أصبح يسبب لها آلاما شديدة من جراء الشعور بالاثم .. وخليق بها ان تستوثق من ان الزوج على درجة كبيرة من الخبرة فى الحياة ، وأن تتأكد من أن ما حدث لها ليس عارضا سيزول سريعا ، بل حقيقة . والا فخير لها أن تصمت وتتفادى مشاكل لا تحل الموقف بل تزيده تعقيدا . ولتعلم أن غالبية الازواج تنعم « بعمى » باركه « مسيو دى كليف » فى قـــوله لزوجته مؤنبا : « لماذا لم تتركينى مستمتعا بذلك العمى المبارك الذى ينعم به أكثر الأزواج ؟ » .. فان غالبية الزوجات لهن ماضيهن ـ الحسن أو السىء ـ لهن هفواتهن ونزواتهن . ومما لا شك فيه أن أغلب الأزواج يلمسون هذا ضمنا وان كرهوا أن يعرفوه صراحة .

محمد ابراهيم الرفاعى
موظف بالمدرسة الثانوية الاميرية للبنين ـ الاسماعيلية


SEPT VISAGES
DE L'AMOUR
Par
ANDRÉ MAUROIS
اقنعة الحب السبعة لأندريه موروا
الأحمر والأسود!
للأديب الفرنسي الخالد "ستندال"

الحب العنيف .. بين الطهر والفجر !

◆ رأينا فى قصة « مدام دى كليف » الحب المنطوى على البطولة والشهامة .. وفى قصة جان جاك روسو الخالدة : « جوليا » ، الحب العفيف « الرومانتيكى » .. ثم رأينا الحب المحرم الفاجر ، وقد صورة الجنرال « دى لاكلو » فى قصة « العلاقات الخطرة » .. وخرجنا من القصتين الاخيرتين ، بأن الحب الحرام يولد مللا وكآبة ، فى حين أن الحب العفيف « يغالى » فى تجاهل الواقع ، وحقائق اللحم والدم !

وفى هذه المرة ، يكشف لنا الاديب الفرنسى الخالد الذكر « ستندال » عن قناع رابع من أقنعة الحب .. يجمع بين النوعين : العفيف والفاجر .. والرومانتيكى والحرام !.. بين هيام « فرتر » وأشجانه ، وجرأة « دون جوان » وصراحته ..

انه قناع الحب « العنيف » !.. وكفى

المؤلف

◆ **امام** هذا القناع من أقنعة الحب هو «هنرى بيل»، المعروف فى الادب باسم « ستندال » .. وقد ولد فى مدينة (جرينوبل) بفرنسا ، سنة ١٧٨٣ ، من أب متزمت قاسى القلب ، ذى عقلية مادية وخلقة قبيحة .. وأم رقيقة القلب ، بارعة الجمال .. فشب الفتى يمقت أباه أشد المقت ، ويحب أمه أخلص الحب !.. وامتدت عواطفه فشملت أسرتيهما ، فأبغض أسرة الاب ، وأحب أهل الأم .. وكان جده لأمه - « جانيون » - أستاذا للفلسفة ، وخالته « اليزابيث » شديدة الاعتزاز بالشرف على طريقة نبلاء الاسبان ، فأورثته هذا الاعتزاز ، أو على حد تعبيره : « انها قد كونت قلبى .. كان خلقها زبدة الشرف ، فنقلت الى طريقتها فى الاحساس .. مما كان سببا فى ارتكابى سلسلة من

الحماقات السخيفة ، بدافع من مراعاتي لمقتضيات ذلك الخلق السامى ! » ٠٠ أما خاله « رومان » فقد كان على العكس مستهترا ، فلقنه فنون الحب العابث الذى كان يدين به !

لكن « ستندال » نشأ طفلا مضطهدا ، سواء من أسرة أبيه ، أو من معلمه الخاص الذى اختاروه له ، والذى كان كتلة من النفاق والرياء ٠٠ الامر الذى جعل التلميذ ينشأ معتنقا فكرة راسخة : **هى أن الانسانية تتألف من فريقين متميزين : فريق « الخبثاء » المرائين ، الذين يتحدثون دائما عن الفضيلة ، وهم على خلق وضيع ٠٠ وفريق « ذوى النفوس الكريمة » الذين تفيض قلوبهم حبا وخيالا وشعرا ، وان كانوا يصطنعون السخرية فى حديثهم ، خشية أن يتهموا بالرياء !٠٠ وقد تفاقم بغضه للفريق الاول ، وحبه للثانى ، حتى بلغا درجة العنف التى تتسم بها كل عواطف الطفولة !**

لكن العنف العاطفى لازم « ستندال » بعد مرحلة الطفولة ٠٠ صار قديرا على أن يتمنى « الموت » للذين يكرههم !٠٠ فلما نشبت الثورة وحل عصر الارهاب ، اعتنق المبادىء الجمهورية المتطرفة ، لا لشىء الا لأن أباه كان ملكيا متطرفا !٠٠ وذات يوم دخل عليه أبوه يحمل نبأ اعدام « لويس السادس عشر » ، قائلا فى غضب : « لقد فعلوها ٠٠ قتلوه غيلة ! » ٠٠ ويحدثنا « ستندال » عن شعوره لحظتئذ بقوله : « لقد جرفتنى موجة من الفرح الطاغى ، لم أحس لها مثيلا فى حياتى ! » ٠٠ وهو شعور قاس ولا شك ، لكن « ستندال » كان دائما يعجب بروح العنف المتوارثة عن عصر النهضة ، اعجابا ليس مرده الى طبيعة شريرة فيه ، وانما مرده الى احتقاره للضعف والتسامح اللذين عرف بهما جده « جانيون » ، مما جعله « لا يحس بالأخطاء ، ولا يحاربها ! »

ورغم أن «سنتدال» أثبت فى مناسبات عدة أنه ضعيف فى حبه ، فانه كتب يقول : « الضعفاء في نظري مجانين » ٠٠ وفى

شخصيات قصصه أمثلة كثيرة تعبر عن هذا العنف الذى اتصف به .. فمن هذه الشخصيات من يقتل حبيبته ، ومن تدس السم لعدوها .. وأخرى تقبل شفتى حبيبها الميت ! وثالثة تحب لصا ، ثم تصير بدورها من الخارجات على القانون ! .. وكما تتضمن قصصه أمثلة من روح الشرف الاسبانى ، فانها تتضمن أيضا نماذج من عنف « مكيافيللى » و « بورجيا » وغيرهما من أشرار ايطاليا فى القرن الخامس عشر ..

هذا عن قصص « ستندال » .. أما عن شخصه ، فان هذا العنف لم يجد له صدى فى تصرفاته ، ولعل هذا ما جعله ينشد متنفسا له فى رواياته ! .. وأغرب من هذا أن « ستندال » **كان برغم ميله الى القوة واحتقاره للضعف .. خجولا ! .. لا يلتقى بامرأة جديدة ، وتقتضى الظروف أن يقترب منها ، ويختلط بها ، حتى يرتجف فى البداية .. كما لو كان يقترب من حافة هاوية !**

فرتر .. ودون جوان !

◆ **وقصص** « ستندال » تجيب على تساؤل حائر طالما تساءله الناس ، وهو : هل يسلك الرجل ازاء المرأة مسلك « فرتر » ، أو مسلك دون جوان ؟ .. مسلك العاشق الولهان الذى يحب ويتأوه ، أو مسلك الغازى الفاتح .. الذى يتميز بالشجاعة ، والصراحة ، والدعابة ، والحيوية ، وخفة الروح ؟

ان شخصية « ستندال » ـ وشخصيات رواياته ـ تجمع بين المسلكين .. **والمجتمع ـ فى قراره ـ يحترم « الدون جوان » ، وان وبخه ولامه .. فى الوقت الذى يسخر فيه من العاشق الولهان الذى يتألم ويتأوه ! .. لكن سخرية المجتمع لا تقاس الى جانب السعادة الجارفة التى يستمتع بها المحب الذى من هذا الطراز .. فهو يبنى قصورا فى الهواء ـ أو فى « أسبانيا » كما يجرى المثل ـ قصورا تسكنها السعادة العذبة** .. اذ أن

الحب على طراز « فرتر » يفتح النفس لجميع الفنون والمشاعر الخيالية العذبة ، وللاستمتاع بالدنيا الى أقصى حد ٠٠ أما العاشق « الدون جوان » فيعامل النساء معاملة « الاعداء » ، اذ الحب فى نظره نوع من الحرب ! فهو لا يتحدث آلا عن « الانتصارات » والهزائم ٠٠ ولا يكاد يستمتع بجزء من مسرات الحب الحقيقية التى يستمتع بها الآخر ٠ فالدوق «دى ريشليو» ـ مثلا ـ لم ينعم قط بلحظة من لحظات السعادة الخالصة التى ذاقها « جان جاك روسو » أثناء خلواته مع مدام « دوديتو » فى الغابة !٠٠ ولقد ظل « روسو » طيلة حياته يتذكر لمسة خفيفة لثوب امرأة ، أو ضغطا رقيقا على يد ناعمة ، بينما كان «ريشليو» اذا لقى امرأة ، يعجز عن أن يتذكر ما اذا كانت يوما خليلة له أم لم تكن ٠٠!

سعادة « الدون جوان » محض نشوة حسية قصيرة خاطفة ، يخالطها شىء من الزهو ، أو هى أشبه بمتعة رياضة الصيد !٠٠ أما سعادة المحب الولهان ، فانها تغير وجه كل شىء وتجعله جديدا ، حيا ، مثيرا !٠٠ بل ان سعادة « الدوق دى نيمور » حين صارحته « مدام دى كليف » بأنها تحبه ، لتفوق سعادة « نابليون » عند انتصاره فى معركة « مارنجو » !٠٠ والخليلة التى يظل الرجل ثلاث سنوات يسعى الى الظفر بها ، هى الخليلة بكل معنى الكلمة ٠٠ هى التى يقترب منها المحب الولهان وهو يرتجف !٠٠ وهذه لا تخشى أن يزهد الرجل فيها قط ٠٠ أما تلك التى يظفر بها « الدون جوان » بسهولة ، فانه لا يلبث أن يتثاءب فى وجهها بعد وقت قصير ، كما يتثاءب المنتصرون !

وقد ظل « ستندال » طيلة حياته يتأرجح بين شخصيتى فرتر ودون جوان ، ويحلم بامرأة سامية النفس تبادله عاطفته ٠٠ لكن حلمه لم يتحقق ، فعاش أبدا يحب الحب !٠٠ كتب مرة يقول : « لقد طالما كان الحب بالنسبة لى أهم شىء ٠٠ بل الشىء

الوحيد فى حياتى ! » •• وفعلا خصص للحديث عنه كتابا كاملا سماه « فى الحب » ، كما خصص لتحليله جميع رواياته ، ودفتر يومياته ••

المرأة تفكر فى الحب أكثر من الرجل !

◆ **والحب** فى نظره نوعان : الحب العاطفى ، والحب الجسمانى •• لكن الاول وحده هو الحقيقى ، وهو يولد ويتطور طبقا لقانون التطور التالى :

١ ـ فى البداية يولد الاعجاب ٢ ـ ثم يقول الشخص لنفسه : « أية متعة فى أن أقبل هذه المرأة وتقبلنى ! » •• ٣ ـ ثم تتلو ذلك مرحلة الامل •• ٤ ـ وبعد الامل يولد الحب •• ٥ ـ وعندئذ تبدأ مرحلة « التبلور » ، **وهى التى يسبغ الشخص فيها على محبوبه ألف صفة و صفة من صفات الكمال •• وتحدث فيها داخل ذهن المحب عملية أشبه بالتى تحدث اذا وضعت غصنا مجردا من أوراقه فى منجم للملح وتركته فيه شهرين أو ثلاثة ، فانه يكتسى بعدها بطبقة من البلورات البراقة كالماس ، يختفى تحتها الغصن الحقيقى •• وهكذا يختفى شخص المحبوب الحقيقى تحت طبقة من الصفات الوهمية الخلابة التى يسبغها عليه الخيال غيابيا ، يوما بعد يوم !** •• وأثناء هذه المرحلة ، يخطر ببالك شخص المرأة الحبيبة فى كل مناسبة ، فاذا تحدث أمامك شخص عن ايطاليا مثلا ، وثب الى ذهنك فورا هذا الخاطر : « ما أسعدنى لو قدر لى أن أذهب الى ايطاليا بصحبة هذه المرأة ! » •• واذا كسرت ذراعك فى حادث، كان أول ما يجول بخاطرك : « ما أجمل وأعذب أن تمرضنى هذه المرأة ! »

٦ ـ ثم تتلو مرحلة التبلور مرحلة الشك •• فيسائل المحب نفسه : « ما الذى يثبت لى أنها تحبنى ؟ وأنها ستظل تحبنى ؟ » •• فاذا قتلت المحبوبة فى قلب محبها بذور هذا الشك وأمنته على حبها أكثر من اللازم ، تعرض حبهما للاختناق بأشواك

السأم والملل ، وان ضاعفت الثقة المتبادلة من متعته وجاذبيته ..

والتبلور أسرع عند المرأة منه عند الرجل ، لانها تملك وقتا للتفكير فى حبها أكثر مما يملك هو : فهى تفكر فى حبيبها أثناء جلوسها الى آلة الحياكة ، أو وهى تنسج « التريكو » وأشغال الابرة ، التى تشغل يديها دون فكرها ! أما الرجل فلو فكر فى حبيبته وهو يقود سيارته لعرض نفسه للموت ، أو لقضاء بضعة أشهر فى السجن !

ويرى « ستندال » ــ خلافا لما يراه بعض الكتاب المعاصرين وعلى رأسهم « برنارد شو » ــ أن الرجل هو الذى يهاجم ــ فى الحب ــ والمرأة تدافع عن نفسها .. هو يطلب ، وهى ترفض .. وهو الذى يكون شجاعا فى النهاية ، بينما تتحصن هى وراء خجلها ! .. لكن هذه المقاييس تختلف الآن عنها فى القرن الثامن ، بل والتاسع عشر ..

غراميات « ستندال »

◆ والسؤال الذى يدور بالخاطر بعد هذا هو : **هل ذاق « ستندال » نفسه هذا اللون من الحب العنيف الذى أذاقه أبطال قصصه ؟**

كانت أول امرأة تعلق بها قلبه ممثلة جميلة فى أحد مسارح (جرينوبل) تدعى «مدموازيل كابلى» .. لكنه كان حبا ساذجا كحب طلبة المدارس ، فقد كان «ستندال» وقتئذ فى السادسة عشرة .. فكان يتردد على المسرح ويصفق لها ، واذا سمع أحدا يذكر اسمها ارتجف كريشة فى مهب الريح .. وفى المرة الوحيدة التى قابلها فيها ــ بمحض المصادفة ــ كاد يغمى عليه !

وحين تركت « مدموازيل كابلى » مدينة (جرينوبل) الى (باريس) حاول « ستندال » أن يعزى نفسه بالانشغال بأخت أحد أصدقائه ، وتدعى « فكتورين بيجيليون » .. لكنه لم يلبث أن غادر جرينوبل الى باريس ثم الى (ميلان) ، حيث أحب امرأة جميلة تدعى « انجيلا بيتراجروا » ، لكنه لم يجرؤ على مفاتحتها بحبه !

ثم عاد الى باريس ، حيث عرف ممثلة أخرى تدعى « ميلانى لوازون » . وهو يصف فى يومياته خلوة له معها : **« ذهبت لزيارة « ميلانى » وأنا أرتجف . وكلفتنى باشعال النار فى المدفأة ، فسرتنى هذه المهمة ، الدالة على**

رفع الكلفة ٠٠ وبقينا معا حتى الساعة الثانية ٠ كنت سعيدا جدا ، ووددت لو أحست هى بمثل سعادتى !٠٠ كانت رائعة وهى تسرد لى أقاصيصها الطريفة ، وقد جلست بجانبها ، أحدق فى عينيها ، ويدها فى يدى ٠٠ ولا بد أنها أحست بمدى الانفعال الذى أثارته روحها الرقيقة فى ! وان الفرح والغبطة اللذين أظهرتهما حين رأتنى ليثبتان أنها تحبنى !٠٠ أما أنا ، فحسبى أن فمى وحده هو الذى كان يتكلم ٠٠ بينما كان قلبى مشغولا ، يشعر !))

وبعد بضعة أيام كتب يصف زيارة أخرى : ((انى عائد توا من عند ((لوازون)) ، ويخيل الى انى لم أكن قط رائعا مثلما كنت اليوم ، وأنا مرتد سترتى الانيقة ورباط رقبتى الفاخر وقبعتى الجديدة ، ولسانى منطلق لا يتلعثم ٠٠ لقد أشرقت روحى من خلال حديثى فأنستها قبح وُجهى ، واشتركت أناقة ثيابى فى اخفاء ملامحى المنفرة ٠٠))

وظفر ((ستندال)) بالمثلة فى النهاية ٠٠ وحين سافرت الى (مرسيليا) عام ١٨٠٥ ، لحق بها هناك ٠٠ لكن ظروفه اضطرته بعد حين الى الارتحال الى باريس ٠٠٠ وهناك اشتبك فى مغامرة غرامية جديدة مع ((مدام دارو)) ، زوجة الرجل الذى كان يعتبر رب نعمته !.. ثم عاد مرة أخرى الى (ميلان) ، حيث التقى بمحبوبته القديمة ((انجيلا بيتراجروا)) ، وكانت قد تزوجت ، فاعترف لها بحبه القديم ٠٠ وحين استطاعت أن تتذكر — بصعوبة — الشاب الذى اعتادت أن تطلق عليه فى الماضى لقب ((الصينى)) ، سألته مستغربة : ((ولماذا لم تصارحنى بحبك يومئذ ؟)) ٠٠ فلم يحر جوابا !

وبعد أن اتصلت العلاقة بينهما فترة اكتشف أنها تخدعه بلا تورع ، فهجرها نهائيا ، بعد أن ظل قلبه عالقا بها — غيابيا — من سنة ١٨٠٠ الى ١٨١١ ، وقد وصفها فى يومياته بأنها كانت سمراء رائعة ، حادة الشهوات ٠٠ وظل دائما يعتبرها ((الخليلة المثالية)) !

وعلى أثر انفصاله عنها اشتبك ((ستندال)) فى غرام جديد — عذرى — مع من تدعى ((ماتيلد دمبوفسكا)) ، فأمده غرامه هذا بفيض جديد من المشاعر العذبة الرائعة ٠٠ وأضاف اسمها الى قائمة محبوباته الاحدى عشرة ، اللواتى راح يتسلى برسم حروف أسمائهن على الرمل بعصاه حين بلغ سن الخمسين !

٠٠ لكن اللاتى بادلنه الحب من هذا العدد الكبير من النساء كن قلة ، أما الباقيات ، فيتحدث عن عواطفهن نحوه بصراحة وتواضع حميد ، شأن العشاق الحقيقيين ٠ **والواقع أنه كان متواضعا حتى فى اختياره ، فان خليلات هذا العاشق الرقيق كن جميعا دون المتوسط ، على الاقل من ناحية الجمال .. اذ أنه لم يكن يعنى بجمال الشكل قدر عنايته بجمال الروح ..** وقد وجد ضالته

من هذه الناحية ، فكتب يصف « ميلانى لوازون » بأنها « ليست جميلة .. لكنها سامية » ، ووصف أخرى بقوله : « لم أكن أتصور أن مثل هذا الخلق الجميل يمكن أن يوجد على الارض ! » ٠٠ والواقع أن أولئك النساء اللواتى ملأن حياة « هنرى بيل » الانسان ، هن اللواتى ملأن فيما بعد صفحات قصص « ستندال » الروائى

فلنستعرض موكبهن استعراضا سريعا :

« مدام دى رينال »

◆ قسم « ستندال » بطلات رواياته الى فريقين : فريق تمثله المرأة الرقيقة العاطفية المتدينة ، التى تكتم عواطفها ، والتى يجد الرجل لذة فى قهرها ٠٠ أو بعبارة أخرى المرأة الفاضلة التى « تغلب على أمرها » !٠٠ وهى التى كان « ستندال » يتمنى دائما أن يحب واحدة من طرازها !٠٠ أما الفريق الآخر فتمثله المرأة التى كان « ستندال » يصير اليها ، لو أنه خلق امرأة !.. أى المرأة التى لها صفاته وطباعه ٠ وقد جمع « ستندال » بين الفريقين فى شخصيات قصته الكبرى : « الاحمر والاسود » ، فجعل « مدام دى رينال » تمثل الفريق الاول ، و « ماتيلد » تمثل الفريق الثانى ٠٠

تجرى حوادث القصة فى الفترة بين سنة ١٨١٤ وسنة ١٨٣٠ ٠٠ وحين تبدأ ، نرى « جوليان سوريل » يدخل بيت « مسيو دى رينال » كمعلم لاولاده٠ و « جوليان » هذا شاب « ابن فلاح » ، شجاع ، مرهف الحس ، معتز بكرامته ، شديد التحمس لنابليون .. أما والد تلاميذه – وصاحب الضيعة التى يقع فيها البيت ، فى مقاطعة « دوفينيه » – فرجل جامد العواطف ، مادى النزعة ، ينظر الى زوجته بترفع وتعال ، ويعتبر أن واجبها يحتم عليها أن تحبه وتكرس حياتها من أجله !٠٠ ونجد هذه الزوجة امرأة فاضلة ، لكنها لا تحب زوجها ، بسبب معاملته اياها على هذه الصورة المرذولة ٠٠ وهى تعتقد أن الرجال جميعا من طرازه ، سخفاء ، لا يقيمون وزنا لغير الامور المادية ، والتسابق على التفوق والحصول على الاوسمة والنياشين !

وحين تعلم الزوجة بنبأ المعلم الذى استدعاه زوجها لتعليم أولادها ، يزعجها الامر أشد الازعاج ، وتكون فى ذهنها صورة كريهة للمخلوق الذى استؤجر كى يعنف أولادها ويوبخهم ، لا لشىء الا لأنه يتقن اللاتينية !٠٠ لكنها تسر حين تكتشف أن « جوليان سوريل » ليس أستاذا متعجرفا ، وانما هو شاب متواضع خجول ، أشبه بفتاة متنكرة فى ثياب رجل !٠٠ أما هو فيبطن لها شعورا بالبغضاء ، لمحض أنها زوجة رجل ثرى ، ويفسر صمتها بأنه من

أدلة كبريائها !٠٠ وهكذا تسير الامور فى القصر الريفى فى البداية سيرا عاديا ، ولو كانت « مدام دى رينال » امرأة باريسية ، أو لو كانت من قارئات القصص ، لأدركت بمجرد وقوع بصرها على « جوليان » نوع الخطر الذى قد يعرضها له مجىء هذا الشاب الى البيت ٠٠ لكنها كانت – كما أسلفنا – امرأة لم تعرف الحب ، من قبل ، وبفضل جهلها هذا كانت تحس سعادة خالصة فى حضور الشاب ، فتركت نفسها تنجذب نحوه دون أن تشعر !٠٠ حتى اكتشفت الحقيقة الرهيبة ذات يوم فجأة ، حين أبدت وصيفتها ميلا الى الزواج من « جوليان » . عندئذ فقط تنبهت الزوجة الفاضلة الى اتجاه قلبها ، فساءلت نفسها جزعة : « هل يمكن أن يكون هذا الذى أحسه نحوه .. هو الحب ؟ ! » .. وأشعرها اكتشافها بالقلق ، وبالسعادة فى الوقت نفسه !٠٠ وتغير فى نظرها وجه الريف المحيط بها ، فاكتسى ثوبا جديدا من الضياء والسناء ٠٠ لم يعد هناك شك فى الأمر : انها « تبلور » جوليان فى خيالها ، وتسبغ عليه صفات الكمال والفتنة .. أما هو ، فلا يكاد يوقن من عاطفة المرأة نحوه حتى تغدو المسألة فى نظره مسألة زهو وخيلاء ، أكثر منها مسألة حب !.. فيجعل همه ان يكمل السعى ، ويظفر بالارستقراطية العريقة التى أوقعتها الاقدار فى هواه ..



وذات ليلة – وقد جلسا فى الحديقة ، فى الظلام – تلمس يده عفوا يدها المستريحة على حاجز المقعد .. فتسحب يدها مجفلة .. واذ ذاك يعقد الفتى عزمه على أن يمهد الجو للمسة التالية بحيث لا يعقبها انسحاب ولا اجفال !

وفى الليلة التالية يأتى الى الحديقة وفى عينيه نظرة المقبل على مقاتلة عدو ! ولا يكاد يهبط الظلام ، حتى يتناول يد « مدام دى رينال » .. فتسحبها .. فيتشبث بها من جديد ! وتبذل المرأة محاولة أخيرة كى تسترد يدها من يده .. لكن اليد تبقى أخيرا فى اليد !

ويغمر الشاب طوفان من السعادة ، لا لانه يحب المرأة .. وانما لان عذابا رهيبا قد انتهى ، وأعقبه شعور بالانتصار !٠٠ انه ما يزال فى مرحلة « الحب من أجل الزهو » ٠٠ أما « مدام دى رينال » فهى على العكس منه ، لا تستكين يدها فى يده حتى يشل ذهنها عن التفكير ، وتترك تيار الحياة يحملها على متنه ٠٠ وحين يضطرها ظرف عارض الى أن تسحب يدها ، تعود فتعطيه اياها بغير احتجاج !

ويكون طبيعيا بعد ذلك أن يمده تصرفها هذا بالمزيد من الجرأة !

وتسائل المرأة نفسها حائرة : « ماذا ؟٠٠ هل يمكن أن أكون عاشقة ، أنا المرأة المتزوجة ؟!٠٠ اننى لم أحس يوما نحو زوجى شيئا من هذا الجنون الأسود الذى يجعلنى لا أريد أن أبعد « جوليان » عن خاطرى !٠٠ ثم انه فتى يملأ نفسه الاحترام والتوقير لى ٠٠ كلا ، ان هذا الا محض جنون عارض سوف ينقضى ! »

لكنها لا تراه مرة أخرى حتى تتملكها من جديد نشوة الفرح السحرى التى طرأت عليها فى الاسبوعين الاخيرين !٠٠ ولما لم تكن قد قرأت من قبل أية قصة من قصص الحب ، فقد كانت تلك المشاعر كلها جديدة عليها ، لا تعكر صفوها ظلال الحقيقة ، ولا احتمالات المستقبل ٠٠ فتصورت نفسها تنعم بهذه السعادة الدافقة بعد عشر سنوات ، مثلما تنعم بها الآن !

الجنة والجحيم ٠٠ فى المخدع المعطر !

◆ **ويلعب** « جوليان » دور « الدون جوان » من قبيل الواجب ، مندفعا وراء شعوره بالزهو الذى يرغمه على أن يكون جسورا ، فيهمس لها : **« سيدتى .. سوف آتى الى مخدعك الليلة ، فى الساعة الثانية صباحا ! »**

ويرتجف خشية أن توافق !٠٠ وحين تدق الساعة فى جوف الليل دقتين ، يأخذ سمته الى غرفتها ، يقوده احساسه المضنى بأن عليه واجبا نحو كبريائه يجب أن يؤديه !٠٠ ويدخل المخدع المعطر ٠٠ وهناك ينسى أن عليه واجبا ، ولا يعود يذكر الا أن عدم الفوز بهذه المرأة الشهية يكون تعاسة كبرى !

وحين يغادر المخدع بعد ساعات ، يغادره وليس أمامه مزيد يطمع فيه ٠٠ أما هى فيخلفها وراءه سعيدة سعادة لا تكاد تصدق ، عاجزة عن مغالبة دهشتها من أن هذه السعادة كان لها فى الماضى وجود ، غفلت هى عنه !

٠٠ وبمضى الأيام يتحول شعور « جوليان » من حب باعثه مجرد الزهو ، الى حب عاطفى عارم جارف ٠٠ فقد كان شابا ، وكانت هى فاتنة ، فلم يكن بد من أن يسلم الزهو سلاحه ويخفض جناحه !٠٠ وتغدو حياة المرأة جنة

وجحيما .. جنة حين ترقد تحت قدميه .. وجحيما حين يتعذر عليها أن تراه !.. لكن تبكيت ضمير الزوجة الفاضلة التقية لا يفتأ يلاحقها ويضطهدها ، فتقول لحبيبها وهى تذعن له مستضعفة :

« لقد كتب على الهلاك الذى لا نجاة منه .. أنت شاب ، وقد استجبت لاغرائى ، فالسماء تستطيع أن تغفر لك .. أما أنا فقد حق على الهلاك واللعنة .. علامة ذلك عندى أنى خائفة ! ومن لا يخاف أمام عتبة الجحيم ؟.. لكنى بالرغم من ذلك لست نادمة . ولو عاودتنى الظروف نفسها ، لارتكبت ما ارتكبت مرة أخرى ! »

ويلغط الخدم بغرام سيدتهم .. ويتلقى الزوج المخدوع من أعدائه خطابات بغير توقيعات ، تنبهه الى ما يجرى فى بيته !.. لكن الزوجة تظهر بديهة حاضرة فى الدفاع عن سعادتها ، وتأمين مركز حبيبها .. فان المرأة الفاضلة كثيرا ما تظهر جرأة فائقة ، وحيلة واسعة ، حين تتذوق متعة الحب الصحيح !

أما « جوليان » نفسه فيدركه الخوف والفزع من افتضاح أمره ، فيحاول كبح جماح تهورها : « ان الحب يعميك ! ولئن كنت قد أنقذت الموقف اليوم ببراعة رائعة ، الا أن الحيطة تقتضينا أن لا نقع فى الفخ !.. فالبيت عامر بأعدائنا .. ومن الخير أن لا نلتقى الليلة ! » .. لكنها تجيبه فى اعتداد المرأة ذات الأصل العريق : « اذن فأنت لا تملك حتى الشجاعة ! »

ويلتقيان .. ويقعان فى الفخ .. فيجبر الزوج العشيق على مغادرة البيت فورا .. وبذلك ينتهى القسم الأول من القصة .

« ماتيلد دى لامول »

◆ **فاذا** كان القسم الثانى فقد انقضت على رحيل « جوليان » الى باريس سنوات ، صار بعدها سكرتيرا لنبيل يدعى المركيز « دى لامول » .. وهنا يلتقى بالبطلة الثانية للقصة وهى « ماتيلد » ، ابنة المركيز ..!

و « ماتيلد » شقراء رائعة الجمال ، لكن «جوليان» حين يراها لأول مرة لا يعجب بها ، اذ يخيل اليه أن عينيها الفاتنتين تخفيان برودا مثيرا !.. وهى قد تلقت تعليما دينيا ، وتربت تربية محافظة ، لكنها تقرأ « فولتير » .. وهى تحتقر شبان طبقتها الذين يحومون حولها ، والذين يقلون عنها ذكاء ، لكنها

تتوسم في « جوليان » سكرتير أبيها أنه على خلاف الشبان الذين عرفتهم ٠٠ فتتودد اليه !

ويهمس الفتى لنفسه : « لشد ما أمقت هذه الفتاة الفارعة القامة ! » ٠٠ وتظل نظرته اليها صارمة لا تلين ، الامر الذى يدهش « ماتيلد » ويثير فضولها ، وغيظها ! فهى تستشف من نظرته أنه يحتقرها ، ومع ذلك لا تقوى على أن تحتقره !٠٠ أو أن تحتمل اغضاءه المتواصل ، وعدم استجابة عينيه لعينيها ٠٠ بل انها لتخاف نظرته ٠٠ بينما يهمس هو لنفسه : « ما أبعد الفارق بينها وبين التى فقدتها !٠٠ لقد كانت مدام دى رينال طبيعية فى حركاتها وتصرفاتها ، حتى لقد كنت أفهم أفكارها قبل أن تفصح عنها ٠ ولم يكن يقاسمنى قلبها غير أطفالها ، وهو أمر طبيعى ـ برغم ما قاسيت منه ! ـ فيالى من أحمق ، لم يقدر النعمة التى كان يتقلب فيها حق قدرها !٠٠ وما أوسع الشقة بين تلك المرأة ، وبين هذه الجوفاء المتعالية التى لا تحب غير نفسها ! »

تطارده بحبها ٠٠ حتى يذعن !

◆ لكن «ماتيلد» كانت تمعن فى مطاردته كلما أمعن هو فى بروده ، وفى « احترامه » لها !٠٠ فبدأ يتراجع عن عناده تدريجيا ، وينتبه الى محاسنها ، فيناجي نفسه : « يا الهى ، لكم هى جميلة ! » ٠٠ ثم يسائل نفسه وقد استيقظ فيه طموحه الى هذا « المجد » : « ترى ٠٠ أهى تحبنى ؟ » ٠٠ وأخيرا تصارحه الفتاة ذات يوم بحبها ، فيغبط نفسه : « هذا أنا ، الفلاح الفقير ، أسمع الاعتراف بالهوى من فتاة أخرى عريقة ! »

ويجرف « ماتيلد » تيار العاطفة العنيفة ، فتضرب لجوليان موعدا ليليا فى غرفتها التى لا يستطيع بلوغها الا اذا أسند سلما الى الحائط الخارجى وتسلقه الى نافذتها !٠٠ وقد يفاجئه المركيز ـ أو أحد حراسه ـ أثناء هذه المحاولة ٠٠ بل قد يقتل ٠٠ لكنه مع ذلك يقدم على المجازفة ، ويصير ٠٠ عشيق «ماتيلد» !



غير انه يدهش حين يتبين أن حظوته بماتيلد لا تدخل الى نفسه سرورا ونشوة ، ولا تبعث فيه أى احساس بالسعادة ‥ وعبثا يحاول استدرار هذه السعادة بالتفكير المنطقى ، فهو لا يفتأ يغبط نفسه على هذا الفوز بتقدير واعجاب هذه المخلوقة العريقة المتكبرة ‥ ويمده هذا التفكير بشىء من فرحة الزهو ، لكنه يظل محروما من الحب المبارك الذى تذوقه مع « مدام دى رينال » !

المشورة القاتلة !

◆ **ويصدم** زهوه ، وشعوره بلذة الانتصار ، مشاعر ماتيلد ‥ فتحدث نفسها : « اذن فهو يحسب انه قد صار سيدى ؟ ! هذا يكفى كى يجعل الحب كريها ! » ‥ وهكذا تمضى أيام يتبادل فيها الاثنان ـ دون أن يدركا ـ شعورا بالكراهية الخفية ‥ لكن شبابهما لا يلبث أن يفرض كلمته ، فتذعن كبرياؤهما صاغرة !

ويبلغ الحب بالحبيبين أخيرا مرحلة السعادة المنشودة ‥ فتقص « ماتيلد » شعرها ، تضحية منها لأجل حبيبها ، واظهارا لعنف العاطفة المجنونة التى تكنها له !‥ فيضطر أبوها المركيز الى الموافقة على زواجهما ‥

غير أن الحظ العاثر لا يلبث أن يوحى آلى المركيز بأن يستعلم من « آل رينال » عن مسلك الشاب أثناء اقامته فى قصرهم !‥ وتستشير « مدام دى رينال » قسيسها ، فيشير عليها بذكر

الحقيقة كاملة ٠٠ فلا يكاد خطابها يصل الى والد «ماتيلد» حتى يعدل عن موافقته على الزواج !

تدفع حياتها ثمنا لوشايتها !

◆ **ويشتعل** حقد «جوليان» على «مدام دى رينال» التى أفسدت - بغيرتها ! - زواجه ٠٠ فيسافر الى حيث تقيم ، ويدخل الكنيسة التى تصلى فيها ٠٠ ثم يصوب مسدسه عليها ، ويطلق النار !

لكنها تنجو من الموت ٠٠ وتزوره فى سجنه كى تواسيه ! وفى محنته يدرك أنه لم يحب يوما سواها ٠٠

ولا تمضى على اعدامه بالمقصلة ثلاثة أيام ، حتى يقتلها الحزن عليه ٠٠ فتموت وهى تعانق أولادها !

وأما « ماتيلد » المفجوعة ، فتتقدم من المقصلة ساعة الاعدام ٠٠ ولا يكاد رأس حبيبها يسقط فى السلة ، ويرفعه الجلاد بين يديه ، حتى تتناوله منه ٠٠ وتطبع على الشفتين الهامدتين ٠٠ قبلتها الاخيرة !

حدث ذات يوم



من قصص التاريخ ومآسيه

عزيزى القارىء ..

فى هذا الباب قرات معى فى الاعداد السابقة ، القصص الآتيه على التوالى :

فصيحة «كارولين» ملكه انجلترا
عشيقة نابليون (مارى فالفسكا)
امراة وملك (مدام دى مانتنون)
« تيبريوس » قيصر روما
الحب اقوى من الموت !
لوكريشيا بورجيا
نيرون : الطاغية السفاح
ليدى هاملتون
مارى انطوانيت
مصرع القيصرية فى روسيا
ملكة الغواية: بولين بونابرت
مأساة ملك بافاريا
الحب والجريمة تحت سماء فلورنسا
غرام الاميرة اليزابيث تيودور
ديزيريه : خطيبة نابلون
أوليمبيا : والدة الاسكندر
بيرينيس : ملكة فلسطين
تيودورا : الراقصة الامبراطورة

واليوم اقدم لك فيما يلى قصة ((سانوهى)) الحقيقية ، كما سجلها بنفسه على أوراق البردى ، لا كما كتبها المؤلف الفنلندى ، أو أخرجها المخرج السينمائى الامريكى على الستار الفضى ..

القصة الحقيقية كما سجلتها أوراق البردي !

سانوهي
(المصري)



ترجمها عن الهيروغليفية : الاستاذ احمد عبد الحميد يوسف

اضواء على القصة

◆ نحن فى مصر الفرعونية .. منذ أربعة آلاف سنة !

كان يتنازع ولاية عرش الملك «امنمحات» أميران ولدا فى يوم واحد ، وترعرعا كشقيقين ، هما : «سنوسرت» ابن الملك ، و «آنى» ابن شقيقة الملك .. وكانت التقاليد تقضى بأن تتزوج الشقيقة من شقيقها وتشاطره العرش ، لولا أنه اتبع هواه فى زواجه ، وزوجها هى من أحد الامراء.. فأنجب كل منهما طفلا ذكرا ، وولد الطفلان فى يوم واحد !

وصارت ولاية العرش مشكلة : أيكون للأمير «آنى» وفقا للشرائع المقدسة ، أم للامير «سنوسرت» بحكم سلطان أبيه ؟.. والتف حول كل من الأميرين عصبة من الانصار ..

وحدث أن أحب «آنى» أميرة من السبايا الليبيات وتزوجها ، فأغضب الملك وحمله على أن يعقد ولاية العهد لسنوسرت .. فأخذت «نورا» - زوجة «آنى» - تدبر المؤامرات ، وتجمع الانصار .. بيد أن الفشل لازمها ، واضطرت للفرار مع زوجها وأعوانهما ..

وكان بين المقربين الى «آنى» و «نورا» ، الامير «سانوهى» - أو «سنوحى» كما جرت العادة على تسميته خطأ - فأحاطت به ريبة الاشتراك فى المؤامرة ، لا سيما وقد أحب أخت الاميرة نورا .. ولكن عطف الملك شفع له ، فظل على مكانته ، حتى لقد عين نائبا لسنوسرت فى قيادة الجيش عندما أوفد «أمنمحات» حملة الى ليبيا ، بعد أن توج ابنه ملكا الى جواره ، وفى حياته ..

وكان «سنوسرت» موغر الصدر ضد «سنوحى» ، بسبب شبهة تآمره ضده مع منافسه آنى وزوجته .. ولكنه ما لبث أن رضى عنه لما رآه من بلائه فى الحرب .. الى أن شاء القدر أن تساق يوما الى المعسكر المصرى - وسنوسرت غائبا عنه - سبايا من الليبيات ، رأى «سنوحى» بينهن فاتنته «تبسى» - شقيقة الاميرة نورا - فخفق قلبه ، وغلبه هواه ، فسرحهن .. مما أغضب «سنوسرت» عليه ..

وفى تلك الاثناء ، وفدت الانباء فى تكتم بوفاة «أمنمحات» ، فخشى «سنوحى» نقمة «سنوسرت» - وقد انفرد بالملك - وبادر الى الفرار ..

وهنا تبدأ القصة التى أقدمها لك فى الصفحات التالية ..

قصة ((سانوهى)) .. الحقيقية !

◆ فى القرن العشرين ((قبل)) الميلاد ، بدأت هذه القصة .. وفى القرن العشرين ((بعد)) الميلاد ، بعثت من جديد .. انها قصة ((سانوهى)) - او ((سنوحى)) - التى استهوت كاتبا غربيا من أدباء فنلندا ، يدعى ((ميكا والتارى)) ، فصاغها فى قالب روائى .. اغرى بدوره رجال السينما فنقلوها الى الستار الفضى !

انها قصة امير من امراء الاسرة الثانية عشرة الفرعونية ، اضطر الى الفرار عقب وفاة الملك ((أمنمحات)) الاول - ((سحتب ايب رع)) - واعلان ((سنوسرت)) الاول خلفا له .. وعاش حياة حافلة بالمغامرات والاحداث

والقصة كما اقدمها لك هنا ، ليست قصة الروائى الفنلندى التى اتخذت اساسا للفيلم السينمائى ، وانما هى القصة الحقيقية التى سجلها ((سانوهى)) على اوراق البردى ، باسلوبه ولهجته القديمة الطريفة التى ترينا صورا من معتقدات الفراعنة الاقدمين وعاداتهم !

وقد لقيت قصة ((سانوهى)) رواجا فى عالم الادب القديم ، فتناقلها الناس ، وتداولتها الاوساط الادبية ومعاهد التعليم زهاء خمسة قرون. واهم نسخة من نسخها المسجلة على اوراق البردى ، محفوظة فى متحف برلين الآن ..

✻

(يستهل ((سانوهى)) حديثه بأنه ((الامير النبيل المنبت، والرئيس العظيم ، ناظر اراضى الملك وحاكم بلاد ستيو - بلاد البدو - والقريب الحقيقى والسمير الأوحد للملك ، والتابع المخلص لسيده ، وأمين الجناح الملكى للاميرة الاولى زوجة الملك سنوسرت)))

كيف كان ملوك الفراعنة « يصعدون » ، لا يموتون !

◆ فى اليوم السابع من الشهر الثالث من فصل الفيضان، فى السنة الثلاثين من حكم الملك ، ذهب الاله ملك الشمال والجنوب « سحتب ايب رع » - « امنمحات » الاول - الى الافق

وصعد الى السماء حيث اتحد مع « آ تون » ـ قرص الشمس ـ واختلطت أعضاؤه بالاله الذى خلقها ، فاذا القصر قد لفه الصمت والوجوم ، واشتد الحزن بالقلوب ، واغلقت أبواب القصر ، وجلس من ورائها رجال البلاط مطرقين وقد انحنت منهم الرؤوس على الركب ، على حين طفق الناس من حولهم يبكون ..

وكان الملك قد أرسل جيشا عرمرما الى بلاد « التمحيو » ـ الليبيين ـ على رأسه بكر أبنائه الاله الطيب « سنوسرت » .

وأرسل الموظفون من سمار الملك بالقصر الى (ليبيا) ، بالبر الغربى ، كى يحيطوا ابن الملك البكر علما بوفاة أبيه ، فلحق به الرسل فى الطريق وقد جن الليل ، ولم يبطىء الأمير حين علم بالخبر ، فاذا بذلك الصقر الملكى يطير عائدا مع أتباعه الى القصر ، دون أن يتيح لجيشه أن يعلم شيئا .. لكن رسولا آخر كان قد ارسل خلسة الى سائر ابناء الملك ممن كانوا فى الجيش ، فهرعوا كل بدوره الى هناك !

« سانوهى » يفطن الى الخطر ، فيقرر الفرار !

◆ **ولقد** كنت واقفا ـ على بعد قريب جدا ـ حين أقبل الرسول ، فسمعت صوته وهو يبلغهم الرسالة .. فاذا قلبى يضطرب ، وذراعاى تتراخيان ، والفزع يدب فى أعضائى جميعا .. وما لبثت أن عدوت موليا وجهى شطر الجنوب أنشد الفرار ، اذ قدرت أن فتنة سوف تقع فى مصر ، واننى لن أطمع فى أن اعيش بعدها ! .. وعرجت على بحيرات « ماعتى » عند مزارع الجميز ، ثم كان أن نزلت الى جزيرة « سنفرو » حيث أنفقت الليل فى الحقول هناك .. حتى اذا تنفس الصبح استأنفت رحلتى ... ولم يحن موعد العشاء حتى كنت

قد بلغت منطقة « نجـاو » ـ الثيران ـ حيث عبـرت الى الجانب الآخر من النيـل فى زورق لا مجداف له ، مستعينا بمعونة الرياح الغربية ، واجتزت بعد ذلك المحاجر فى مرتفعات «سيدة الجبل الأحمر» ـ «العباسية» الآن ! ـ وأطلقت لساقى العنان حتى أشرفت على قلاع الأمير التى شـيدت لصدّ الآسيويين والبدو من جوابى الفيافى ..

وظللت أمشى طوال الليل ، حتى اذا اسفر النهار كنت قد بلغت « بتن » .. فنزلت جـزيرة فى بحيرة (كم اود) ـ «البحيرات المرة» بمنطقة القناة الآن ـ وهناك سقطت اعياء ، اذ انهكنى العطش ، والح على ، وضاق صدرى ، وصعب تنفسى ، واحترق حلقى بالجفاف والغبار ، فقلت لنفسى .. « ذاك هو طعم الموت ! »

لكنى قويت قلبى واستجمعت أطـرافى ، فنهضت اذ سمعت أصـوات ماشـية ، ولمحت الآسيويين من بعيد .. وتعرف على شيخ القبيلة فى تلك المنطقة ، اذ كان قد زار مصر من قبـل ، فقدم الى ماء ، وغلى لى لبنا ، ثم صحبته الى القبيـلة فلقيت من أهلها خيرا كثيرا ..



لاجىء فى بلاد الشام

◆ **ومضيت** من بلد الى بلد ، يسلمنى واحد الى آخر ، حتى تركت « كبنى » الى «قدم» حيث قضيت عاما ونصف العام . وقد أتى بى اليها « منشى بن عامو » ، حاكم «رتنو» ـ سـوريا العليا

ـ الذى قال لى : « ستكون معى آمنا ، وستسمع هنا اخبار مصر » .. ثم سألنى : « ما الذى جاء بك الى هنا ، وكيف بلغ بك الحال الى ما أنت عليه ؟ .. هل وقع فى القصر شىء ؟ » .. فقلت له ان الملك «امنمحات الاول » صعد الى السماء ، وما يدرى امرؤ ما عسى أن يحدث بعد ذلك .. **وأنبأته كاذبا بأنى كنت عائدا فى سفينة حربية من أرض (ليبيــا) حين بلغنى النبأ ، فطار لبى وغاص فؤادى فما عدت أحس به فى صدرى .. وكان أن اندفعت فى طريق الفرار ، فسرت على غير هدى أهيم فى رمال الصحراء .. ومع ذلك فلم يبصق أحــد فى وجهى ، ولا تلقيت عبارة ملام ، ولا سمع اسمى من المنادى مقترنا بأى اتهام .. وما ادرى ما الذى ساقنى الى تلك البلاد ، لكأنما هو قدر من الله !**

(وكأنما احس «سانوهى» بأن حديثه انطوى على مغمز فى الملك الجالس على العرش ـ اذ قال انه ترك مصر لأنه لم يدر ما قد يحدث فيها بعد موت «امنمحات» ! ـ وشعر بأنه يوشك أن ينزلق مع «ننشى بن عامو» فيما لا ينبغى ان يعلمه الملك عنه ، سيما وقد عرف من «ننشى» ان كثيرا من المصريين يمرون ببلاده فيسمع منهم اخبار الوادى. لذلك تحول «سانوهى» فأطنب فى مدح الملك عسى ان يبلغه مقاله فيعفو عنه .. ومن ثم مضى فى روايته على النحو التالى :)

.. ولكنى أضفت قائلا : « حقا لقد دخل ابنه القصر فتسلم ارث أبيه ، وانه لرب لا نظير له ، فما يستطيع أحد أن يتفوق عليه .. انه سيد الحكمة ، راجح الرأى ، بعيد النظـر فى ادارته ، فما من شاردة ولا واردة الا وله فيها قرار .. فهو الذى فرض على البلاد الأجنبية الطاعة والخضوع ، بينما كان والده فى القصر يتلقى انباء ما يحرز من انتصــارات .. **حقا انه لرجل شديد البأس ، يعمل بساعديه القويين .. وانه لمحارب لا يشق له غبار .. ولا يدع للخوف الى نفسه سبيلا !**

.. وهو اذا قاتل لم يحفل بما عسى أن تكون النهاية ، فلا يرحم أحدا ولا يبقى خصما أو يذر عدوا .. ومع ذلك فهو سـيد

الخيرات ، يكسب القلوب ·· ويحبه أهل وطنه اكثر من حبهم أنفسهم ، ويحتفون به أكثر من حفاوتهم بأربابهم ، وهم يسعون الى قصره حامدين فرحين بأنه تولى الملك ·· »

عندما واتى الحظ « سانوهى »

(وكأنما كان سانوهى يحاول أن يلعب دورا فى السياسة الخارجية لمصلحة فرعون - حتى يكسب عطفه وعفوه - فأخذ يرهب الأسيويين بحديثه عن قوة الملك فى القتال ، وعن غزواته وفتوحه ، وراح يغرى ذلك الشيخ «ننشى» على اظهار الولاء للملك)

قلت له : « اكتب اليه ودعه يعرف اسمك · ولا تذكره بسوء ، فلن يقلع عن اداء الخير لكل أمة تظل على الولاء له » ·· فقال لى : « ما أسعد مصر أن تقدر قوته ·· أما أنت فسوف تقيم عندى ولن تلقى منى الا خيرا »

·· واذا هو يجعلنى على رأس بنيه ويزوجنى من كبرى بناته· وأذن لى أن أنتقى من بلاده خير ما يملك من الارض حتى حدود المملكة الأخرى ·· فكان لى بلد طيب يسمى «يا» ، فيه فاكهة من كل صنف ·· كما كان القمح والشعير فيه وفيرين ·· فضلا عن أعداد لا تحصى من قطعان الغنم ·· وما اكثر ما كان يصل الى من الهدايا ، اذ أحبنى الناس ، فكان أن جعلنى « ننشى » شيخا لقبيلة فى أحسن أقاليم بلده ··

وقدر لى ان أنفق السنين الكثيرة هناك ، حيث انجبت اولادا شبوا وصاروا رجالا ، لكل منهم قبيلته التى تدين له · وكان الرسل ممن يذهبون الى الشمال أو الى الجنوب قاصدين القصر - (قصر فرعون مصر) - ينزلون فى بيتى ، اذ كنت استضيف كل راحل ، وأقدم الماء الى الظمآن ، وأهدى الضال فأرشده الى الطريق ، وأحيط بالحماية كل من يتعرض للنهب حينما يضطر الآسيويون الى النزوح

كذلك كنت المستشار لحكام البلاد الأجنبية فى حركاتهم ، فكان أن جعلنى أمير (رتنو) - سوريا - قائدا لجيشه أعواما

طوالا ، فغزوت كل بلد سرت اليــــه ٠٠ فما كان أروع ما تركت من أثر فى فؤاد الامير ، الذى احبنى اذ ادرك مقـدار شجاعتى ، فأحلنى على رأس بنيه ٠٠

غريم يتحدى ، ويطلب النزال !

◆ **ولكن** عملاقا من أهل « رتنـــو » أقبل على مخيمى يوما يواجهنى بالتحدى ٠٠ وكان بطلا مغوارا لا نظير له هناك ، وكان قد أنزل الهزيمة بكل بلد أغار عليه ٠٠ جاءنى فقال انه يود قتالى ، وفى ظنه أنه قدير على أن يقضى على ! وقد تآمر على استلاب أغنامى مع قبيلته ٠٠ وجـاءنى الأمير مستشيرا ، فأجبته بأننى لم اكن أعرف الرجل ، ولا كانت بينى وبينه صلة ما ، ولم أطأ مخيمه ولا اقتحمت عليه بابه أو تخطيت حائطه ، **ولكنه الحسد أوغر صدره اذ رآنى قائما بما كان الامير يعهد الى من مهام ٠٠ وهب أن فحلا أراد القتال مع فحل آخر ، أتراه يولى وينسحب أمام منافس يكافئه فى كل شىء ؟٠٠ اذا كان فؤاده يحثه على القتال ، فليعلن ما يريد ، أليس الله بعالم ما قدر ، فكيف لنا نحن أن نعرف ؟**

وما ان أقبل الليل حتى شددت قوسى ، وأعددت سهامى ، وشحذت خنجرى ودفعته فى غمده ، وصقلت اسلحتى ٠٠ فلما لاح النهار ، أقبلت « رتنو » كلها ـ وقد أثارت الانباء قبائلها وجمعت الناس مما جاورها من البلاد ! ـ وأقبل غريمى على بينما كنت منتصبا فى ثبات ، فتقدمت منه والافئدة كلها قلقة من أجلى ٠٠ كان النساء ورجالهن يهتفون ، وقلوبهم جميعـا جزعة على ، وكانوا يتصايحون قائلين : « أما من شجاع يقاتل الى جانبه !؟ »

واذا عدوى يرفع درعه وفأسه وحزمة من سهام طفق يقذفنى بها ، فتركته حتى استنفد اسلحته واحدا وراء الآخر ، وانا اتجنب سهامه فتمر طائشة بى ٠٠ واذ لم يبق معـه شىء ،

اقترب كل منا من غريمه ٠٠ وكان يظن أنه يصيبنى فهجم على ، ولكنى قذفته بسهم استقر فى عنقه ، فأرسل صيحة عظيمة ثم انكب على وجهه ، فأجهزت عليه بفأسه !

ثم أطلقت صيحتى وأنا على ظهره ، فاذا الآسيويون جميعا يتأوهون ٠٠ فحمدت « منتو » ، اله الحرب ٠ وبينما طفق افراد شعبه يبكون من أجله ، اذا بالأمير « ننشى بن عامو » يأخذنى بين ذراعيه ٠٠

وتحولت فاستوليت على أملاك عدوى ، وازددت ثروة على ما كان لى من ثروة لا تعد ، وأغنام لا تحصى ٠٠

مع الطمأنينة والنعيم ، يولد الحنين ٠٠

◆ **أصبحت** غنيا بما صار عندى من عبيد ، وما لى من بيت فخم ومكانة رفيعة ٠٠ لقد فعل ربى ما فعل رحمة بمن أضله الهوى فهرب الى بلد غريب ! ٠٠ وان يوم النصر هذا لهو ايذان برضاء ربى على ! ٠٠ لقد كنت بالأمس لاجئا فارا ، ولكنى أجد اليوم من ينتصر لى ٠٠ كنت هاربا يبيت على الطوى ويبرح به الم الجوع ، والآن يطعم الجار من زادى ٠٠ وكنت أهيم بعيدا عن وطنى فى العراء ولكنى أملك اليوم الأثواب الكثيرة والملابس البيضاء ٠٠ كنت حائرا مضطرا الى الجرى والسعى بنفسى لا أجد من يسعفنى ، أما اليوم فاملك العبيد العديدين ٠٠ وهذه دارى أنيقة ورحابى واسعة وقد ارتفع ذكرى الى مسامع القصر

يارب ، يامن قدرت على ذلك الفرار ، كن رحيما بى وأعدنى الى بلادى ٠٠ هلا قدرت لى أن أرى البقعة التى يحن فؤادى الى العيش فيها ؟٠٠ أمن شىء احب لدى وأعظم عندى من أن يدفن جسدى فى الأرض التى ولد فيها ؟ ٠٠ الا اشفق على يارب !

هل لملك مصر أن يكون رحيما بى فأعيش فى ظلال كرمه ، وأن يأذن لى برعاية شئون سيدة البلاد التى تسكن فى قصره

وأسمع أوامر بنيها ؟٠٠ لقد تعب قلبى وحانت ساعة الوداع ، وما أسرع ما أنتقل الى مدينة الأبد ، فهل لى أن أكون فى خدمة الالهة « نبرجر » ٠٠ وأن تكون لى كما أريد ، سيدة الأبدية !؟

دعوة من ملك مصر الى « سانوهى »

(وتبلغ هذه الادعية مسامع الملك فى مصر ، فتمتلىء نفسه عطفا وبرا ورحمة بالامير المنفى ٠٠ فيكتب اليه أن يعود ، ويروى سانوهى ذلك فيقول :)

وتناهى الى جلالة ملك الشمال والجنوب « سنوسرت » ما صار اليه حالى ، فأسرع بالكتابة الى ، وبعث لى بالهدايا مما يمنح لأفراد الحاشية ، فملأ ذلك قلب خادمه «سانوهى» فرحا ، وكأننى عينت حاكما على بلد من البلاد الأجنبية ٠٠ وكذلك أصدر أبناء الملك أوامرهم فى شأنى ٠٠

وهذا نص رسالة الملك الى خادمه « سانوهى » :

((من حورس الحى دائما ، صاحب السيادتين ، ملك الشمال والجنوب ((سنوسرت)) بن رع وابن امنمحات الذى يحيا الى الابد ..

((انظر ، لقد صدر هذا الامر اليك لتعلم بأنك رحلت الى البلاد الاجنبية ، بوازع من نفسك ، فما نعرف انك تحدثت بسوء تحاسب عليه ، ولم تقل فى البلاط ما يمكن ان يرد عليك اوتؤاخذ به ٠ وانما كان فرارك من وحى قلبك ٠٠

((ان الملكة ـ وهى سماؤك فى القصر ـ باقية على الخير ، متوج راسها بملك الارض ٠ وابناؤها فى البلاط يشاركون فى الحكم والادارة٠٠ ولسوف تنزل فى ضيافتها .. فهيا انشط ، وعد الى مصر ، حيث ترى القصر الذى أنجبك .. وقبل الارض عند سدته الكبرى ، وكن واحدا من حاشيتى ..

((وبعد ، انك لتسرع الخطو الى الشيخوخة ، ولقد ولت أيام الشباب ، وما من شك فى أنك دائم التفكير فى الموت والانتقال الى حرمة الموتى .. ولقد أمرت لك فأعدت الزيوت والاكفان من أيدى ((تيت)) ـ الهة النسيج ـ ولسوف يعد لك فى يوم الدفن موكب كبير الى القبر ، ويوشى نعشك بالذهب ، ويكون لك قناع من ((الازورد)) ، وتظلك ((نوت)) ، الهة السماء .. ولسوف توضع على زحافة المواكب ، فتجرك الثيران ، ويتقدمك المنشدون ،

وتؤدى من أجلك رقصة الموت عند باب القبر .. ولسوف تتلى أدعية القربان من أجلك ، وتنحر الاضحيات عند نصبك الجنازى .. »

فرحة سانوهي بتلقى كتاب الملك

◆ **وبلغنى** هذا الأمر حينما كنت واقفا بين أقاربى من أهل القبيلة ، فلما قرىء على خررت ساجدا ، فقبضت قبضة من تراب ، فحثوتها على رأسى ، ثم اندفعت فى الحى حول خيامى وأنا أصرخ فرحا : « أيمكن أن ينال ذلك العفو خادم أضله هواه ، فدفعه الى أرض البدو ؟.. حقا انه لرحيم ذلك الاله العظيم الذى أنقذنى من الموت ، وأذن لروحى بأن تنتهى حياتى فى وطنى » ..

(وبادر سانوهى الى كتابة رد عن كتاب الملك هذا نصه :)

« يقول سانوهى أمين جناح الحريم :

« سلام طيب عليك ، ان روحك هى التى اكتشفت ذلك الفرار - الذى اقترفته دون وعى - أيها الاله الطيب .. ياسيد الأرض ، وياحبيب «رع» ، ويا رضى « منتو » ، فلتنعم الآلهة عليك بالصحة والحياة .. ولتسبغ أفضالها عليك ولتعم الرهبة منك أنحاء أرض مصر ، وليقع كل ما تشرق عليه الشمس من بلاد تحت سلطانك ..

« تلك أمنيات « سانوهى » ، خادم مولاه الملك ، الذى سوف يعينه على الذهاب الى مدينة الأموات كريما . ان الاله العليم سيد المعرفة ، وأولى الفهم من الناس يقدرون اخلاصى لك .. لقد كان « سانوهى » خادمك البعيد يستشعر الخوف من أن يأتيك معبرا عن ولائه وطاعته كلما عاودته من ذلك الفرار ذكراه الأليمة ، ولقد عفوت عن خادمك أيها الاله العظيم يا وليد «رع» ، وانى لأعبر عن ولائى واخلاصى لمن أنعم على واهتم بى ، وهأنذا أضع نفسى طوع أمرك ، فأنت يا صاحب الجلالة «حورس» المنتصر ، القوى القبضة على سائر البلاد .. »

(ويمضى « سانوهى » يبرهن على براءته من أى تآمر قد يوحى به فراره ، ويؤكد ان هذا الفرار حدث دون وعى ، فى غمرة الذهول الذى اعتراه . ثم يقول :)

«وبعد ، فلسوف أنزل - أنا خادمك البعيد - عما كنت أشغل من منصب الحاكم .. أما جلالتك فتمكث حيث تشاء ، فالناس يحيون بالنسيم الذي

تنعم به عليهم ، فليرض «رع» و «حاتحور» عن أنفاسك الشريفة ، وليأذن «منتو» ـ سيد طيبة ـ بأن تحيا الى الأبد » .

العودة الى الوطن !

◆ **وأذن** لى الرسول بأن أستمهله يوما واحدا فى أرض «يا» ريثما أوصى بأملاكى الى أولادى .. فأقمت اكبر ابنائى شيخا على الحى ، وعهدت اليه بحماية قبيلتى ، ووضعت كل ما أملك تحت رعايتـــه ، وعهدت اليه بســـائر أولادى .. ثم رحلت موليا وجهى شطر الجنوب ، فسلكت طريق «حورس» . وما ان بلغت منطقة المستنقعات ، حتى اوفد قائدها رسولا الى القصر يعلن نبأ وصولى . فاذا جلالة الملك يرسل مفتشا زراعيـــا من أقدر رجال خاصته ، تتبعه سفينة محملة بما يقـدم الى أصدقاء الملك من هدايا ، هبة منه لسكان الصـحراء الذين رافقونى فى رحلتى .. أما الموظفون فقد أحسنوا كل ما كان مسندا اليهم من أعمال ، فانهـم عندما بدأت رحلتى نشروا الشراع وكانوا يجهزون الخبـزويخبزونه طوال الطـريق حتى بلغت قلعة « ايشت تاوى » ..العاصمة !



واذ أضاءت الأرض فى فجر اليوم التالى ، أقبـل على رجل فنادانى ، ثم قدم رجال خمسة صـــحبتهم الى القصر ، حيث صافحت الارض بجبهتى ، بين التماثيـل القائمة عند البـوابة .. وكان أبناء الملك قائمين فى قاعة المدخل حيث أحاطوا بى ، وقادنى أصحاب الملك الى قاعة ذات أعمدة ، أدخلت منها الى قاعة الاستقبال ، فاذا بى أجد الملك جالسا على العرش الاكبر ـ فى

قاعة الذهب ـ فخررت بين يديه ساجدا ٠٠ وفقدت وعيى فى محضره ! ومع ان ذلك الاله خاطبنى فى دعة ورفق ، الا اننى كنت كرجل خرج من الظلمات فجأة الى النور ، فخارت نفسى وارتعدت فرائصى ، وهوى قلبى ، فما عـدت أحس به فى صدرى ٠ وما دريت أحى أنا أم ميت !

وقال جلالته لأحد أصحابه : « انهضوه ودعوه يتحدث الى ! » ٠٠ ثم خاطبنى جلالته فقال : « أنظر !٠٠ ها أنت ذا قد عدت بعد رحيلك الى بلاد الغربة ، فوضعت حدا لقصة فرارك ، وقد حلت بك الشيخوخة ، وتقدمت بك السن حتى اشتعل الرأس شيبا ٠٠ ما كان اهون أن تموت هناك وتدفن ، لا يشيعك الى قبرك أحد من البدو !٠٠ لا تتلعثم ، ولا تظل على صمتك ! »

وكنت خائفا من العقاب ، فظللت فترة لا أحير جوابا ، حتى سرى عنى الخوف ، فقلت : « ماذا يقول مولاى لى ؟ ٠٠ لست اريد الا أن أجيب فأحسن الجواب ٠ اننى لم أقترف اثما ، وانما كانت يد الله تدفعنى ، وكان ذلك الرعب الذى دب فى جسدى قدرا قدره الله على بالفرار ٠٠ أنظر هأنذا بين يديك ، تستطيع أن تريق دمى اذا أحببت وأرضاك ذلك ٠٠ »

اسرة الملك تحتفى بالامير العائد

◆ ثم قدم الملك الى ابناءه ، وقال جلالته للملكة : « انظرى : ٠٠ كيف تغير «سانوهى» فعاد الينا بدويا يسكن البيداء كأحد الآسيويين ! » ٠٠ فاذا بالملكة تنفجر ضاحكة ، وطفق أبنـاء الملك يتمازحون بعضهم مع بعض ٠٠ ثم أحضر أبنـاء الملك قلائدهم وصوالجهم وجلاجلهم فرفعوها الى جلالته قائلين : « **امنح الحياة لهذا المسكين ، ودعنا نحتفل بهذا العيد السعيد ٠٠ دعنا نحتفل بالأمير ابن الشمال ، هذا البدوى الذى ولد فى مصر ٠ انه ما حمل نفسه على الفرار الا خوفا منك ٠٠ هجر وطنه لأنه امتلأ منك رعبا ٠٠ أيمكن للوجه الذى تطلع الى محياك أن يحتمل شحوب الخوف ؟** »

فأجاب جلالته : « ألا لا خوف عليه ، ولا هو يحس رعبا ٠٠ ولسوف يكون سميرا لى ويعين بين ضباط البلاط ٠٠ دعوه يذهب الى قاعة الاستقبال حيث يبين له مركزه وترتيبه طبقا للنظم والمراسيم »

حياة ناعمة ٠٠ فى انتظار الموت

◆ **وعندما** عدت من قاعة الاستقبال بسط ابناء الملك الى أيديهم ، فصحبتهم الى أرجاء القصر ٠٠ ثم أسكنت بيتا لأحد أبناء الملك ، جهز بالأثاث الفخم ، وبحمام أنيق ، وزخارف تمثل السموات ، وبادوات ثمينة من خزائن الملك ، وأثواب من كتان ، وعطور من المر والزيت ٠٠ وكان الموظفون من أصفياء الملك فى كل حجرة ٠٠ والخدم هناك كل يؤدى أعماله ، فأزيلت من أعضائى ما خلفته هذه السنون من آثار ، وأعيد التراب الى الصحراء ، وأثوابى الى سكان البدو ، ثم ألبست الكتان ، وضمخت بأفوح العطور ، واضطجعت على سرير ٠٠

ثم انشىء من أجلى هرم من حجر بين سائر الأهرام ، فاختار وزير اشغال الملك المساحة ، وأعد مدير حرس الخزانة الرسوم ، وجهز مدير المحاجر الأحجار المنحوتة ، ونحتت لى التماثيل ، وقام مدير العمل فى الصحراء برحلات لذلك فى انحاء البلاد ، وتم اعداد كل شىء يلزم للضريح فى ممر بالقرب من الهرم ، ثم وضعت هذه المعدات فى أماكنها ٠٠ وعين كهنة جنائزيون من أجلى ، وغرست حديقة لى على حافة الصحراء ، فضلا عن حقول وحدائق فى زمام المدينة ٠٠ ولقد وشى تمثالى بالذهب ، وطلى مكان الثوب منه بمزاج الذهب والفضة ٠٠ وكان جلالة الملك هو الذى دبر كل هذا !

وانى لأحظى الآن بما يناله سمير الملك من عطف ٠٠ وسيظل هذا النعيم حتى يأتى يوم النزول الى الغرب ٠٠ الى مدينة الاموات !



المعرض الصناعى التشيكوسلوفاكى

بسراى الشرق - بالجزيرة - بالقاهرة

عرض ضخم لأرقى المنتجات
الصناعية والاستهلاكية للمصانع
التشيكوسلوفاكية ذات الشهرة العالمية

مع

- مسابقة كبرى للعلامات التجارية للمصانع التشيكوسلوفاكية رصدت لها جوائز ثمينة

وبرامج حافلة بالتسلية والفائدة

عندما ترفع الستار..



روائع المسرح العالمى
(التمثيلى.. والغنائى)

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب فى الاعداد الماضية المسرحيات العالمية الآتية :

- خطايا الحب : لاوسكار وايلد
- نزاهة الحكم : جوجول
- سلاح المرأة : اريستوفان
- فولبون : بن جونسون
- جيوكندا : دانونزيو
- كلام الناس : جوزيه اشيجاراى
- مدرسة الفضائح : شيريدان
- سيرانو دى برجراك : روستان
- لعبة الحب والموت : رومان رولان
- مروحة الليدى وندرمير : وايلد
- فاوست : جيته
- اوديب الملك : سوفوكل
- فى سبيل الحب : جون درايدن
- وليم تل : شيللر
- الأم : مكسيم جوركى
- الملك يلهو : فيكتور هوجو
- الجنس الآلى : كاريل كابيك
- الابن الاكبر : جالزورثى
- هرنانى : فيكتور هوجو
- ترويض النمرة : شكسبير
- الحياة نفاق : لويجى بيراندللو
- اغلال الحب : ستيف باسير
- المنافق (طرطوف) : موليير
- بيت الليل : تيبرى مونييه
- علموهم الحب ، روجيه فردينان
- زوج مثالى : أوسكار وايلد
- سالومى : اوسكار وايلد

واليوم أقدم لك هذه المسرحية الساخرة ، لجان كوكتو

مدرسة الأرامل !

قصة تمثيلية: للأديب الفرنسي المعاصر

چان كوكتو

عضو الأكاديمية الفرنسية



.. هذه المدرسة

◆ طالعتنا البرقيات فى الشهر الماضى بنبأ اختيار الأديب الفرنسى المعاصر ((جان كوكتو)) عضوا فى (الأكاديمية الفرنسية) - أو مجمع ((الخالدين)) ، كما يطلقون عليه - وقد رأيت لهذه المناسبة أن أقدم لك فى هذا العدد نموذجا من أدب ((كوكتو)) ، هو هذه المسرحية الطريفة - ذات الفصل الواحد - التى اقتبسها عن قصة للأديب الرومانى ((بترون)) Pétrone ، الذى عاش فى عهد ((نيرون)) حياة حافلة بالمتع وألوان الترف .. ثم مات منتحرا بقطع شرايينه عام ٦٦ م ، على أثر اتهامه فى مؤامرة ضد الامبراطور . وقد اشتهر ((بترون)) بمؤلفه فى وصف اخلاق الرومان ومباذلهم فى القرن الاول الميلادى

واليوم راق لكوكتو أن يبعث الى الحياة بقلمه الساخر صورة من صور ذلك المجتمع القديم .. وقد اتخذ مكانا لحوادثها ((مقبرة)) مدينة (ايفيز) ، وهى احدى مدن اليونان التى اندثرت - وكانت تقع على بحر ((ايجه)) - وقد اشتهرت بمعبد اقيم فيها للالهة ((ديانا)) ، وكان معدودا من ((عجائب الدنيا السبع)) !

فتعال معى ندخل - فى ركاب ((الخالد)) الجديد ((جان كوكتو)) - مدرسة الأرامل .. لنتلقى فيها درسا فى وفاء الزوجات ، وخداع الأزواج .. أو العكس !

◆ قبر فاخر متسع فى مقبرة ((ايفيز)) ، به نافذة مربعة تدخل منها أشعة القمر ، وباب يفضى الى حديقة ملأى بالازهار .. وبين النافذة والباب جثة محنطة واقفة على قدميها داخل صندوق صغير من الزجاج ووجهها نحو فناء القبر .. والى اليسار فراش ومنضدة ومقاعد ، وعلى المائدة موقد صغير ، ومصباح ، و ((كعكة الميت)) التقليدية ..

المشهد الاول

الوصيفة : سيدتى ..

الارملة : اذا كنت تنوين أن تكررى « الموال » ذاته ، فخير لك أن تصمتى !

الوصيفة : لو كان سيدى حيا لكان أول من نصحك بـ ٠٠٠

الارملة (مقاطعة) : زوجي قد مات ، والكلمة النافذة صارت الآن كلمتى ٠٠

الوصيفة : أثناء النهار كانت لدى بقية من شجاعة ، ولكن الليل قد أقبل ٠٠ ونحن امرأتان وحيدتان مع ٠٠

الارملة : مع ماذا ؟

الوصيفة : مع سيدى ٠٠ لكم كان طيبا وعادلا ، لكنه قد مات ٠ والموتى تعود أشباحهم الى الحياة في المقابر أحيانا !



المؤلف : جان كوكتو

الارملة : لا تكونى حمقاء ٠٠لن يستطيع أن يلحق بك أى أذى ٠٠ انى أحب البقاء بجواره ، انه يعيد الى نفسى شيئا من الطمأنينة كلما نظرت الى وجهه الحبيب ٠٠

الوصيفة : لكم تغير سيدى منذ حنطوه ٠٠ ان هؤلاء اليهود يسرقون نقود الاغنياء بهذه البدعة !

الارملة : قد لا تكون العينان باقيتين على حالهما ٠٠ وقد يكون الفم والخدان مستديرة أكثر من الطبيعى ٠٠ لكن الصورة فى مجموعها صورته ، ووجوده بجانبى يريحنى ٠٠

الوصيفة : كيف يمكن لامرأة مثلك : شابة ، وجميلة ، وغنية ـ بل أجمل وأغنى نساء البلدة ـ أن تعتزم الصوم فى قبر زوجها حتى تموت جوعا ٠٠؟!

الارملة : وما لك تصرين على البقاء معي ومقاسمتي مصيري ؟

الوصيفة : هذا طبيعى ، لا يمكن أن أتركك ٠٠

الارملة : ان حكمى على نفسى بالموت لان زوجى قد مات ، أمر يخصنني ٠٠ أما موتك أنت ، لموتى ، فهو انتحار ٠٠ جنون ٠٠ وحشية ٠٠ انى آمرك بتركى أموت وحدى

الوصيفة : جنون ووحشية ؟٠٠ بل أن الجنون والوحشية أن تنفذى قرارك الرهيب ٠٠ ما الذى أوحى اليك بذلك ؟

الارملة : ثرثرة نساء البلدة ، وعلى رأسهن شقيقة زوجى ، وبخلهن وقسوتهن ٠٠ وتغامزهن بشأن استعادتى لحريتى ٠٠ كل ذلك ساهم فى اغرائى على تنفيذ الفكرة ٠٠ كان لا بد من قدوة ، من مثال يعلم النسـاء المتمسكات بأهداب الدنيـا ما تستطيع فعله واحدة من جنسهن !٠٠ لا تحاولى أن تثنينى عن قرارى ، فهذا مستحيل ٠٠ سوف أموت فى هذا القبر ، وسوف يسجل التاريخ اسمى ٠٠

الوصيفة : اذن فأنت تموتين على سبيل العناد ، والكبرياء ٠٠ تريدين أن تدهشى أهل البلدة ٠٠؟

الارملة : نساءها على وجه الخصوص ٠٠ تذكرى روعـة الموكب الذى رافقنى الى هنا حين أعلنت نيتى ٠٠ الموسيقى ، والاناشيد ، والترانيم ، ومئات النسوة الراكعات على ركبهن خشوعا وتحية لى !

الوصيفة : كلهن سعيدات اليوم بقرارك ٠٠ فقد كان جمالك وذكاؤك وثراؤك وترفك يقتلهن حسدا وغيرة ٠٠ يا للرياء ، انهن ينتحبن وينشجن بصوت عال ، فى الوقت الذى يضحكن فيه فى أكمامهن ٠٠ فكيف يمكن أن تجوز عليك هذه الخدعة الكبيرة ؟

الارملة : أنت مغرضة ، تتوسلين الى انقاذى بكل وسيلة !

الوصيفة : سيدتى ٠٠٠

الارملة : صه ٠٠ ولا تلجئى الى العناد فتصممى على اللحاق بي الي الجحيم ٠٠ فلقد أوصيت بثروتي كلها لك

الوصيفة : لى أنا ؟

الارملة : نعم ٠٠ انى لا أزال أدخر هذه المفاجأة المفجعة لشقيقة زوجى !

الوصيفة : وا أسفاه !٠٠

الارملة : ولم الاسف ؟

الوصيفة : لانه ليست لى أسرة تنتفع بهذه الثروة

الارملة : ستنتفعين بها أنت ٠٠

الوصيفة : كيف وأنا سأموت معك ٠٠؟

الارملة : أن نبلك واخلاصك جميلان حقا ٠٠ ولكن اصغى الى ٠٠ يجب أن تبقى على قيد الحياة ٠٠ ان موتى يجب أن يظل فريدا فى نوعه ٠٠

الوصيفة : فكرى فى أنك ستصعقين حسادك حين تعلنين عدولك عن مشروعك وعودتك الى بيتك !

الارملة : سوف أضطر الى منعك من فتح فمك وتثبيط همتى ٠٠ انك لن تفلحى فى اثنائى عن عزمى

الوصيفة : اننى أدافع عنك ضد نفسك ٠٠ ولسوف أصبح كالبومة اذا استلزم الامر ٠٠ فكرى فى الدنيا الجميلة التى تريدين تركها ٠٠ الربيع ، وضوء القمر ، والاستسلام للحب ٠٠ الذى لم تعرفيه أو تذوقيه قط !

الارملة : اصمتى ٠٠٠

الوصيفة (صائحة) : كيف يمكن لامرأة مثلك فى زهرة شبابها ، لم تذق الحب قط ، أن تفكر فى أن تتبع الى القبر زوجها المسن ، بحجة ضرب المثل الاعلى وتقديم القدوة الحسنة لاهل البلدة ، أو معاقبة ألسنة السوء ؟٠٠ انك لا تعاقبين الا نفسك اذ تتطوعين بالموت جوعا فى هذا القبر ٠٠ آه لو كنت عاشقة ، اذن لما كنا الآن هنا !

الارملة : عاشقة لمن ؟

الوصيفة : ليس لزوجك طبعا ·· فان الدنيا حافلة بالرجال الذين لا يدينون بجمال عيونهم للمحنط !

الارملة : لقد كنت أحب زوجى ، ولم أفكر قط فى خيانته مع أى رجل آخر ··

الوصيفة : كان ينقصك الالتقاء برجال آخرين ·· انك لا تحسبين فى عداد الرجال أولئك الطامعين فى ثروتك ·· انهم لا يتأثرون بجاذبية جنسنا قدر ما يتأثرون بجاذبية المال ··!

الارملة : ان قمر هذه الليلة من ليالى الربيع وعطرها قد أفقداك اتزانك ·· اذن فأنت ترين انه لا يوجد في بلدتنا كلها شاب يعتبر فى نظرك رجلا بكل ما تحتمله الكلمة من معنى ؟ فأين ترين يمكن أن أجد هذا الرجل المثالى ؟

الوصيفة : ولم نذهب بعيداً ؟·· ان أول رجل من عامة الشعب سوف تقع عليه عينك تنطبق عليه شروطى

الارملة : ومن يكون ؟

الوصيفة : حارس المقبرة

الارملة : هـذا الأحمق الذى يمر كل حين ليستفسر عن أنبائى ··؟

الوصيفة : أنت ترينه هكذا لانه خجول طيب القلب ·· ان ثراءك يخجله واعتزامك الموت يبلبل أفكاره ··

الارملة : وهل أنت واثقة من حسن نواياه ؟

الوصيفة : هذا أمر تسهل معرفته ···

الارملة : أهو شاب ؟ وجميل ؟

الوصيفة : ألم تريه قط ؟

الارملة : وما الذى كان يدعونى الى تأمل هيئته ؟

الوصيفة : يكفى أن تلقى عليه نظرة فاحصة حتى تقتنعى بأن المرأة يجب ألا تفكر في مغادرة الدنيا دون أن تحاول

التعرف برجل ٠٠ رجل بمعنى الكلمة ، لا يشبه شباب البلدة المخنث ولا هذا ٠٠ هذا الشيء المخيف الذى يرعبنى !

الارملة : انى أمنعك من التحدث عن زوجى بهذه اللهجة !

الوصيفة : ان سيدى لم يكن يشبه السادة فى شىء ، انه ليشبه هذه التماثيل من الكعك التى يجلبها الاصدقاء ، والتى لا روح فيها ٠٠ (**تنظر الى كعك الموتى نظرة الجائعة**) ان الموتى لمحظوظون ٠٠ انهم على الاقل يستطيعون أن يأكلوا ٠٠!

الارملة : كفى ٠٠ اصمتى أو اخرجى ، فالباب مفتوح على مصراعيه ٠٠ ولكن اذا اخترت البقاء فعليك أن تحترمى صمتى وتدعى الموت يأخذنى فى هدوء

الوصيفة : صه ، هذا هو حارس المقبرة ٠٠ لا تنسى أن ترمقيه بنظرة مختلسة ٠٠ انه يستحقها

الارملة (تهرع الى الفراش فتتمدد عليه وتغمض عينيها) : تحدثى اليه بصوت منخفض اذا شئت ٠٠ ولكن احذرى أن يوجه الى كلاما ٠٠

الوصيفة : نامى بعين ، وانظرى اليه بالعين الاخرى !

المشهد الثانى

الحارس (يدخل مجفلا فى خجل) : أهى نائمة ؟

الوصيفة : نعم ٠٠ اقترب أكثر !

الحارس : يا للمسكينة ٠٠!

الوصيفة : بل يا لها من عنيدة ٠٠

الحارس : انها لم تأكل منذ مساء أمس ٠٠

الوصيفة : أواه ، انها قد اعتادت ذلك ٠٠ كانت أحيانا تبقى ثمانية أيام بلا طعام ، كى تحتفظ بقوامها رشيقا ٠٠ أنا التى يحق لى أن أشكو ،فلكم أنا جائعة !

الحارس : لقد عرضت عليك أن تقاسمينى طعامى ٠٠

الوصيفة : ما دامت سيدتى ترفض أن تأكل فيجب أن

أجاريها ٠٠ وما دامت تريد الانتحار ، فسوف أنتحر معها ٠٠ هذا واجب كل خادمة مخلصة

الحارس : اننى منذ الامس عاجز عن التفكير فى غير هذا الغرام العجيب !

الوصيفة : أى غرام ؟

الحارس : الغرام الذى يدفع الانسان الى طلب الموت اسوة بحبيبه الذى مات ٠٠ هل كان شابا ؟ جميلا ؟

الوصيفة : صه ! **(تجره معهـا نحو الجثة المحنطـة)** : اليك هو !

الحارس : مستحيل ! أمن أجل هذا الرجل تقدم هـذه المرأة على ٠٠٠ ؟

الوصيفة : بالضبط ٠٠

الحارس : هذا يجعلنى أعجب بها أكثر ٠٠ ان العاطفة كثيرا ما تغرى بالحماقات ، أما الموت قياما بالواجب وحده ، فهذا نبل لم أكن أتصور وجوده فى امرأة ٠٠!

الوصيفة : بل هو حماقة ٠٠

الحارس : أنت لا تفهمين ٠٠ اننى لم أصادف فى حياتى امرأة ، امرأة بمعنى الكلمة ، مثل سيدتك ٠٠ لم أصـادف سوى فتيات سخيفات ٠٠ ألا يمكننى أن أرى سيدتك وأتحدث اليها فى فرصة أوسع ٠٠؟

الوصيفة : ممكن جداً ، حين تسمح لها قواها بالجلوس أو الوقوف ٠٠ ربما غدا ٠٠ وان كنت أتوقع انى لن أسـتطيع الوقوف على قدمى ، من فرط الجوع !

الحارس : اذن فالى اللقاء ٠٠ يجب أن أذهب لحراسـة الموتى الثلاثة

الوصيفة : من هم ؟

الحارس : ثلاثة لصوص أبت السلطات الترخيص بدفنهم ، كى تظل جثثهم معروضة أمام الانظار ، للعبرة والعظة ٠٠ لكن

الرؤساء يخشون أن تعمد عصاباتهم أو عائلاتهم الى سرقة جثثهم لدفنهم سرا ٠٠ يجب أن أسرع ٠٠ اذا احتجت لأبسط شىء فما عليك الا أن تنادينى ٠٠ **(يخرج)**

المشهد الثالث

الوصيفة (لسيدتها) : والآن ٠٠ ما رأيك فيه ؟

الارملة : لاشك انه قدير على ان يسعد امرأة من طبقته **(تنهض فتجلس بقرب المائدة التى عليها الكعكات ، وتشرد عيناها ٠٠ كالحالمة)**

الوصيفة : هل فكرت فى الامر ؟

الارملة (تقفز كمن تفيق من حلم) : فيم ؟

الوصيفة : فيما كان سيدى لينصحك به لو علم ٠٠٠

الارملة : بل انه يعلم بنيتى ويقرنى عليها ٠٠ انه ينادينى ، وينظر الى ٠٠ وعلى أية حال فرأى سيدك لا شأن له البتة بهذه المسألة ٠٠ لقد كنت دائما فى حياتى معه مستقلة الرأى ، وكان هو يعطينى الحرية الكاملة ٠٠

الوصيفة : اعلم ذلك ٠٠ كان يعطيك حريتك ويحتفظ لنفسه بحريته ٠٠ ولعله لا يرحب بأن تتبعيه الى المكان الذى هو فيه ٠٠ لقد طالما قال لى : «لا تخبرى سيدتك بموعد خروجى وعودتى ٠٠ انى امقت التجسس على !»

الارملة : ماهذا الذى تزعمين ؟ ٠٠ هل كان زوجى يدخل ويخرج فى الخفاء ! ؟

الوصيفة : لم أقصد هذا ٠٠ قصدت فقط انه كان يعتز بحريته ويعرف كيف يحصل عليها !

الارملة : يا لسذاجتى ! ٠٠ أنا التى لم أفكر يوما فى ٠٠ **(تدق بيدها على المائدة)** سوف تظل النساء دائما ضحايا غريرات ! ٠٠ وأنت ، كنت تساعدينه على خيانتى ٠٠ يا للكارثة ! ٠٠ سوف انتقم ٠٠

الوصيفة : بالضبط .. انتقمى لنفسك منه بعدم التضحية من أجله .. اهربى من هذا القبر ، ولكن لا تقولى انى كنت اساعده على خيانتك .. كل ما فى الامر انى كنت أساعده على الاحتفاظ بالسلام فى البيت !

الارملة : يا للخائن المخادع !

الوصيفة : ها أنت ذى تغالين مرة اخرى .. لم يكن سيدى خائنا مخادعا ، بل كان على العكس من ذلك سيدا شجاعا

الارملة : دافعى عنه .. اكملى المهزلة .. من حسن الحظ ان شخص زوجى ليس له شأن كبير بموتى ، وانما تمليه اعتبارات عليا

الوصيفة : أليست الاعتبارات العليا التى تضطرك الى الموت هى أنانية شقيقة زوجك وألسنة بعض الحمقاوات ؟

الارملة (حالمة) : اذن فهو كان يخرج .. ويعود .. ويأتمنك على اسراره .. **(وفيما هى تتكلم وعيناها شاردتان الى بعيد ، تتناول دون ان تشعر احدى كعكات الميت وتأكلها !)** لكم أنا سعيدة بأن ألحق به سريعا كى أناقشه الحساب !

الوصيفة : انك لن تقولى لسيدى اننى التى قلت لك ؟

الارملة : لست من طراز اللواتى ألفن النميمة ، وأنت تعلمين ذلك .. ولكن .. **(تتناول كعكة اخرى وتأكلها)** كنت اعتقد ان الانسان يستطيع ان يعرف حقيقة الشخص الذى يعيش معه **(تتنبه فجأة الى أنها تأكل)** أواه ..!

الوصيفة : ماذا ؟

الارملة : لقد أكلت من الكعك دون أن أشعر ..

الوصيفة : ما دامت سيدتى قد أكلت ، وانا اقلد سيدتى ، فلم يبق ما يمنع من ان آكل انا بدورى .. أتسمح سيدتى ؟ **(تتناول هى الاخرى كعكة)**

الارملة : لا بأس ، فان اليوم الاول لا يهم .. سوف نبدأ من غد .. يجب أن لا يعرف الحارس أننا أكلنا ..

الوصيفة : بالعكس .. انه يريد ان نشاركه أطعمته المحفوظة، وما دام بدء الصوم قد أجل الى غد فانى أقترح أن نقبل ما عرضه ..

الارملة : وماذا يقول عنى هذا الشاب ؟ لابد أنه يحسبنى مجنونة ..

الوصيفة : لقد قال لى : «لابد ان سيدتك تمر بتلك الفترة التى تفضل فيها النساء الانزواء بعد انفضاض الرجال عنهن .. كل ما فى الامر انها ماكرة اكثر من سواها بحيث آثرت ان يعتقد الناس انها أرملة سامية النفس والمقاصد ، فى حين انها امرأة جاوزت طور الشباب ! »

الارملة (تعتدل فى جلستها) : هل قال هذا ؟ أيجرؤ ..؟

الوصيفة : سيدتى .. انه أساء الحكم عليك لانه لم يرك الا فى الظل .. لم يعرفك على حقيقتك

الارملة : هذا هو ...

(يظهر الحارس مقبلا ...)



المشهد الرابع

الحارس (من النافذة) : سيدتى ..

الارملة (صائحة) : أيها الحارس .. قف حيث أنت .. أنظر ! **(تدير له ظهرها وتخلع ثوبها الخارجى ..)**

الحارس : أواه !

الارملة : والآن تستطيع أن تقول لرجال المدينة ونسائها

أننى لست حدباء ، ولا مقوسةالجسم ، ولا بدينة ، ولا نحيفة .. وانني هجرت الدنيا والحياة وأنا فى أتم رشاقتى وجمالى !

الحارس : ولكن يا سيدتى ..

الوصيفة : لا تكن أبله .. امض عن النافذة .. **(يدخل من الباب)**

الارملة : ادخل او اخرج ، ولكن لا تقف هكذا على عتبة الباب تتأملنى بغباء ..!

الحارس : ها أنا ذا أخرج يا سيدتى .. ها أنا ذا أخرج **(يهرع خارجا)**

الارملة : ها هو قد فر .. الحقى به ، أحضريه .. ياله من غبى !

الوصيفة : حسنا .. سأحضره لك ..

(ولكن فى اللحظة التى تتأهب فيها للخروج تسمع أصوات ضجيج تقترب)

الارملة (تطل من النافذة) : هى ... انها شقيقة زوجى قد جاءت لزيارتى فى «زفة» من الحرس . لابد ان حافزا قويا هو الذى دفعها الى ارتياد مقبرة فى هذه الساعة .. اذهبى للحاق بالشاب الابله .. وسوف أتخلص من زائرتى بأسرع ما يمكن !

(وتلتقى الوصيفة وهى خارجة بشقيقة الزوج التىجاءت فى كامل أناقتها وزينتها فتحييها فى فتور ..)

الزائرة : حبيبتى !

الارملة : حبيبتى ! **(تتعانقان)**

الزائرة : حبيبتى .. ياللفظاعة .. !

الارملة : فيم الفظاعة ؟

الزائرة : أتقيمين فى مكان كهذا ؟ .. انه فى الصباح ، فى

ضوء الشمس ، كان يبدو أقل رهبة ! لقد جئتك ياعزيزتي مدفوعة بقوة لا تقاوم • أحسست اننى يجب أن أبذل محاولة أخيرة لانتزاعك من هذه الخاتمة

الارملة : لقد اتخذت قرارى وانتهى الامر •

الزائرة : هذا مخيف ، مخيف • اننى أحبك ، نحـــن كلنا نحبك •• لكن وجهك لا يبدو عليه اصفرار الصوم !

الارملة : لاننى مستريحة ، لا أكاد أفعل شيئا أو أقوم بأى مجهود !

الزائرة : هذا طبيعى •• أما أنا فيخيل الى أن الحرمان من التوافه الصغيرة أقسى من الحرمان من الضرورات الجوهرية•• والتضحية بحياتى اذا لزم الامر أسهل على كثيرا من التضحية « بالدوش » اليومى وشطائر « التوست » الجاف ! وبهـذه المناسبة ، أريد أن أستفسر منك عن شىء وان بدا لك مسلكى فظا •• هل كتبت وصيتك ؟

الارملة : نعم •• وانى أحتفظ لك بعد موتى بمفاجأة !

الزائرة : لئن كنت قد فاتحتك فى هذا الموضوع فانما لأجل مصلحتك •• فقد خشيت أن تنسيك بطولتك التفكير فى أشياء لا غنى عنها •• **(تنهض)**

الارملة : لن أستطيع مرافقتك الى الباب ••

الزائرة : أواه يا عزيزتى •• اننى لاأصدق أن هذه نهايتك•• بل يجب استعادتك •• على كل حال فالليل خير ناصح ، وغدا يطرد الصباح كل هواجسك فتعودين الى البلدة ، ومن يدرى •• فقد تدفنيننا جميعا قبل أن تموتى •• هل يعجبك ثوبى ؟•• فلأذهب •• مساء الخير **(وأثنـــاء مرورها أمام الجثة تضع يدها على الصندوق الزجاجى)** مساء الخير لك أنت أيضا !

الارملة (فى دهشة) : ماذا دهاك !

الزائرة : اننى لا أغير لهجتى مع الشخص سواء كان حيا أو ميتا ، بل أحتفظ دائما بأسلوبى ٠٠ وماذا تنتظرين ، لست فى حاجة الى أن أموت كى أعيش مع الموتى من اعزائى ٠٠ الوداع يا عزيزتى **(وتختفى)**

الوصيفة : سيدتى ٠٠ سيدتى !

الارملة : ماذا ؟

الوصيفة (للحارس) : ادخل ٠٠ سيدتى ، لقد وقع حادث مكدر لحارسنا

الحارس : سأقص عليك ما وقع ياسيدتى ٠٠ كنت مكلفا بحراسة ثلاث جثث غير مرخص بدفنها ، فلما جئت لأزوركما منذ فترة ، تسلل نفر من أسرة أحد الثلاثة وسرقوا جثته ٠٠ وهكذا سأفقد عملى هنا ولن أستطيع رؤيتك !

الارملة : أهذا ما يحزنك ؟

الحارس : فلأعترف ٠٠ نعم !٠٠ ولا بد من أن أفعل المستحيل للعثور على جثة حديثة عهد بالوفاة كى أضعها مكان الجثة المفقودة ٠٠

الارملة : ان زوجى يسر بأن يقوم لك بهذه الخدمة

الحارس : سيدتى ! ٠٠ هذا مستحيل

الارملة : ما هو هذا المستحيل ؟ ٠٠ ان الاحياء يخدمون الموتى بما فيه الكفاية كى يرد لهم الموتى بعض جميلهم ٠٠

الحارس : لن أجرؤ قط على ٠٠٠

الارملة : لا داعى للمجاملات ٠٠ بل ان هذه الجثة قد بدأت تزعج منامى وتسبب لى كابوسا ! **(الى الوصيفة)** ساعدينا ٠٠

الوصيفة : أتريدين اخراج الجثة ؟

الارملة : يلزم أن نتعاون نحن الثلاثة لاتمام هذه المهمة **(الى الحارس)** ادفع أنت التابوت ، فأنت أقوانا ٠٠ ونحن نجذبه الى الخلف

الوصيفة : هل تنبهت سيدتى الى أن التابوت لن يمر من الباب ؟ لا بد من تجزئة سيدى !

الارملة (تضرب الارض بقـــدمها) : كما أمكن ادخاله ، يمكن اخراجه ‥ يا للغباء !

الحارس : ينبغى أن نميله على جانبه ‥

الارملة : بالضبط !

الوصيفة : سوف يتشوه الوجه ‥ لقد قال المحنط ‥

الارملة : الوجه ! الوجه ! انه لا يشبهه على أى حال ‥ ولن نترك هذا الفتى يروح ضحية نوبة من العاطفية السخيفة !

الحارس : لقد مر !

الارملة : برافو ‥ لقد مر ! **(يختفى التابـوت فى الخارج)**

الحارس : سيدتى ‥ كيف أشكرك ؟

الارملة : هذا سهل **(الى الوصيفة)** أوضحى الامر له !

الوصيفة : آه ، حسنا ‥ **(تهمس للحارس فى أذنه)**

الحارس (يحمر وجهه) : أواه ‥!

الارملة : دعنى أهمس لك باسمى فى أذنك ‥ **(تهمس له‥ ثم يتعانقان طويلا !)**

الحارس : انها امرأة تفكر فى كل شىء !

الوصيفة : انها امرأة ذات عقل ‥

الحارس : وقلب !

الارملة : لقد بلغت سن الرشد ‥ وا أسفاه !

الحارس : يا خبيثة ‥ الآن جاء دورى فى أن أهمس لك باسمى فى أذنك ! **(عناق)**

الارملة : نونو ، انه يوشك أن يخنقنى !

الوصيفة : ما دمت سوف تمنحينه الحياة ، اذن فالرد خالص ‥ دعوا الموت للموتى ‥ ولا تتحدثوا منذ الآن الا عن ‥ الحياة !

(ســــتار)

تفتيش مشروعات رى مصر الوسطى ببنى سويف
اعلان

تقبل العطاءات بمكتب تفتيش مشروعات رى مصر الوسطى ببنى سويف لغاية ظهريوم السبت الموافق ٢٣ ابريل سنة ١٩٥٥ عن عملية الاعمال التكميلية لتحويل حياض طهما والمعرقب والرقة الى الرى المستديم بمديرية الجيزة .

ويمكن الحصول على المواصفات والاشتراطات من المكتب المذكور نظير دفع مبلغ ١٥٠ مليما مضافا اليه مائة مليما مصاريف بريد .

ويجب ان يقدم الطلب على ورقة تمغة فئة الخمسون مليما وكل عطاء يقدم غير مصحوب بالتأمين المؤقت الكامل ومقداره ٢ ٠/٠ من قيمة العطاء لا يلتفت اليه .

٥٢٧

وزارة الشئون البلدية والقروية - الادارة العامة للهندسة الصحية
اعلان

تقبل العطاءات بالادارة العامة للهندسة الصحية حتى ظهر يوم ١٢ ابريل سنة ١٩٥٥ عن نقل وتركيب مواسير زهر ملفوف وقطعها الخاصة ، وتوريد وتركيب الملحقات لخط مواسيربساط المنزلة المطرية مديرية الدقهلية .

ويمكن الحصول على الشروط والمواصفات والرسومات من الادارة العامة بالمبنى المجمع بميدان التحرير بالقاهرة (الدور السادس) نظير مبلغ ١٠ جنيه (عشرة جنيهات) على ان يقدم الطلب على ورقة تمغة من فئة الخمسين مليما بخلاف اجرة البريد وقدها ثلاثمائة مليما - وكل عطاء غير مصحوب بتأمين مؤقت كامل وقدره ٢٪ (اثنين فى المائة) من قيمة العطاء لا يلتفت اليه .

٥٤١



ملكات ونساء - ٣

للكاتب الفرنسي الكبير

هنري بوردو

صراع الغانيات

(مدام دي ديفان .. وجوليا دي لسبيناس!)



« نساء » فقط !

◆ قرأت معى من هذا الكتاب الشائق ، فى اعداد ماضية ، الفصل الذى تناول فيه المؤلف حياة « بيرينيس » ملكة فلسطين القديمة - وبطلة مسرحية « راسين » المشهورة - ثم الفصل التالى عن ملكة مصر القديمة « كليوباترا »

واليوم تقرأ فى الصفحات التالية فصلا جديدا من « ملكات ونساء » ، وقد ترك فيه المؤلف سير «الملكات» جانبا - الى حين - وتحول يروى لنا قصة امرأتين من «النساء» - فقط - لم تكلل الاقدار هامتيهما بتاج الملك ، وان كللتهما بأكاليل « المجد الاجتماعى » الذى فاق مجد الملوك والاباطرة : مجد « صالونات » الادب والفن والمجتمع التى ذاع صيتها فى فرنسا فى القرن الثامن عشر ..

١ - عصر « الصالونات » !

◆ **ان** السيطرة على الرجال فن جميل ، يبرع فيه الملوك ، أو الدكتاتورون ، كما تحذقه النساء ، سواء بسواء !.. وان كان الملوك والحكام يؤدون هذا الفن فى زهو وخيلاء ، فى حين تمارسه النساء فى نعومة ودلال !.. فالصالون هو « مملكتهن » التى يحكمنها بأساليب ونظم كلها كياسة ورقة . وقد كان حكمهن لتلك الممالك الصغيرة الانيقة أحد الينابيع التى طالما فاضت على فرنسا بفيض من العذوبة والجمال !

وقد كان القرن الثامن عشر هو « العصر الذهبى » للصالونات فى فرنسا .. العصر الذى لم ترسم للنساء فيه حدود ، ولا فرضت عليهن فيه ضوابط ، ولا وضعت لهن فيه ألجمة .. بل ترك الحبل لهن على غاربه ، فاختفى بذلك من البلد جميع العقلاء والحكماء !.. فبانصرام القرن السابع عشر ، بقوته وعظمته وكبار مفكريه ، تداعت العقائد التى كانت دعاماته القوية وأسسه الراسخة .. وجاء القرن الثامن عشر ليجد الناس يعالجون

أعقد الامور فى استخفاف ، ويناقشون أعوص المسائل فى غير اكتراث ! وفقد الله تأثيره الروحانى على نفوس أهل الارض ، .. وأشاع « حب النقد » الشكوك فى الضمائر ، فاستبدت هذه الشكوك بالناس ، وبدلا من أن تردهم الى العقل وتحفزهم على التفكير ، أخذت تزيد فى دفعهم الى السخرية والضحك والمجون..
واندفع النساء الى البهرج والكماليات ، بنفس النهم الذى اندفعن به الى المطالعة .. فوصلن الى ذروة الكمال فى أمرين ، هما : اتقان الزينة ، واتقان الحديث !.. صرن يتحدثن عن الفلسفة وما وراء الطبيعة ، وهن أمام المرآة يصففن شعورهن ، ويصبغن شفاههن ، ويبدعن فى زينتهن !.. وبالاختصار ، فقد كان عصرا بلغت فيه النساء شأوا كبيرا فى الثقافة .. فأصدرت « مدام دى توسان » مؤلفها فى « روح القوانين » ، ودأبت « مدام دى ساتيليه » على مضايقة « فولتير » بطريقة نقدها لمؤلفاته ! وألفت « مدام ديبيناى » بحثا فى أصول التعليم .. وفى هذا يقول جان جاك روسو : « ان المواضيع التى تمس الاخلاق والمعنويات أصبحت تناقش فى مجتمع ترأسه احدى فاتنات باريس ، أحسن مما تناقش فى مجتمع من الفلاسفة ! »

واذن فقد كانت المرأة الباريسية فى القرن الثامن عشر جميلة ومثقفة معا ! يمكنها أن تتحدث فى جميع المواضيع ، وان لم تكن حججها دائما سليمة قوية .. من ذلك أن « ماركيزة ليفرى » تورطت ذات مرة فى احدى المساجلات ، فعجزت عن أن تفحم محدثها بالحجج القاطعة التى تبرهن على معرفة واطلاع . واذ عز عليها أن تنهزم أمام الحاضرين ، لم تجد ما ترد به على محدثها غير يدها البضة الناعمة .. فأهوت بها على صدغيه !

الحب المتبادل كان خرافة .. والرباط الزوجى كان هراء !

◆ **وقد** كان الطابع المميز لانسان القرن الثامن عشر هو عجزه المطلق عن البقاء بمفرده ، أو الخلوة بنفسه ، ولو لفترة

قصيرة من الزمن ! كان يريد البقاء فى صحبة الآخرين ، فاندفع الى المجتمعات على اختلاف أنواعها ، اندفاع المسعور ـ فالخلوة بالنفس لا تروق الا اذا اختلجت النفس بعـــواطف مدوية ، واحساسات بعيدة الغور ! ـ ولم تكن توجـد فى ذلك العصر نفوس تضطرم بأية عواطف عميقة ، أو أحاسيس قوية .. **فقد كانت النفوس أشبه بمستنقعات لا عمق فيهـــا ولا غور ، ولا أمواج تصخب وتتلاطم ، بل كان كل ما فيها « فقاقيع » تطفـو على السطح ، لا قيمة لها ولا أثر !**

بل ان « الطبيعة » الزاخرة بالجمـال والسحر والاعجـاز ، لم تكن لتستهوى أحدا فى عهد لويس الرابع عشر .. ولا كان أحد ليلتفت اليها فى عهد «فولتير» !.. فأنت لم تكن تصادف فردا واحدا يحدثك عما فى شروق الشمس وغروبها من جمال .. وما كان للوحة فنية مرسومة بريشة « فراجومار » الخالد مثلا ، أن تحوز اعجاب أحد .

.. بل ان الحب المتبادل ـ الحب كعاطفة عاصفة عارمة ـ كان فى ذلك العصر حديث خرافة !.. والحيـــاة الزوجية ـ كرباط بين زوجين ، وهمزة وصل بين روحين ـ كانت سخفا وهراء ، فكانت العلاقة بين الازواج مفككة العرى : فلا خـلوة شاعرية بين زوجين .. ولا مناجاة بين عاشقين !.. اذ كانت كل هذه الامور تتنافى مع روح العصر ، الذى لم يكن يحفـل الا بالفخفخة والمظاهر البراقة الخداعة ! **ولعل أظرف ما روى فى هذا الباب ، تلك العبارات التى وجهها الزوج « ديبيناى » الى زوجته ـ التى كان من أخطائها الكبيرة أنها ظلت تحب زوجهـا بعد شهرين من زواجهما ! ـ اذ قال لها : « يجب أن تسرى عن نفسك يا عزيزتى .. اجتمعى بالناس ، واذهبى الى المـلاهى والمسارح ، واعقدى بينك وبين الرجال صداقات وصلات !.. وعيشى كما ينبغى أن تعيش امرأة فى سنك وشبابك !.. فان هذا هو السبيل الوحيد الذى يروقنى أن تسلكيه يا عزيزتى !»**

.. ومن ثم تحول الزواج الى « لوحة باهتة » وعلاقة واهية بين الزوجين ، لا يفطن الى وجودها أحد منهما ! .. غير أن الحب لم تخمد له جذوة فى ذلك العصر رغم كل هذا ، بل ظل يتردد فى جنبات بعض النفوس . ولعل أقوى دليل على وجوده ، هو الشعور بالحزن لفقده ! .. فقد كان النساء يشعرن بالخـواء الاليم الذى يحيط بحياتهن ، ويلتهبن حنينا الى لحظة من لحظات الحب الصحيح ! .. غير أن هذا كان نادرا ، واستثناء لا يقاس عليه ، أما القاعدة السارية فكانت الانغماس في محيط من الشر يعج بالحياة الغثة ، الزائفة ، السطحية ، المملة !

شيوع السخرية والتشكك ، بتأثير فولتير !

◆ **وكان** ذلك « الفراغ » يملأ العقل والقلب معا : فلا مشاركة فى الحب ، ولا أسرات ملتئمة الشمل يشيع فيها دفء الأبوة والامومة والبنوة .. **وكان « فولتير » وفلاسـفة ذلك العصر يشنونها حربا عوانا على العقائد ، ويحاولون انتزاع سـكينة الايمان من النفوس ، والسخرية بكل الاوضاع ، والاستهزاء بجميع القيم الانسانية الرفيعة** .. واذا بأخطر الموضـوعات شأنا تعالج بأساليب تبلغ من التفاهة حدا يجعل النـاس يتشككون فيما اذا كانت تلك الموضوعات الخطرة تستحق حتى مجرد عناء الحديث فيها ! .. ولا عجب ، فقد كان « فولتير » ، أستاذ ذلك العصر ، يسخر من كل شىء ـ أو على حـد تعبير « مدام ديبيناى » : « كان اذا لم يجد ما يسخر منه ، سخر من نفسـه ! »

وبالاختصار ، فان الحياة فى القرن الثامن عشر فى فرنسا كانت « فى الشارع » .. فلا أسرة ترعى أبناءها ، ولا روابط بين القلوب ، ولا صلات روحية تصل النفس بالنفس .. وانمـا كانت الوجهة التى يتجه اليها الجميع هى المجون ، والتسرية عن النفس ، واللهو هربا من الخلوة التى يسـتتبعها التفكير

الهادىء العميق الرصين .
وكان انسان ذلك العصر يخشى الاختلاء بنفسه ، لأن الخلوة بها كانت تضعه وجها لوجه أمام عدوه الاكبر - وهو نفسه - وتجعله يراها على حقيقتها : كالحة ، متغضنة ، خاوية ، خالية من أقدس المشاعر الانسانية ، وفى مقدمتها : الحب والايمان !



المؤلف : هنرى بوردو

وكانت « الصالونات » هى « الندوات » التى يلتقى فيها الفلاسفة والمفكرون ، فكان التقاؤهم فيها مبعث زهو المرأة التى كانت الظروف تجعل منها زعيمة لتلك الندوات .. والتى كان يلذ لها أن تصغى الى أحاديثهم عن الفلسفة والعلوم والفنون !..
ولعل خير وصف للحياة فى فرنسا فى القرن الثامن عشر هو قول « تين » : « لم يكن فى أى بلد من البلاد ، ولا فى أى زمن من الازمان ، فن اجتماعى كامل كذلك الذى ظهر فى مجتمع فرنسا فى القرن الثامن عشر ، والذى جعل الحياة فيها مستكملة لجميع أسباب المتعة على اختلاف أنواعها ! »

٢ - مدام دى ديفان

◆ .. **ولم** يكن هناك شك فى أن « مدام دى ديفان » كانت ألمع نساء ذلك العصر ، وأشقاهن جميعا فى الوقت ذاته .. أليس غريبا أن يظل العقل والسعادة خصمين يتصاولان على الدوام ؟!
كانت « مارى دى فيشى » - التى أصبحت بعدئذ الماركيزة دى ديفان - تنحدر من أسرة عريقة أدت لوطنها خدمات جليلة . وان من بواعث التسلية أن نتعرف الى أفراد هذه الاسرة ، فنرى فيها أمورا عجيبة - خليقة

بأن ترى فى الاسر الحديثة فى أيامنا هذه ! ـ فمثلا كان والد « مدام دى ديفان » ، دائم الشكوى من فداحة الضرائب المفروضة عليه !.. وكان لا يفتأ يوبخ ابنته الاخرى ـ « مدام دوليان » ـ لانها طردت من بيتها ستة وثلاثين خادما منذ أن تزوجت ـ كنساء هذه الايام تماما ! ـ وقد كتب اليها مرة يقول : « لا يدهشنى أن لا يبقى زوجك فى المنزل الا فى النادر القليل .. فليس هناك انسان يطيق سماع صياح زوجته المستمر فى خدم المنزل! »

أما ابنه الاكبر « جاسبار » ـ شقيق مدام دى ديفان ـ فقد تزوج من فتاة تدعى « ديانا دالبون » ، كانت أمها ـ أى حماته ـ عشيقته فى الوقت ذاته !.. فأنجبت منه ـ أى من زوج ابنتها ! ـ ابنة أسمتها « جوليا دى لسبيناس » ، ربتها مع أولادها الشرعيين !

وكانت « ديانا دالبون » تجهل كل شىء عن هذه العلاقة الآثمة بين زوجها وأمها .. فقد كانت امرأة متناهية السذاجة والطيبة ، مفرطة فى الغفلة وحسن النية .. وكان جل ما يشغلها ويستهويها هو الاكل !.. كانت نهمة ، لا تشبع ، وتستشعر فى كثرة الاكل والافراط فى التهام اللحوم بصفةخاصة لذة لا تعدلها لذة أخرى فى الحياة !

وكان أهل الريف ، بل أهل باريس نفسها ، مشهورين بالنهم فى ذلك العصر . ويؤثر عن « مدام دى ديفان » قولها : « ان العشاء الجيد يأسر الرجال ويلهم العقول ! » .. فقد كانت ، بدورها ، فى شراهة ونهم زوجة أخيها !

فى دوامة الحياة الباريسية

◆ تزوجت « مارى دى فيشى » المركيز « دى ديفان » وهى فى العشرين من عمرها . وكان الزوج ضابطا فى الجيش ، يملك ضياعا واسعة فى « أورليانز » .. فكان الزواج بالنسبة لها صفقة رابحة ، لم يقلل من شأنها سوى عيب واحد كبير ـ لم يكن من السهل اكتشافه بسرعة ، غير ان طول العشرة ازاح الستار عنه تدريجا ـ وهذا العيب هو ان صحبة الزوج كانت تبعث على السأم والضجر الشديدين !

كانت الزوجة كما قلنا فى العشرين من عمرها عندما تزوجت . وقد تربت فى أحد الاديرة تربية صارمة ، بعيدة عن حنان الاسرة وعطف الابوين . وكان الزوج قد اعتزم أن يترك خدمة الجيش ويعيش فى الريف ـ حيث أملاكه وضياعه الواسعة ـ فخيل اليه أن يتزوج من تلك الفتاة التى تربت فى الدير ، لان حياة الريف لن تبعث فيمن كانت مثلها سأما ، ولن تحس

فيها بأن شيئا من مباهج الحياة ينقصها !.. **لكنه نسى أن ليس أخطر من الفتيات اللواتى يقضى عليهن بحياة العزلة وهن فى باكورة حياتهن ، لانهن - اذا أتيحت لهن الفرصة - يحاولن تعويض ما فاتهن فى صباهن من متع وملاذ .. فى الوقت الذى يتصور فيه الزوج أن فتاة من هذا الطراز سترضى بحياة راكدة حبيسة تتفق وماضيها الراكد الحبيس !**

.. وهذا عين ما حدث فى أسرة « ديفان » الجديدة ، فقد سافر الزوجان عقب الزواج معا الى باريس . فما كادت الزوجة ترى مدينة النور حتى أصابها الدوار ! ولما كانت بارعة الجمال فقد لقيت فى المجتمعات ترحيبا عظيما وأصبحت نجما لامعا فى جميع المآدب والحفلات !

وقد استخفها الزهو عندما دعيت الى مآدب الوصى على العرش ، وبدأت تعرف أنها صارت محط أنظار العظماء ! .. واذا أردت أن تكون فكرة عنها فى تلك الفترة ، فاقرأ ما كتبه « المركيز دى سيجور » فى وصفها ، اذ يقول: **« لقد جمعت مدام دى ديفان الى ذكائها اللماح شبابا دافقا ، كله فتنة واغراء . وبالرغم من قصر قامتها الا أنها كانت ذات قد جميل متناسق ، ووجه دقيق القسمات . أما لون بشرتها فقد كان أفتن لون فى العالم .. وكانت تشع من عينيها نظرات ساحرة تكفى وحدها لان تجعل من أية امرأة أجمل فاتنة فى العالم .. اذ كانت عيناها حادتين كعينى النسر ، تنفذ نظراتهما الى القلوب كالنصل ، وينبعث منهما بريق الخبث ، وتنعكس عليهما جميع مشاعرها - حتى أتفه خاطر يجول بمخيلتها - انعكاسا تاما .. ولقد كان المعجبون بها يخطئهم الحساب ، مثل الذين أعجبت هى بهم ! »**

.. وألقت مدام « دى ديفان » بنفسها فى دوامة الحياة الباريسية . ولما كانت - بطبعها - تعنى بالمادة عناية كبرى ، وتكره الضائقات المالية ، وتحب العيش فى رخاء .. فقد حرصت على الاستزادة من المال فى علاقاتها ، التى كان أهمها علاقتها بالوصى على العرش ، وبالرئيس « هينو » .. وكانت علاقتها بهذا الاخير أطول وأخطر ما مر بها فى حياتها !.. وقد هجرت زوجها لفرط ضجرها منه - فقد كانت صحبته كما أسلفنا لا تطاق ! - ولكنها كثيرا ما كانت تتصالح معه وتعود اليه ، لفرط ثرائه ، ولشدة حبها وحاجتها للمال !.. غير انها لم تكن تقضى معه وقتا قصيرا حتى كانت تحس بالسأم منه يكاد يخمد أنفاسها ! أما الزوج المسكين ، فقد بذل كل ما فى طاقته كبشر لارضائها . ولطالما تحامل على نفسه وتكلف ما ليس فيه ، حتى لا تضجر منه ! بل لقد بلغ من حبه لها انه بالرغم من طيشها ونزقها كان يصارحها بأنه يغفر لها كل زلاتها ، وينسى لها جميع معاصيها !

.. وعندما حضرته الوفاة أرسل فى استدعائها ، فذهبت اليه ـ وما كانت لتذهب لولا أن أغراها الامل فى أن تسعفها وفاته برد حريتها كاملة اليها !..

ولقد كان الضجر أهول عدو ترهبه مدام « دى ديفان » وتخشاه ، أكثر مما تخشى غول المنون .. حتى لقد قالت تصفه مرة : « ان الضجر هو الحرس الذى يسبق موكب الموت ويعلن عن مقدمه .. وهو يختلف عن الموت فى انه أفظع منه ! » .. ولكى تفر منه ، وتدفعه بعيدا عنها ، سلكت جميع السبل ، وتسلحت بجميع الاسلحة : تسلحت بالحب فى فجر شبابها ، ثم أحاطت نفسها فى ضحى الشباب « بباقة » من المترددين عليها، فى ندوتها أو صالونها الذى كان مقصد العظماء .. وحين بلغت الثالثة والثلاثين توثقت بينها وبين رئيس الحكومة « هينو » أقوى الصلات ، حتى لقد غدت علاقتهما ـ لفرط انتظامها ـ أشبه بعلاقة « زوجية » حلال !.. وظلت هذه العلاقة قائمة بينهما حتى بلغت هى سن الخمسين !..

هكذا عاشت مدام « دى ديفان » ثلاثين عاما تحيط نفسها بهالة من رجالات الفكر وأفذاذ العلماء : فكان من رواد صالونها : فولتير ، ودالانبير، والانجليزى الذائع الصيت « وولبول » ـ الذى أحبته وهى فى الستين من عمرها حبا عجبا ! ـ وخلاصة القول انها كانت زعيمة نساء المجتمع فى فرنسا . ولم تكن ندوتها قاصرة على عظماء الرجال فحسب ، بل حرصت على أن تضم اليها الصفوة الممتازة من « نساء » باريس الفاتنات المثقفات !

الصراع بين «صالونات» الغوانى

◆ **وهنا** أخذت الغيرة تدب فى قلوب نجوم المجتمع الباريسى من نجاح « صالون مدام دى ديفان » .. اذ كانت الظاهرة العجيبة فى ذلك العهد هى منافسة الصالونات بعضها بعضا ، ومحاولة كل منها اجتذاب أكبر عدد ممكن من أعلام الفكر اليه ، وانتزاع الاعلام الذين يترددون على سواه ! ـ كما لو كانت منافسة تجارية على سلعة معينة بين تاجرين يحاول كل منهما انتزاع « زبائن » الآخر بشتى الطرق ومختلف الاساليب ـ فكانت المنافسات قائمة على قدم وساق فى هذا المضمار بين : مدام دى ديفان ، ومدام دى تانسان ، ومدام جيوفران ، وزوجة ماريشال لوكسمبورج ، ومدام دوبليه . **غير ان ندوة مدام دى ديفان كانت تبزها جميعا ، لذكاء صاحبتها وحديثها الطلى الجذاب ، وشخصيتها القوية الجبارة !**

وكان من أعظم المترددين عليها قدرا وأوسعهم شهرة ، العالم « دالانبير »، الذى كان ألمع شخصية تعتز بترددها على ندوتها .. وكان فوق شهرته

العلمية مرحا ، يبعث حديثه المتعة الى النفوس ، ويجيد تلاوة النكات والملح والطرف .. فكان الناس يذهبون الى مدام « دى ديفان » للاستماع اليه !

وكان « دالانبير » مدينا لمدام دى ديفان بالكثير . فقد انتشلته من وسط حقير لم يكن يتناسب مع قدره العلمى ـ وكاد يقضى على سمعته ! ـ واجتذبته اليها .. ثم توفرت على رعايته ، وأحاطته بنخبة ممتازة من الناس، وظلت تدفعه الى الامام حتى انتخب عضوا فى الاكاديمية الفرنسية .. فرأى أن يرد لها جميلها عليه بأن قصر زياراته على ندوتها !

ولكن يشاء القدر أن تفاجأ مدام « دى ديفان » بضربة قاصمة .. فقد أطلت على المجتمع فى تلك الاثناء فتاة مغمورة ، كانت نكرة مجهولة حتى اكتشفتها هى ـ مدام دى ديفان ـ نفسها ، فتوسمت فيها الخير ، فأخذت تعبد لها الطريق الى الاوساط الراقية ، وتهيىء لها فيها مكانا مرموقا .. حتى اذا اشتد ساعدها ، رمت صاحبة الفضل عليها بنبالها ، ودفعها الغرور ، والغيرة ، وحب المنافسة الشريرة ، الى اعلان الحرب على مولاتها وولية نعمتها !

ترى من كانت تلك المنافسة الجاحدة الشريرة ؟!.. انها لم تكن سوى الفتاة التى جاءت الى الدنيا ثمرة لذلك الحب الآثم الفاجر الذى كان بين شقيق مدام دى ديفان الاكبر ـ « جاسبار » ـ وحماته « جوليا دالبون » !

كانت تلك المنافسة الجاحدة : « جوليا دى لسبيناس » !

٣ ـ جوليا دى لسبيناس

◆ **كانت** « جوليا دى لسبيناس » أصغر من مدام دى ديفان بخمسة وثلاثين عاما ! ولم يرد « جاسبار » ، أبوها ، أن يعترف بها ابنة له ، حتى لا ترث من أمها ـ أى من حماته ، وعشيقته ـ شيئا .. وحتى يؤول ميراث هذه الحماة والعشيقة الى ابنتها الشرعية التى هى زوجته !.. وبذلك اصبحت « جوليـا » بلا مورد ، تعيش مشردة ، مما اضطرها الى الالتجاء الى أسرة أبيها ، أسرة دى فيشى ، التى كانت تقيم فى «شامبرون». ولم تكرم أسرة أبيها وفادتها ، بل أذاقتها العذاب ألوانا ، ففكرت فى الهرب الى أحد الاديرة .. واذا بمدام دى ديفان تجىء فى تلك الآونة لتزور أخاها

وكانت مدام دى ديفان ، قبل قدومها لزيارة أخيها ، قد نقلت مسكنها الى جناح فى دير « سان جوزيف » ـ وهو المكان الذى تشغله الآن وزارة الحرب الفرنسية فى باريس ـ وأثثته بأفخر الرياش ليليـق بمكانتها ، بصفتها زعيمة سيدات المجتمع .. وعشيقة الرئيس « هينو » !

ولم تمكث فى زيارة أخيها سوى أيام ثلاثة ، عادت بعدها الى باريس .. ولكن ، خلال تلك الايام الثلاثة قدر لها أن تلتقى فى بيت أخيها بجوليا دى لسبيناس ، فأدركت ببصيرتها النافذة ما كانت عليه تلك الفتاة الصغيرة التعسة من ذكاء لماح ، ورغبة مشتعلة فى الاستزادة من المعرفة .. ومع انها لم تكن جميلة الا أن عينيها الواجفتين ، ووجهها الساكن المعبر ، كانت تجذب الالتفات ، وتسترعى الانتباه اليها .. كما تسترعيه ومضة النور ! وكانت نبرات صوتها عذبة ساحرة ، تشيع الحياة فى عباراتها ، والطرب فى أذن سامعيها . وكانت منخفضة الصوت ، حتى اذا تملكتها الحماسة انفلت صمام ذهنها فتدفقت العبارات منها غزيرة هامية .. تلك العبارات التى ظلت حبيسة مكبوتة فى صدرها من شدة العنت الذى طالما لاقته من أسرة أبيها !

وكانت اذا تحدثت بدت على حقيقتها ، بلا تكلف ولا صناعة ، فقد كانت أبرز صفاتها الصراحة الممزوجة بالصدق . كانت تعبر بدقة عن كل ما يجيش بخاطرها ، حتى لو لحقها الاذى من جراء ذلك ! ولقد كتبت مرة تصف نفسها فقالت : « **هل تعرفون فتاة ، كانت طيلة حياتها مجردة من الجمال الذى يروق ويمس قلوب الآخرين ، ويجذب التفاتهم .. ومع ذلك لاقت تلك الفتاة من اعجاب الناس وحبهم ما لم تكن لتتوقعه قط ؟! اتعرفون لماذا ؟ لقد أعجب بها الناس وغمروها بحبهم لانها كانت تتعشق الحقيقة حيثما كانت ، ولانها كانت مخلصة صادقة فى كل ما تعمل وتقول !) »**

من ظلام الحرمان الى اضواء باريس

◆ **كانت** جوليا قد عاشت بين أسرة أبيها عامين كاملين ، عانت خلالهما الكثير ، واذا بتغيير فجائى عظيم يطرأ على حياتها : فقد أرسلت عمتها ، مدام دى ديفان ، تستدعيها للاقامة معها فى باريس ، فى جناحها الفخم فى دير سان جوزيف . وليس من العسير أن نتخيل مقدار الوثبة التى وثبتها تلك الفتاة الريفية فى انتقالها من حياتها الماضية المظلمة ، الى حياتها الجديدة المضيئة الزاخرة ، فى مجتمع حر من جميع القيود ، راق ، مهذب ، وفى منزل أعظم سيدة عرفتها فرنسا فى عهدها .. المنزل الذى كان كعبة يؤمها فحول الادب ، وأعلام الفكر ، وفلاسفة الجيل !

واستقرت جوليا فى مسكنها الجديد فى رعاية مدام دى ديفان . فأسكرتها حياة باريس ، وأثملتها مدينة النور .. وأتيح لها أن تتنفس ملء رئتيها ، فقد انجاب الكابوس الجاثم على صدرها .. كانت ترى هذا النوع من الحياة حلما يستحيل تحقيقه ، وسرابا لا أثر له فى عالم الواقع ،

فاذا ما تلمسه يداها ، وتراه عيناها ، يفوق كل ما كان يضطرم به ذهنها من خيالات ، وقلبها من آمال !.. انها فى ملتقى مدنية متلاطمة الامواج ، وتيارات فكرية قوية ، وهزات عقول جبارة ! ماذا ترى وماذا تسمع ؟! ومن هى حتى تجالس « تورجو » و « دالانبير » والاب « بواسمون » والرئيس « هينو » ومدام « دى لكسمبورج » ، وتصغى الى أحاديثهم ؟! وأين كل هذا من أسرة تكرهها ، وأب يمقتها ويأبى الاعتراف بها ، فى سبيل المال ؟!

وأولاها الرئيس « هينو » و « مدام دى لكسمبورج » عناية خاصة ، وأخذا فى ترويضها ، وتهذيبها .. فلم يمض عليها طويل وقت حتى بدأت تتأقلم ، وتساير الوسط الفنى والادبى والاجتماعى الرائع الذى تعيش فيه ! واندفعت الى المجتمعات التى حرمت منها فى صباها اندفاع المنهوم ، فتألقت فى جميع السهرات ، ولمعت فى جميع الحفلات ، ولم تنقض شهور قليلة حتى أصبحت ألمع نجم فى صالون مدام دى ديفان !

وسارت القافلة ، ودارت عجلة الزمن .. ولكن نار الايام آكلة لا تبقى على عود أخضر ، فقد بدأ عود مدام « دى ديفان » ييبس ويميل ، وتقدمت بها السنون ، وأمعن القدر فى قسوته عليها فابتلاها بالعمى !.. لقد كانت سريعة السأم شديدة الضجر وهى مبصرة ، ملء العقول والاسماع ، فكيف بها وهى رهينة المحبسين : الضجر والعمى معا ؟!.. انها الآن تقضى وقتها فى الاصغاء الى المطالعات حينا ، وفى احاطة نفسها بأصدقائها من العلماء والفلاسفة حينا آخر .. كان عزاؤها فى أصدقائها الذين ما يزالون يحجون الى بيتها ، وفى هذا اللفيف من رجالات الفكر الذى لم يتنكر لها بعد !

ولكن القدر اذا قسا ، لا يتعب من كيل الضربات .. فلم يكفه ما حل بها من مصائب ، بل فاجأها بنكبة جديدة لم تكن تخطر لها على بال !

طعنة فى الظهر !

◆ **كانت** « جوليا دى لسبيناس » تقيم فى الطابق العلوى من منزل مدام دى ديفان ، حيث كانت تستقبل بعض المترددين على المنزل ، فيقضون معها بعض الوقت قبل أن يحين موعد اجتماعهم بعمتها مدام دى ديفان . وبينما كانت العجوز العمياء جالسة على مقعدها ذات يوم ، اذ ترامى الى سمعها همس كان يدور فى الطابق العلوى .. ولما كانت فى محبسيها تتحرق شوقا لسماع أى صوت ، فقد استرقت السمع لتتبين ما كان يقال !.. **واذا بها تكتشف مؤامرة رهيبة تدبر لهـا ! فقد كانت مدموازيل « دي**

لسبيناس » تحاول اغراء أصدقاء ربة نعمتها بترك ندوتها ، الى ندوة أو صالون تقيمه هى لهم ، بعد أن أصبحت العجوز العمياء مجردة مما كان يغريهم على التردد عليها بصورة منتظمة !



.. واذا بها تكتشف مؤامرة ..

ولم يكن يدور بخلد مدام دى ديفان أن جوليا ستجازيها على حسن صنيعها معها بمحاولة « سرقة » أصدقائها منها، وتقويض مركزها الادبى فى المجتمع الفرنسى ! ولو أنها ضبطت عشيقها الرئيس « هينو » مع امرأة أخرى لما ادهشها الامر ولا أفزعها ، ولكن الذى صعقها هو أن تشن عليها تلك الفتاة الريفية حربا فى عقر دارها .. تلك الفتاة المريبة المولد ، المجردة من المال والجمال ، التى تقذفها الآن من أحد طوابق منزلها - الذى أوتها فيه - بالحمم واللهب !

ولم تطق العجوز صبرا على هذا الجحود ، فطردت مدموازيل « دى لسبيناس » من منزلها فى الحال .. وكانت الغضبة التى استحوذت على مدام دى‌ديفان هدارة فوارة، حتى لقد أصبحت محل تندر أهل باريس‌جميعا! .. فماذا فعلت جوليا ؟ .. نقلت حقائبها القليلة ، مطرودة من المنزل الذى أحسن اليها وآواها ، الى منزل يبعد مائة متر فقط عنه ، وفى نفس الشارع! .. وهناك خفت الى نجدتها الحاقدات الحاسدات من غريمات مدام دى ديفان، مثل زوجة ماريشال لكسمبورج ، التى أثثت لها المنزل ، ومدام «جيوفران» التى أمدتها بالمال وراحت تستعمل نفوذها واتصالاتها فى المجتمع لكى تجتذب الى «جوليا» الناس وتحيطها بالعظماء والمعجبين !

غير ان مدموازيل دى لسبيناس لم تكن فى حاجة الى معجبين ، فقد كان لديها منهم الكثير ! .. فقضى على مدام دى ديفان بأن ترى عقد ندوتها ينصرم شيئا فشيئا ، ليلتئم الشمل نفسه من العظماء والكبراء والادباء ، فى ندوة جارتها وربيبة نعمتها ! .. فازداد حقد المسكينة حتى أصبح نارا آكلة مدمرة ، لم يستطع فارق السن الكبير بين الغريمتين أن يطفىء من جذوتها !

وتوالت على مدام دى ديفان الضربات : فقد احتالت «جوليا» على «دالانبير» ، صديق مدام دى ديفان الاكبر ونجم بيتها اللامع ، حتى أسكنته فى الطابق الذى يعلو مسكنها - على مسيرة مائة متر فقط من منزل العجوز العمياء ! - دون ان تقيم «جوليا» اى وزن لما قد يتقول به الناس عليها وعلى «دالانبير» ! وكانت حجتها فى ذلك أن العالم الكبير كان مريضا ، وانها انما اسكنته على مقربة منها لتسهر على تمريضه ، والعناية به ! .. ولم يمض وقت طويل حتى توطد الحب بينهما ، أو على الاقل توطد الحب فى قلب «دالانبير» .. ولكنه كان حبا «عذريا» ، يوائم مزاجه وظروفه ! .. **ويصفها «جيوم» فى تلك الآونة بقوله : « لقد كانت تستقبل فى دارها اناسا من عقليات متباينة ، وأمزجة متضاربة ، فترضيهم جميعا . وكانت محدثة لبقة أخاذة بارعة ، تضفى على ما حولها من مناقشات مختلفة روعة وجمالا ، وتشيع فى الجو المحيط بها حماسة وحياة ، وتوجه جميع الاحاديث الوجهة التى تريدها هى ! فلم يحدث أن آحبت شيئا ولا وجعلته محببا للآخرين . وكانت ذات عبقرية متوثبة ، متشعبة ، شاملة . ومهما تنوع الحديث وتشعب فى حضرتها ، فانه كان لا يلبث أن يأخذ فى التبلور شيئا فشيئا حتى يتركز كله فى نقطة واحدة : هى شخصها ، الذى يصبح محور كل شىء! »**

وكانت رحبة الصدر ، واسعة الافق ، غير متزمتة ، بل لم يكن يعنيها ان يتجاوز الكلام فى بيتها التقاليد المرعية أو المبادىء المعروفة !

وبعد وقت وجيز سيطرت جوليا دى لسبيناس بشخصيتها القوية على عقول أهل باريس جميعا . فكان «كوندورسيه» و «سوارد» يكادان يقيمان فى بيتها اقامة مستمرة ! وكان العظماء من الاجانب المقيمين فى باريس يسعون الى رؤيتها والمثول بين يديها ، حتى أوشكت زيارتها أن تصبح فرضا واجب الاداء على كل عظيم !

وكان من العجيب حقا أن تستطيع فتاة مجهولة المولد ، أن تجمع حولها تلك الصفوة الممتازة المكونة من جبابرة العقول ، والعظماء ، وأصحاب النفوذ والجاه من الفرنسيين والاجانب القادمين من كل دولة . ويزداد العجب اذ نرى كل هؤلاء حولها ، وهى الفتاة الفقيرة التى لا تملك من مغريات المال والبذخ شيئا ! وفى أى عصر من العصور يحدث هذا كله ؟ فى القرن الثامن عشر ، الذى طغى فيه البهرج ، وحياة الشارع ، والعناية بالمظاهر والقشور ، على فرنسا فأغرقتها في دوامتها ، من الرأس الى أخمص القدمين !

٤ ــ الحب والموت

◆ **وكأنما** ألان شقاء مدام دى ديفان قلب القدر ، فتحول يحرض «الحب» كى ينتقم لها من ربيبتها الغادرة : ارسل «الماركيز دى مورا» يعترض طريق «جوليا دى لسبيناس» ، وهى فى السادسة والثلاثين من عمرها !

كان «الماركيز دى مورا» ابن سفير اسبانيا فى باريس . وكان ضابطا فى الجيش برتبة «كولونيل» ، لم يتجاوز الرابعة والعشرين من عمره ــ أى أصغر من جوليا باثنى عشر عاما !

وكانت ، رغم ما أحاط بها من مظاهر براقة ، تستشعر حنينا الى عاطفة حقة قوية ، وحب يشيع الدفء فى روحها ، ويشبع نفسها الضارية .. كانت شمس شبابها قد أذنت بمغيب ، اذ بلغت السادسة والثلاثين من عمرها . وعندما يهددنا الشباب بالرحيل ، فانه يزيدنا حساسية واشتعالا ، فاذا برعشة تستولى على أبداننا كلما وقع بصرنا على شىء جميل ــ كشبابنا ــ نراه وشيك الذهاب والانتهاء !

حج الماركيز دى مورا الى بيت جوليا اثناء اقامته فى باريس ــ فقد كانت هذه الزيارة فريضة على كل العظماء ، كما اسلفنا ــ وكان هو شابا جميلا ، هادئا فى غير صنعة ولا كلفة ، جذاب الحديث .. فأثرت كل هذه الصفات فى نفس جوليا تأثيرا عنيفا . وما هى الا فترة قصيرة حتى توثقت عرى الصداقة بينهما ، فأصبح كل منهما يلازم الآخر ملازمة مستديمة .. وانقضى عليهما شتاء وربيع كاملان وهما لا يفترقان ! .. غير ان مؤرخى حياة جوليا يؤكدون لنا ــ والعهدة عليهم ! ــ ان حبهما اثناء تلك الحقبة من الزمن لم يحد عن الطريق المستقيم ، بل ظل حبا « عذريا » !!

.. وذات يوم، عقدا خطبتهما ــ وان احاطاها بالسرية والكتمان ! ــ ثم اضطر الماركيز دى مورا الى العودة الى اسبانيا ، حيث رقى الى رتبة «الجنرال» فى الجيش ، وهو ما يزال فى السادسة والعشرين ! .. **غير ان هذه الوثبة الكبيرة لم تستهوه أو ترقه ، لانه كان يتعين عليه بموجبها ان يبقى فى اسبانيا ، بعيدا عن جوليا !.. ولما لم يطق على ذلك صبرا ، ضحى بمركزه السامى الذى لم يبلغه شاب قبله .. فاستقال من الجيش ، وقفل راجعا الى باريس !**

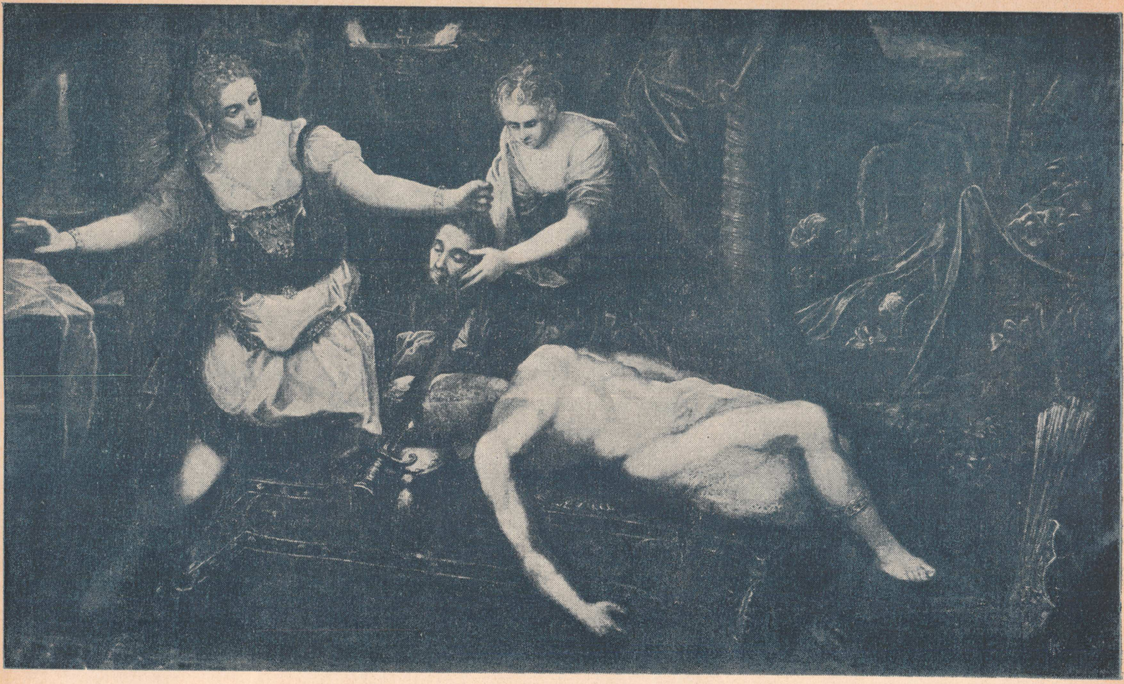
ولكن لم يكد يستقر به المقام هناك ، حتى أصيب بمرض خطير استدعى نقله الى «فالانس» باسبانيا .. فجزعت جوليا لمرضه ، كما جزعت لوجوده بعيدا عنها وهو على تلك الحال .. واستبد بها القلق ، وانطوت على نفسها تعد الايام بصبر ذاهب ، وتتلقف اخبار الحبيب المريض الغائب ، ونفسها

الملتاعة تكاد تذوب حسرات !.. وكانت علاقتها بدالانبير قد تطورت : فبدلا من اقامته فى الطابق الذى كان يعلو مسكنها ، أصبح يقيم معها ! .. فوقع عبء جزع جوليا وحزنها على الشيخ المسكين الذى صار يستيقظ مبكرا ليجرى باحثا عن البريد الوارد من اسبانيا ، والذى يحوى اخبار الماركيز الشاب ، وتطورات مرضه .. ليعود به الى صديقته !

وأخيرا شاءت رحمة الله أن يشفى «دى مورا» من مرضه ، ويعود الى باريس ، ليستأنف العاشقان حبهما ، وليصلا ما انقطع من حبـــاله .. وبدأت بعودته فترة حب جارف عنيف منهوم بين الحبيبين ، نسيا خلالها الدنيا ومن فيها وما فيها .. وعاشا للحب ، وبالحب ، ومن أجل الحب !.. كانا اذا ترك أحدهما الآخر مؤقتا ، والى لقاء قريب ، تراســلا بالخطابات مرتين فى اليوم ! .. **وكانت كتابة الخطابات هى البـــدعة الجنونية التى اجتاحت أهل باريس فى ذاك الوقت ، فكان الصديق يكتب لصديقته التى تقيم فى الشارع الملاصق له ، عدة مرات فى اليوم الواحد ! .. والعاشق يبعث الى حبيبته بخطاب فى الصباح ـ لا يحتوى على شىء ذى بال ! ـ بينما هو على موعد معها بعد الظهر !! .. ولعل اظرف تعليق على هذا هو ما كتبه الاديب الانجليزى المشهور «وولبول» يصف به تلك الموجة التى اجتاحت أهل باريس ، فى ذلك العصر ، اذ قال : « ان بين سكان باريس الآن اناسا أصيبوا «بهستيريا» كتابة الخطابات ، الى حد انهم ـ وهم يقيمون معا فى باريس ـ يتراسلون أربع مرات كل يوم ! وقد حدثنى صديق عن عاشقين لم يكن أحدهما ليصبر على فراق الآخر دقيقة واحدة فى نهار أو ليل ، فكانا متلازمين على الدوام .. ومع ذلك فقد كان الشاب الواله المتصبب ، مغرما بكتابة الخطابات ـ فوق غرامه الجنونى بحبيبته ! ـ فماذا يصنع ليرضى العاطفتين ، ويشبع الغرامين ؟ .. وضع فى الغرفة التى يقيم فيها مع حبيبته حاجزا ـ «بارافان» ـ جلس هو فى ناحية منه ، بينما جلست هى فى الناحية المقابلة .. وراح يكتب اليها الخطابات التى يبثها فيها لواعج غرامه .. ثم يلقى بها الى حبيبته من أعلى الحاجز الذى يفصل بينهما فى الغرفة الواحدة التى يقيمان فيها معا ، لا يفترقان ! »**

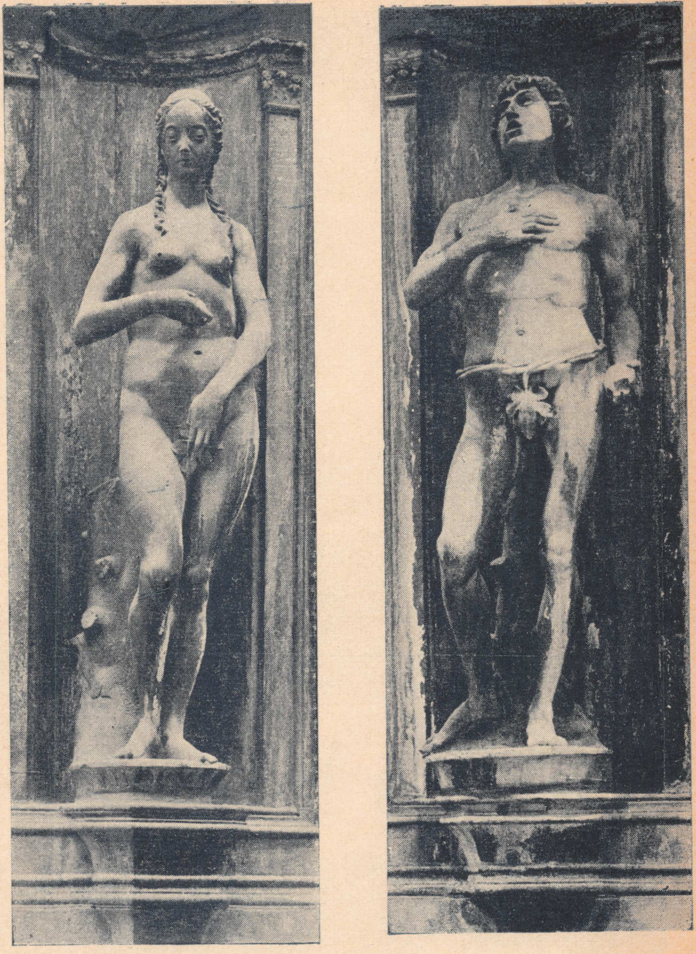
غرام جديد .. مع الربيع !

◆ وفى يوليو سنة ١٧٧٢ عاود المرض الماركيز «دى مورا» فنقل الى «بانيريس» للعلاج ، ومن هناك رجع الى اسبانيا ثانية ، لاقناع اسرته بالموافقة على زواجه من جوليا !.. وبقيت هذه تعانى من وحدتها الأليمة وجزعهـــا الشديد . لقد تغيرت تغيرا تاما ، فأصبحت ساهمة شاردة الفكر ، وكرهت



« جوديت » تسلم لأخرى رأس « هولوفيرن » ، بعد أن أجهزت عليه !

(لوحة ثالثة ، لرسام ثالث – من مجموعة المهندس « هنرى فريسكو »)



آدم ، وحواء : تمثالان من روائع فن عصر النهضة

(من مجموعة المهندس « هنرى فريسكو »)

الناس والمجتمعات .. واخذ شبابها يلوح أمامها وهو يدير لها ظهره ، ويكاد يولى الادبار ! فانطوت على نفسها طيلة ذلك الشتاء القارس الموحش ، الذى قضته بعيدة عن خطيبها وحبيبها ..

وبعد ذلك الشتاء الموجع حل الربيع ، ليحمل اليها أخبارا مطمئنة من اسبانيا .. فانجاب الكابوس الذى جثم على صدرها ثقيلا كحجر الرحى . واخذت تستشعر شيئا من الراحة ، ويتراءى أمام ناظريها بصيص باهت من نور الأمل .. واذا بدعوة تجيئها من أحد أثرياء المزارعين ـ ويدعى «واتيليه» ـ يدعوها فيها الى قضاء بعض الوقت فى مزارعه الواسعة فى «مولان جولى» على ضفاف السين . وكانت احوج ما تكون الى الاستجمام فى الريف بضعة اسابيع ، بعد ذلك الشتاء الذى قضته فريسة للوحدة والقلق ، فلبت الدعوة

وهنا يحدث ما لا يتصوره عقل ، ولا يمكن أن يمر بخيال ، فقد شاء القدر الساخر أن تلتقى جوليا وهى فى ضيافة «واتيليه» بشاب ضابط فى الجيش برتبة «كولونيل» ، كان بدوره فى ضيافته ، هو «الكونت دى جويبير» .. وكان الكونت فى التاسعة والعشرين من عمره ، قد بدأ نجمه يتألق فى المجتمعات الفرنسية بعد أن أصدر مؤلفه الضخم عن «الفنون الحربية» ، فقلب به جميع القواعد والخطط العسكرية المتبعة ، واستحدث فنا حربيا جديدا ، واساليب مبتكرة ! .. هذا الى انه كان ذا شخصية قوية أخاذة ، وكفاءة خطابية فذة ، حتى لقد وصفته « مدام دى ستايل » بقولها : « .. كان حديثه «مشبعا» ، يدل على دراية شاملة والمام واسع بجميع الامور . وسواء تحدث فى مجتمع من الناس ، أو تحدث اليك وحدك ، فانك لا تملك الا الاصغاء اليه فى شغف ، واقتناع ! »

وكانت قوة شخصيته تصدم النساء ، وتجذبهن فى الوقت ذاته ! .. فلم ينقض وقت طويل حتى توثقت عرى الصداقة بينه وبين « جوليا دى لسبيناس » .. ثم تطورت الصداقة الى حب ، وعناق وقبلات !.. ونسيت جوليا « الماركيز دى مورا » ! وأراد الكونت دى جويبير أن يجاريها ، فنسى هو الآخر عشيقته الوالهة المتيمة : « مدام دى مونتسوج » !..

وسارت الامور بين العاشقين الجديدين سيرها المنطقى المألوف فى مثل هذه الحالات .. غير ان الكونت كان حريصا على عدم نسيان مهنته ، وعلى ان لا يدع شيئا يطمر مستقبله وملكاته ، كضابط ومؤلف موهوب فى الفنون الاستراتيجية .. وعليه فقد أفاق من سكرة حبه الجديد ، وعول على السفر ليتفقد ميادين القتال اثناء حرب «السنوات السبع» !

.. فلما انتهى من مهمته ، عاد مسرعا الى حيث كانت جوليا فى انتظاره . وما كادا يلتقيان حتى شعر كل منهما بانه لا يقوى على فراق الآخر ! ..

فعادا معا الى باريس ! ولما كانت لجوليا مقصورة دائمة في الاوبرا ، فقد كان الكونت ضيفها المستديم فيها .. وكثيرا ما كانا ينسحبان من المسرح الى حجرة الاستقبال الصغيرة ، ليختليا معا بعيدين عن الانظار .. بينما تنساب نغمات الموسيقى الخالدة اليهما من أرجاء المسرح ، فى رفق !

وانقضت الاسابيع الأولى على هذا الحب الجديد الوليد ، والحبيبان من سكرته لا يفيقان ، سيما وقد استبدت بجوليا رغبة قوية فى العزلة والبعد عن الناس ، من فرط ما أغناها الحب عن المجتمع .. والدنيا بأسرها ! .. على ان الكونت لم يلبث ان احس بحاجته الى ان «يستيقظ» من غفوته ، كى يستأنف نشاطه فى مجال الحياة العامة التى كانت بالنسبة له بالغة الاهمية .. ولم تكن شخصيته ، وحيويته الدافقة الجارفة ، لتستريح الى حياة العزلة البعيدة عن الاضواء .. **فكان لا بد للغشاوة أن تنجاب عن عينيه شيئا فشيئا . وتراءت له الهوة التى تفصله عن جوليا ، واخذت معالم تلك الهوة تتضح له يوما بعد يوم .. فلم يمض طويل وقت حتى وضح للاثنين معا ، بجلاء لا غموض فيه ، ان « الحواس » هى التى تجمعهما ، وتربط بينهما ، وتدنيهما .. أما قلباهما وعقلاهما فلم يعودا ينبضان معا ، أو يفكران فى اتجاه واحد !**

حائرة بين غرامين !

◆ **والآن** ، لنقف برهة قصيرة ، كى نعود الى الماضى القريب .. والقريب جدا ! ترى ما أخبار التعس المسكين «الماركيز دى مورا» ؟ .. ألا ما أقسى الانسان !.. لقد وردت الانباء من مدريد منذرة بسوء حاله واشتداد وطأة العلة عليه .. فكانت تلك الاخبار تسمم لحظات السعادة التى تقضيها «جوليا» بين احضان حبيبها الجديد ، بدلا من ان تردها قليلا الى الوراء ، وتعيد اليها الرشد والصواب !

ورغم عقوق جوليا ، فان ضميرها كان يفيق احيانا من غفوته ، فيبكتها على سوء صنيعها .. ولكن حواء تلقى عبء اوزارها دائما على آدم ! .. وهكذا كانت تلك المرأة الجاحدة ، كلما استشعرت ازورارا ومللا من جانب الكونت دى جويبير ، حملته وزر أعمالها ، بل وزر تبكيت ضميرها ، قائلة له : « لقد انتزعتنى من حبى ، بينما كنت أرى انك لست لى ! »

وكثيرا ما خلطت الاحساسين معا ، خلطا عجيبا : الاحساس بالندم على ما اقترفته فى حق خطيبها المريض ، والاحساس بحبها الجديد العنيف ، وتعلقها به .. فقالت مرة تخاطب دى جويبير : « انت ، والألم المستحوذ على - وحدكما - كل ما تبقى لى فى الحياة ! .. أننى انتظرك ، واحبك ، وأريد أن أكون لك ، ولا يعنينى بعد ذلك أن اموت ! »

ولما كان الاساس الاول فى طباعها كما اسلفنا هو الصراحة ، وعدم الالتواء ، فقد طالما فكرت فى مصارحة «دى مورا» بالحقيقة المرة .. ولكنها كانت تعلم أن أجله قريب ، فخشيت ان هى صارحته أن تجهز عليه ! .. فكان ذلك من بواعث مضاعفة آلامها ، لعجزها عن ان تلتزم الحقيقة التى طالما اعتزت بها .. ألا ما كان أرهب تلك المعركة الدامية التى نشبت فى قلب جوليا ! .. وبحكم نفورها من الكذب والخداع ، فقد كان الفتور ظاهرا فى خطاباتها التى دأبت على ارسالها الى خطيبها المريض «دى مورا» .. ولم يكن من العسير عليه هو أن يلحظ ذلك الفتور .. فبدأ الشك ينتابه .. والهواجس تهتف به : « ان فى الأمر شيئا ! » .. فهو لم يكن من طراز العجوز الفيلسوف «دالانبير» ، يغمض عينيه كى لا يرى ، ويقنع بالفتات المتساقط من موائد الآخرين !.. يا للحب ما أعظم قوته ! ان دى مورا يرى الموت بعينيه وهو يدنو منه رويدا رويدا ليقبض اليه روحه ، ويخمد انفاسه ، ورغم ذلك فانه لا يزال نافذ البصيرة والوعى ، لم تفقده الرهبة من الموت وعيه ولا صفاء ذهنه : **« ان فى الأمر شيئا ، ولا بد أن تكون جوليا قد حادت عن حبى ! » .. ولما كان الفتى شجاعا لا يهاب ، فقد عول على أن يواجه الشر بنفسه ، ويزيح النقاب عن الحقيقة البشعة بيديه ! .. ومن ثم تهالك على بدنه الذابل ، المتداعى ، وتمرد على أطبائه ، ضاربا عرض الحائط بنصائحهم وانذاراتهم .. وأصر على السفر الى باريس !**

عودة المريض !

◆ **غادر** «دى مورا» مدريد الى باريس فى ٣ مايو عام ١٧٧٣ ، فوصل الى «بوردو» فى الثالث والعشرين من الشهر المذكور . وما أن علمت جوليا بمقدمه حتى انخلع فؤادها هلعا !.. غير ان الطمأنينة كانت تعاودها ، الى حين ، عندما تلقى بنفسها فى احضان الكونت دى جويبير ! .. وكان من السهل أن يعرف « دى مورا » كل شىء ، فلم يسع الى مقابلتها ، بل اكتفى بأن بعث اليها بقصاصة تحوى العبارة القصيرة الآتية : **« كنت قادما لاراك ، فقد صدر على الحكم بالموت .. ما أقسى القدر !.. ولكن عزائى انك احببتنى يوما .. وانك لا تزالين مصدر مشاعر حلوة حنون ، تنبعث فى أعماق نفسى .. أننى أموت من أجلك ! »** .. وأرفق «دى مورا» القصاصة بخصلة كان يحتفظ بها من شعرها على شكل خاتم ، ومعها «دبلة» ذهبية نقشت عليها العبارة الآتية : « كل شىء يزول .. ما عدا الحب ! »

.. ثم مات الماركيز دى مورا بعد ذلك بأيام قلائل ! وحين علمت جوليا

بوفاته حاولت الانتحار بتجرع كمية من الســـم ، ولكن «دى جويبير» و «دالانبير» تمكنا من انقاذها فى اللحظة الاخيرة !

وبموت « دى‌مورا » قام شبح مخيف بين « جوليا » و « دى‌جويبير » : كانا اذا التقيا ، يكون الشبح ثالثهما ! .. واصبحت حياة جوليا قطعة من الجحيم: فالجريمة التى ارتكبتها تتمثل أمامها ، وشبح «دى مورا» يلاحقها فى كل مكان ، فى اليقظة والمنام .. فهى فزعة مفزعة ، قلقة مقلقة ، ثائرة مثيرة !! .. أليس من الطبيعى اذن أن يبذل دى جويبير قصارى جهده للافلات من هذا الجحيم ، والخلاص من هذا العذاب المقيم ؟!.. انه لا يريد أن يحطم مستقبله المشرق اللامع ، وهو ليس من البلاهة بحيث يستقيل من منصبه، ويترك تبعاته، ليتزوج من امرأة محطمة ، فقيرة ، عجوز.. كما فعل دى مورا !

غير ان الافلات من قبضة امرأة مثل جـــوليا دى لسبيناس ليس بالامر الهين : فهى تتبع من تحب الى آخر ركن من اركان الفضاء .. وفوق ذلك ، فانه من الصعب نسيانها .. أو «تعويضها» كامرأة !

وبالرغم من كل هذه الصعاب ، فقد عقد دى جويبير العزم على الخلاص منها : فراح يتخلف عن مواعيدها حينا ، ولا يأبه بالرد على خطاباتهـــا وتوسلاتها حينا آخر ! .. وزاد الطين بلة أنه عاد الى معشوقته القديمة «مدام دى مونتسوج» ، التى كان قد هجرها من أجل جوليا !

.. ولكن الحنين الى جوليا ظل يعاوده ، فكان يذهب الى بيتها ليتفقد احوالها ، وليقضى معها بعض الوقت فى منزلها الكائن بشارع دومينيك - بجوار مدام دى ديفان ! - وها هو حينما يراها يتضرع حينا ، ثم يولى الادبار حينا آخر !.. وها هى حين تراه تتمنع حينا ، وتستسلم حينا آخر !.. وظلا على هذه الحال ردحا من الزمن ، تتقاذفهما الاعاصير ، وتتلقفهمـــا الرياح الصرصر العاتية ، فى غير هوادة ولا رحمة !

وكثيرا ما كانت جوليا تذهب الى الاوبرا ، ولكن .. لتجد نفسها وحيدة فى مقصورتها التى قضت الشتاء الفائت كله ترتادها بصحبة دى جويبير ! .. وقد كتبت تصف وحدتها فى مقصورتها تلك فى «الاوبرا» ، وهى تصغى الى الحان الموسيقى الخالدة فقالت : « **لم يعد فى الدنيا الا شىء واحد أصبحت اسكن اليه ، وأجد فيه بعض الراحة .. وهذا الشىء هو الموسيقى ! .. انها لراحة قد يرى فيها الآخرون استثارة لمكامن الاوجاع .. أما أنا فاننى أحب أن اسمع عشر مرات فى اليوم ذلك النغم الذى يمزقنى من الألم ، والذى يجعلنى استمتع بجميع الاشياء التى زالت ، لانه يجدد فى الحزن على زوالها ، والالم لفقدها ! »**

٥ ــ نصال تتكسر على نصال !

◆ **أراد** الكونت دى جوبير أن يخلد الى حياة كريمة مستقرة .. والحياة الكريمة المستقرة للشاب لا تتوفر الا فى ظل الزواج .. وعليه فقد قرر أن يتزوج ، وأن يكون زواجه لائقا بمركزه المضىء ومستقبله المشرق .. فصارح جوليا بنواياه ! وكانت صدمة عنيفة ترنحت لها ! .. وعبثا تضرعت اليه وتوسلت كى تثنيه عن الهول الذى هو قادم عليه ، وتبقيه لها وحدها دون سواها ! فلما وجدت فيه اصرارا وعنادا ، ألبست ضراعاتها ثوب «النصح» ، فقالت له : **((ان الرجل ذا المواهب البارزة ، والعبقرية المتدفقة ينبغى ان لا يتزوج ! .. فان الزواج يطفىء نور المواهب ، ويخمد لهب العبقريات ! .. واذا كان هناك رجال يؤهلهم تكوينهم واستعدادهم لأن يكونوا ازواجا صالحين ، يسعدون فى كنف الزواج .. فان هذا لا ينطبق على الجميع ، لأن هناك فريقا آخر من الرجال أعدهم القدر ليكونوا افذاذا عظماء ، لا ازواجا سعداء !))**

ولكن دى جوبير ركب رأسه وأصر على فكرته .. ولم تمض ستة أشهر حتى كان قد عقد قرانه على حسناء تدعى « مدموازيل دى كورسيل » ! .. وكانت فتاة فى السابعة عشرة من عمرها ، جميلة ، ذكية ، ومن اسرة كريمة .. ولئن كان زواجه منها قد بنى على العقل ، فان ذوى الطبائع المستقيمة يتحول زواج العقل عندهم مع مرور الزمن الى زواج حب !

أما جوليا فكان كل شىء محتملا فى نظرها الا هذا الزواج ! .. لقد تحملت من عشيقها الكثير : تحملت اهتمامه بالنساء المعجبات ــ لانها كانت ترى فيه ما يعجب النساء ، فمن الطبيعى أن يبادلهن الاعجاب ــ وصبرت على علاقته بمدام دى منتسوج ، وعلى اهماله لها ، وقسوته احيانا معها .. تحملت كل ذلك ، وصبرت عليه ، لأنها كانت تعلم أن مكانها فى قلبه سيظل محفوظا ، رغم كل هذه المغريات ، وانه لا بد عائد اليها آخر الامر .. أما أن يلغى وجودها اطلاقا ، وينحيها من حياته كلية ، فقد كان هذا بالنسبة لها الضربة القاضية ، فى المقتل الصميم !

.. وأسقمتها المحن المتوالية ، وأذبلت عودها ، وطاشت بلبها ! .. فهى تارة تكتب الى خطيبها «الميت» دى مورا ، وتارة تسب حبيبها الحى دى جوبير ! .. وعادت الى حياة الصخب والضجيج التى ملتها فيما مضى ، لعلها تنسى .. فلما أعيتها الحيل ، ولم يبق فى قوس صبرها منزع ، لجأت الى تعاطى المخدرات،فأدمنت الأفيون لعله يهدىء من ثورة اعصابها الجامحة المحترقة ، ويفقدها وعيها فلا تحس بالآلام المريرة التي تمزق كيانها !

أما دى جويبير فقد ظل - بالرغم من زواجه - يتردد عليها ، ويختلى بها ! .. اذ لم يكن من الهين عليه أن يهجرها دفعة واحدة ، أو ينسى اللحظات السعيدة التى قضاها فى صحبتها .. فأحاط تردده عليها فى أيامها الأخيرة بشىء من الرفق والسلوى والحنان ! .. لكنها ظلت تذوى رويدا رويدا : فكان كل من رآها على تلك الحال اليائسة البائسة ، يعزى ما هى فيه من حوباء الى حزنها على موت خطيبها دى مورا .. ولكن اذا كان موت دى مورا قد أسقمها ، فان زواج دى جويبير قد قتلها قتلا !

وشاه وجهها ، واصيبت قسماته بالمسخ من فرط الألم ، فأبت فى ايامها الاخيرة أن تستقبل دى جويبير : « لانها لم تشأ أن تكون آخر صورة لها فى مخيلته هى تلك الصورة الشائهة البشعة ! »

ولكنهما ظلا يتراسلان . وكان أحد خطاباتها الأخيرة له صورة حية لآلامها واحزانها ، اذ قالت له فيه : « الوداع ياصديقى ! .. لو قدر لى أن أعود الى الحياة ، وأن أبدأها من جديد ، لكرستها لحبك .. ولكن لم يعد هناك فى الاجل فسحة ، وآسفاه ! »

استمتعت بحياتها .. حتى الثمالة !

◆ **واشتدت** عليها وطأة المرض. وذات يوم كان « دىجويبير » ينتظر فى حجرة «دالانبير» ، واذا بسمعه يصطك بالخبر المفجع : لقد ماتت جوليا دى لسبيناس !

وكان آخر رجاء توجهت به الى دى جويبير قبيل موتها بقليل هو هذا : « لا تشفق على! بل لتذهب فى قسوتك الى أقصى مداها .. فان هذا هو السبيل الوحيد الذى يزهدنى فى الحياة ، ويحببنى فى الموت ! »

ماتت جوليا دى لسبيناس فى الثانى والعشرين من شهر مايو سنة ١٧٧٦ ، فى الساعة الثانية صباحا ، بعد أن طلبت الى «دالانبير» أن يسامحها ويغفر لها ! .. واذا كان فى كل مأساة دامية جانب مضحك كما يقولون ، فان الجانب المضحك فى مأساة جوليا دى لسبيناس كان العالم الفذ العبقرى «دالانبير» ! فلقد عكف بعد وفاتها على جمع أوراقها وترتيبها .. **فوجد ما هاله !! لقد عثر على كتيب صفير ضمنته جوليا كل شىء عن علاقتها بالكونت دى مورا .. كيف ؟! هل كانت لجوليا علاقات برجل سواه ؟!** .. ويأبى القدر الا أن يحول ابتسامتنا الى قهقهة عالية ، عندما يرينا الشيخ الوقور ، والعالم الفذ العبقرى ، وقد هرول الى عشيقها الآخر «دىجويبير» ، يبثه لوعته .. من اكتشافه سر خيانة جوليا له مع دى مورا !

حقا .. يا لسذاجة العلماء !

واذا كانت هناك عبارة تليق بأن تحفر على قبر جوليا دى لسبيناس ، فهى تلك التى كتبتها تصف بها نفسها ، اذ قالت : « **هل هناك امرأة تذوقت فى حياتها كل ما فى الدنيا من متع ولذائذ ، اكثر منى ؟!** »

عود الى .. مدام دى ديفان !

◆ **أما** مدام دى ديفان ، التى خلقت هذه الشخصية ، وأخرجتها الى الوجود ، وأدخلتها التاريخ ، فقد ظلت على قيد الحياة أربع سنوات بعد وفاة جوليا دى لسبيناس .. ثم ماتت **فى الثامنة والثمانين ، عمياء ، جزعة ، وحيدة ، فريسة للضجر ، عدوها الاكبر الذى طالما فزعت منه فى شبابها وشيخوختها معا ، والذى طالما حاولت الهرب منه ودفعه عنها بجميع الوسائل والاساليب !** .. وعندما حضرتها الوفاة ، استدعى أحد القساوسة الى فراشها .. وكان ذهنها كامل الوعى والصفاء ، فما أن أحست برجل الدين الى جوارها ، حتى وجهت اليه العبارة الآتية : « سيدى القس : اننى سأكون عند حسن ظنك بى .. ولكن لى عندك رجاء ، هو آخر رجاء لى فى الحياة ، وهو أن تعفينى من أمور ثلاثة : **فلا اسئلة ! .. ولا استجوابات ! .. ولا مواعظ !** »

لكن رجل الدين أصر على عدم اجابتها الى ما تطلب .. فبدأت اعترافاتها ، ولكنها لم تكد تبدأها حتى غابت عن وعيها .. ثم أسلمت الروح !

لقد عاشت مدام دى ديفان طويلا ، ولكن بعيدة عن أقوى دعامتين للحياة الانسانية ، وهما : الحب والايمان ، اللذان جهلت وجودهما جهلا تاما ! .. بعكس جوليا دى لسبيناس ، التى كانت أقصر منها عمرا ، ولكن أحفل حياة .. لأنها عرفت الحب ، واعترفت بالقلب !

لكل لوحة قصة :

سلاح المرأة !

◆ فى صفحة ٣ من العدد الماضى ، قدمت لك بين لوحات « بوتيتشلى » الخالدة لوحة تمثل الحسناء «جوديث» وخلفها خادمتها تحمل رأس قائد الأشوريين «هولوفيرن» ، بعد ان ذبحته ! .. وعلى اثر نشر اللوحة اتصل بى المهندس المعمارى مسيو « هنرى فريسكو » وأعارنى ثلاث لوحات أخرى لنفس القصة ، بريشة رسامين آخرين ـ لم تسجل أسماؤهم على اللوحات مع الأسف ـ كما تفضل فلفت نظرى الى ان اللوحة التى نشرتها فى صفحة ٤ من العدد (٣٣) بعنوان « السفاحة » ، نقلا عن متحف «بيتى» بفلورنسا ، ترمز بدورها الى القصة ذاتها .. ومن هنا رأيت فى نشر اللوحات الثلاث الجديدة ـ فى صفحات ٣ ، ٤ ، ١٦٧ من هذا العدد ـ بالاضافة الى اللوحتين السابق نشرهما ، فرصة رائعة تعطيك مثالا نادرا لمدى اختلاف ايحاء الفكرة الواحدة لفنانين متعددين ، ومدى اختلاف تصور ـ وتصوير ـ كل رسام ، لهذه الفكرة أو القصة الواحدة ، من زاويته الخاصة ! .. كما رأيت ان اتحرى لك تاريخ القصة ، من اكثر من مرجع ، واليك هى :

فى القرن الرابع قبل الميلاد ، اثناء الحرب بين الأشوريين وبنى اسرائيل ، ارسل ملك أشور ـ «نبوخذ نصر » الجبار ـ جيشه بقيادة قائده الباسل «هولوفيرن» ليحاصر بلدة (بتوليا) معقل الاعداء، ويضطرهم الى التسليم . واستمر الحصار ٤٠ يوما ، عانى خلالها المحاصرون من الظمأ والمجاعة ما جعلهم يستصرخون قوادهم كى يسلموا بالهزيمة ، لينقذوهم من موت محتوم ! .. وفيما كان القواد يتداولون لاجابة هذا المطلب ، تقدمت اليهم ارملة حسناء من اهل البلدة تدعى «جوديث» ، متطوعة بأن تبذل محاولة «شخصية» لتجنب الكارثة المحتومة ، واستمهلتهم لتحقيق هذه الغاية خمسة ايام ! .. ثم ارتدت الحسناء اغلى ثيابها وتزينت اجمل زينة ، وتسللت بصحبة خادمتها صوب مخيم الاشوريين ، حيث فتنت قائدهم .. فلما آمن جانبها فى اليوم الرابع ، اسكرته حتى نام ، ثم اهوت بسيفه على رقبته .. وحملت خادمتها رأسه ولاذتا بالفرار ! وبهذه الخدعة الدنيئة نجت بلدتها من حصار الأشوريين !

انها القصة بعينها تتكرر .. قصة «شمشون» و «دليلة» .. بل قصة آدم ، وحواء !



مدرسة الوالدين

عندما "يتشاجر" الإخوة والأخوات

للاخصائية الفرنسية "بوليت كوهن"

ترجمة : الاستاذ كليم ابو سيف

دستور التربية

◆ قدمت لك فى هذا الباب ، فى الاعداد السابقة ، محاضرات الدكتورة « فرانسواز دولتو » عن « مشكلات الطفولة الباكرة » .. ثم محاضرات الاخصائى الفرنسى « اندريه بيرج » عن « الطفل والأسرة » .. والآن اقدم لك المجموعة الثالثة من سلسلة المحاضرات التى تلقى فى « مدرسة الوالدين » بجامعة باريس ، وقد القتها الباحثة الاجتماعية الفرنسية « بوليت كون » .. وهذه المجموعة تدور حول المشاجرات التى تقع بين الاخوة والاخوات فى الطفولة ، وهى المشكلة التى تعانى منها جميع الامهات والآباء !

١ ـ طبيعة المشاجرات التى تنشب بين الاخوة والاخوات

◆ أية أم لا ترى مشاجرات تنشب كل يوم بين اثنين أو اكثر من اولادها ؟! .. ان هذا الأمر دائم الحدوث ، وعلى الاخص عند ما يكون الاولاد فى سن صغيرة ، ويكون فارق السن بينهم ضئيلا . فكثيرا ما نرى « بيير » ينتزع من أخيه « جان » اللعبة التى فى يده ، بينما هو يلهو بها .. أو يشد «جاك» شعر «مارى» !.. فى حين يعمل «فرانسوا» أظافره فى «جينيفييف» ويركلها بقدمه أو يبصق عليها !

اننا نرى هذه المناظر كثيرا ، ونسمع صيحات الألم أو الانذار تنبعث من هذا أو ذاك ، أو تلك ! .. ثم ينتهى الخلاف دائما بالبكاء الذى لا ينقطع الا عند ما تتعالى صيحات الاستغاثة بالأم ، فنضطر الى التدخل فى المعركة !.. وكثيرا ما ينذر المتشاجرون بعضهم بعضا بهذا الانذار التقليدى المعروف ، الذى يتلخص فى هذه العبارة : « سترى ما سيحدث لك عند ما أخبر أمى بما جرى !! » .. فاذا ما انتقلت الأم الى مكان «الحادث» ، أخذت تنصت الى شكاوى أحد الاولاد مدعمة بالأدلة والشواهد التى خلفتها ساحة المعركة ، كدمية محطمة مثلا ، أو قطعة أثاث منزوعة من مكانها .. كما تصغى الى مبررات هذا الاعتداء من الابن الذى اعتدى على أخيه .. الخ .. ولا تكون هذه هى المرة الأولى التى تضطر فيها الأم الى الوقوف بين **اولادها موقف** الحكم ، فانها تقوم بهذا الدور بصورة لا تكاد تنقطع .. **ولا يطول أمد**

التحقيق فى العادة ، اذ سرعان ما يظهر المذنب فيؤدب من ابويه ، او ينذر بالتأديب ، اذا هو عاد الى هذا العبث مرة أخرى !

الا انه كثيرا ما يتكرر المنظر بنفس الصورة فى اليوم التالى ، ان لم يكن فى مساء اليوم نفسه ! .. ولكن الأم ترى فى هذه المرة ، وقد ضاقت ذرعا بهذه الخلافات المستمرة ، ان أعصابها لم تعد قادرة على أن تتحمل أكثر مما تحملت .. فوق انها قد تكون مشغولة بانجاز أعمالها البيتية الضرورية أو العاجلة .. وهنا ، وبدون أن تكلف نفسها عناء البحث عن المذنب والتحقيق معه ، تعمد اولا الى الحيلولة بين الاولاد وبعضهم البعض ، ثم توقع عليهم عقوبات تهدف من ورائها الى أن تكون لهم « دروسا » فى المستقبل !

ولكن هذا لا يحول بينهم وبين الاشتباك معا فى يوم آخر ، وان كانوا فى هذه المرة يحاولون تسوية مشاكلهم فيما بينهم ، دون علم الام وتدخلها !

لا تتدخل فى مشاجرات أولادك !

والأم العاقلة هى التى تمتنع ، منذ البداية ، عن التدخل فى هذه المشاكل التى يثيرها اولادها .. فاذا كان الابن الكبير قد أساء معاملة اخيه الصغير، فلتترك الصغير يتعلم كيف يدافع عن نفسه ! .. فقد سبق له ان لعب بالنار فاصابته بلذعاتها ، فاذا به يتحاشى اللعب بها مرة أخرى !

غير اننا كثيرا ما نسمع أحدى الامهات تقول : « اننى لا استطيع ان أتحمل رؤية ابنى الصغير يلقى اضطهادا من اخوته الكبار .. وما دام هو عاجزا عن الدفاع عن نفسه بمفرده ، فهو اذن فى حاجة الى معاونتى ! »

وفى هذا الاعتراض شىء من الصواب . واذن فما هو أفضل علاج لهذه المشكلة ؟ .. العلاج ان يتخذ الوالدان من جانبهما كل اجراء من شأنه « منع وقوع » هذه الملاحم ، أو الاقلال من وقوعها على الأقل ! .. فانها لأم جاهلة تلك التى تكتفى بتضميد جراح ابنها فى كل مرة يجرح نفسه فيها ، دون أن تعنى عناية جدية بالبحث عن السبب الذى دفع الطفل الى أن يجرح نفسه ، ودون أن تعنى عناية جدية بازالة الاشياء التى يعبث بها الطفل فيجرح نفسه ، أو ابعاد هذه الاشياء عن المكان الذى اعتاد الحركة واللعب فيه ، مع أن هذا هو السبيل الوحيد السليم فى فن التربية ، فهو السبيل الذى ينادى بان الوقاية خير من العلاج !

وقياسا على ذلك يتعين علينا ، لكى «نتقى» وقوع المشاجرات بين الاولاد ، ان نتعرف اسبابها وبواعثها ، لا أن نكتفى بفضها او التدخل فيها اذا ما وقعت !

٢ ـ اسباب المشاجرات وبواعثها

◆ **هناك** أسباب رئيسية ثلاثة لمشاجرات الاطفال :

السبب الأول : الغيرة التى تنشأ من مولد طفل جديد !

ماذا يحدث فى البيت عند ما يولد فيه طفل جديد ؟! .. الذى يحدث انه ، لفترة غير قصيرة من الزمن ، يتحول انتباه أهل المنزل جميعا ، ويتركز فى المولود الجديد : فالأم تخصص أغلب وقتها للعناية به والسهر عليه . وهذا طبيعى لانه أضعف أخوته ، وأمسهم حاجة الى هذه العناية الخاصة المستمرة . ولكن اذا كان هذا يبدو طبيعيا وعاديا فى نظر الكبار ، الا أن نظرة باقى اطفال المنزل اليه ، وتقديرهم له ، تختلف اختلافا كليا عن نظرة الكبار اليه .. ذلك لأن الكبار يظلون طوال شهور الحمل يتحدثون الى باقى اطفال المنزل عن هذا القادم الذى سيحل بينهم قريبا ، حديثا يحببهم الى رؤيته ويشوقهم الى مقدمه .. دون ان يفهموا من هذه الاحاديث ان الطفل الجديد ، أو القادم السعيد ، سيحتل فى المنزل مثل هذه المكانة الرفيعة ، ولا أنه سيستولى على الأم الى هذا الحد .. الى حد أن يكون سببا فى اهمالهم كل هذا الاهمال ! .. ومن هنا فانهم لا يكادون يرونه ، أو يرون ما أحدثه مجيئه من تغيير .. حتى يصابوا بخيبة أمل كبرى !

فمولد طفل جديد يخلق فى باقى أخوته احساسا بالألم لان أمهم لم تعد تلتفت اليهم كما كانت ، فيحسون كأن هذا الطفل الجديد «دخيل» عليهم .. واكثر الاولاد شعورا بهذا الألم هو الابن الذى يسبق الطفل الوليد مباشرة ! .. ويصحب الشعور بالغيرة من المولود الجديد ، فى العادة ، عداء خفى صامت يحتل مكانه فى قلوب أخوته . وهو عداء يظهر سافرا اذا ما أسعفته الفرص المواتية ، فيتحول من عداء صامت مكبوت فى الصدور الى عدوان صريح .. ومن هنا نرى المشاجرات التى كثيرا ما تنشب بين الاخوة لأتفه الاسباب !

وليس من شك فى أن الغيرة بين الاخوة الأشقاء تتخذ لها مظاهر أخرى غير المشاجرات .. وكثيرا ما ينحرف العداء الناتج عنها فيتجه الى الأم نفسها ، بدلا من أن يتجه الى الخصم المنافس مباشرة : فاذا نحن نرى الطفل العاصى غير المطيع .. والطفل الذى يمتنع عن الأكل .. بل الطفل الذى يتبول فى فراشه وهو نائم ! .. الخ .. فالطفل يحاول الالتجاء الى جميع أساليب المقاومة ليجذب اليه الالتفات الذى اغتصبه منه منافسه ! بل انه قد يلجأ الى توجيه عدائه الى شخصه هو بالذات ، كأن يرفض مثلا الاشتراك مع اخوته فى بعض المظاهر العائلية ، فينطوى على نفسه باحثا فى تلافيفها



عما يرضيه ويسليه ، كأن يقضم أظافره مثلا ، أو يمتص أصابعه ، أو يلمس عضوه التناسلى !.. فالباعث **الاول على جميع هذه المشاحنات التى تقع بين الاخوة ، هو الغيرة قبل كل شىء ، وكل ما عداها يأتى فى المرتبة الثانية .. وكثيرا ما نرى طفلا يبدو عاقلا فى البيت ولكنه متمرد فى المدرسة، والعكس صحيح . كما اننا قد نصادف آخر يكون كثير الشجار مع أخيه الاكبر ، فى الوقت الذى يحب فيه أخته الصغرى- فهناك أشخاص بالذات يكرههم الطفل ، دون أن يكون لارادته دخل فى كراهيتهم ! - وهنا يصبح واجب الآباء واضحا محدد المعالم .. اذ يتعين عليهم أن يتجنبوا الاسباب التى تثير الشحناء بين الاولاد . لان مسلك الآباء نحو أحد الاطفال كثيرا ما يكون حافزا على ظهور الغيرة الكامنة المكبوتة فى صدور الآخرين !**
وكثير من الآباء يتسببون بسوء تصرفهم فى خلق منافسات بين الاولاد ، سرعان ما تتحول الى ضغائن واحقاد . ثم هم لا يكفون بعد ذلك عن الشكوى من اولادهم ، دون أن يلقوا بالا الى أنهم هم المسئولون عن جزء كبير مما يقع منهم من متاعب !

السبب الثانى : الدور الذى يلعبه تسلسل أعمار الاولاد

ولكى نوفق الى ايجاد علاج لهذه الحالة ، يحسن بنا ان نتناول بالبحث والتحليل بعض الحالات الخاصة التى تتصل بهذا الأمر :

أولا : الابن الاصغر « المفضل » !

◆ **من** الطبيعى أن نرى الام تميل الى أن تسبغ على الابن الاصغر عطفا خاصا ، فتدلله اكثر من أخوته الكبار ، بحكم أنه ضعيف وصغير ، علاوة على انه يستلفت الانظار ، بما يأتيه من حركات هى دائما محل اعجاب وتشجيع من أبويه . ومن الطبيعى ايضا أن هذا الالتفات الخاص من جانب الابوين لا يعنى أنهما يفضلانه على سائر أخوته ، ولكن أخوته يفهمون الامر على هذا النحو ، وعلى الاخص الأخ الذى يليه فى السن مباشرة . **وينسى الأخوة**

الكبار أنهم عند ما كانوا صغارا مثله ، قد استولوا على اهتمام امهم هـذا الاستيلاء تماما . فاذا صادف أن كان الابن الاصغر يمتاز على اخوته بالذكاء والعقل والجمال ، فان الابوين لا يتوانيان عن الجهر بهذه الميزات والاعجاب بها ، فيلقون ـ بتصرفهم هذا ـ فى روع الكبار ، وخاصة من يليه فى السن مباشرة ، أنهم هم بالنسبة اليه كم مهمل لا يلتفت اليه ! فاذا بنا نرى كل واحد منهم يعبر عن احساسه نحو الصغير بالطريقة التى توائم طبعـه واخلاقه : فمنهم من ينطوى على نفسه ، ومنهم من يعبر عن كراهيته لمنافسه بحركات تنم عن الانانية حينا ، وعن حب التعدى حينا آخر . بل ان منهم من يصوب عدوانه نحو الأم نفسها ، مصدر هذه الغيرة . واكثر من ذلك ، أن تفضيل الابن الاصغر قد يدفع اخوته الذين يكبرونه الى أن يحـاولوا الانتكاس الى الوراء ، وذلك بأن يعودوا أطفالا صغارا ، عساهم يستطيعون الاستحواذ على التفات الابوين واعجابهم !

وهناك أم توبخ الابن الأكبر لانه «يضايق» أخاه الأصغر ، أو توبخه لانه ليس على درجة من العقل تحفزه على أن يتنازل له عن بعض حقوقه ! ومثل هذه الأم مثل من تحك الجروح بأظافرها ، فتزيد الحالة سوءا على سوء ! .. اما الصواب فهو أن نلقى ـ بتصرفاتنا ـ فى روع الابن الذى يسبق الأصغر فى السن مباشرة ، أن مكانه لم يصبح فى الصف الأخير من اهتمام الاسرة أو قلب الام ، بل ان منزلته ما تزال محفوظة فيهما ، معا ، كما كانت . كذلك يجب علينا أن نجعله يقدر ويعى الدور الذى أصبح عليه أن يؤديه « كابن كبير » ، والمسئوليات التى تقع عليه بحكم وضعه الجديد . فبهـذا نجنبه الكثير من العنت الذى كثيرا ما يتسبب فيما يعتريه من عـدم الاستقرار النفسى ..

فاذا ما القى هذا فى روعه ، أصبح شريك أمه ومعاونها ، وأصبح مسئولا عن قضاء بعض حاجات الطفل الثانوية ، فاذا به يقوم بدور هام عندما يرى نفسه مسئولا عن حماية أخيه الأصغر وتدريبه على الحياة ! ويومئذ ندهش من اسلوبه فى القيام بواجباته الجديدة الملقاة على عاتقه ، فانه سـيقوم بها بشغف وحماسة ، ويتحول الى طفل رقيق عطوف على أخيه الأصغر ، بعد ان كان بالأمس يحاول أن يعمل فيه أظافره ، لظنه أنه جاء ليغتصب مكانه فى قلب أمه !

وفى العدد القـادم أقدم لك المحاضرة الثانيـة والاخيرة فى موضوع مشاجرات الاخـوة والاخوات !

هذه المذكرات ..

◆ قدمت لك فى العدد الماضى الحلقة الاولى من هذه المذكرات التى كتبها أعظم مغامر عرفه التاريخ ، فى الهوى والسياسة .. الرجل الذى أحب ألف امرأة وامرأة ، وغرر بملك ، وعبث بعقول قارة بأكملها ، وكانت له مغامرات تكاد تفوق الخيال روعة .. حتى لقد قال عنه « ستيفان زفايج » انه : « منذ عاش كازانوفا حياته ، وكتب قصته ، لم يقدر لروائى ولا لمفكر أن يبتكر قصة أكثر روعة ورواء ، ولا أن يصور شخصية أغرب من شخصيته ، وأقرب الى الاساطير ! » .. وقال عنه « اميل لودفيج » ان « تألقه فاق بريق الملوك والشعراء فى عصره ، بل انه يعتبر أشهر رجال قرنه بعد نابليون ! »

وقد نقلت اليك فى الفصل الاول من مذكراته المشهورة ـ التى أخذت فى تقديمها لك تباعا ابتداء من العدد الماضى ـ ذكريات صباه وشبابه الباكر ، ثم قصته مع أخت أستاذه ـ التى كانت تكبره ـ وكيف ان الفتاة أيقظت فى كيانه عواطف الجنس .. ولكنه ما لبث أن اكتشف انها كانت تؤثر عليه زميله ـ وغريمه ـ « كورديانى » ، وقد فاجأه خارجا من مخدعها !.. ووقفت بك عندما شرعت الفتاة « بتينا » تروى له قصتها مع « كورديانى » .. فتعال نستمع اليها معه :

رضخت له خوفا من الفضيحة !

◆ لقد صارحنى كورديانى بحبه بعد اسبوع من استقراره بدارنا ، وسألنى أن أقبل الزواج منه اذا تقدم أبوه ليخطبنى بعد فراغه من الدراسة .. ولما طلبت اليه أن لا يعود الى الحديث فى هذا الامر ، أخذ يلحف فى أن أزوره بغرفته ، ويقول انك محظوظ لعنايتى بك !.. وبعد اسبوعين من هذا الرفض ، عنت لنا ـ أنا وأنت ـ الساعة التى قضيناها فى العبث الغرامى الذى أيقظ فى نفسك مشاعر لم تكن تعرفها ، ولقد أسعدتنى تلك الساعة ، فاننى أحبك .. وكنت مشوقة الى أن أخلو اليك فى الصباح التالى ، لولا أن دس كورديانى فى يدى فى تلك الليلة هذه الرسالة : « دعينى ألج مخدعك هذه الليلة ، والا فسأرسل الخطاب الذى أرفق لك صورة منه .. الى أخيك ! »

وكان الخطاب المرفق موجها الى الدكتور جوتزى ، متضمنا وشاية خبيثة بأن أخته تقضى كل صباح معى فى علاقة مشينة !.. واستطردت « بتينا » فقالت انها تركت « كورديانى » يفد الى غرفتها فى تلك الليلة كى تسوى الامر معه ، وقد دست فى جيبها خنجر أبيها !.. ولم تكد تسأل الفتى عن نواياه حتى قال لها انه شهد ما جرى بينها وبينى خلال ثقب فى جدار مخدعى .. ومضت تقول : « وأغرقته بفيض من الاهانات المقذعة ، ووصفته بالجبن والتجسس والدناءة .. فاعتذر عما بدر منه وعزا مسلكه الى شدة حبه لى ، ووعد بشرفه بأن لا يلجأ بعد ذلك الى عنف ، وأن يحاول أن يكون أهلا احبى .. فلم يبق لى سوى أن أقول له اننى قد أحبه فى المستقبل ، ووعدته بأن لا أقرب مخدعك فى غياب أخى .. وأحزننى أن لا أستطيع أن أراك أو أعلل لك تغير مسلكى !

« .. وانقضت ثلاثة أسابيع ، كنت ألتقى خلالها لماما بكورديانى أمام باب غرفتى ، لأطامن من قلقه .. وفى الليلة التى وعدت أن أوافيك فيها ، فاجأنى بأن قال انه سينتظرنى فى غرفتى .. وحاولت أن أتخلص منه ، ولكنه راح يحدثنى فى اسهاب عن خطة وضعها لأفر معه ، وأخذ يزين لى خطته ويلح ويلحف .. وكان قلبى يدمى من أجلك ، ولكن ضميرى كان مستريحا .. ولو اننى رأيت أن أضحى بنفسى ، وأنيل هذا الوغد الغادر ما لا ينال الا بالحب ، لتخلصت منه فى ساعة .. ولكن الموت بدا لى أهون من ذلك .. كل هذه الهموم كانت مكتوبة لى فى لوح القدر .. »

وطفقت تبكى وتتأوه ، فتأثرت كل التأثر ، ولكننى ظللت لا أقوى على أن أصدقها ، فقالت أخيرا : « امض فى جفائك ، وفى اعتقادك بأن آلامى ليست سوى اصطناع .. مع انها ليست سوى حقائق واقعة ، كنت أنت سببها ، وها أنتذا تزيدها .. لسوف تأسف على ذلك يوما ، ولكن بعد فوات الاوان ! »

ونهضت تهم بالانصراف ، واذ كنت أراها قادرة على الاقدام على أى شىء ، فقد خشيت من انذارها ، فقلت لها ان عليها - ان شاءت أن تستعيد حبى - أن تظل شهرا دون تلك النوبات التى تعتريها ، ودون أن ترى ذلك الراهب المليح الشكل ، الاب « مانشيا » ..

وفى اليوم التالى عادها الطبيب ، ليجدها محمومة . وراحت تهذى طيلة النهار .. وفى اليوم الرابع ، ظهرت عليها أعراض الجدرى .. ولما كنت قد أصبت به من قبل ، فلم يكن ثمة خوف على من العدوى ، لذلك بقيت فى الدار ، بينما أقصى عنها « كورديانى » وزميلاه .. وكان المرض قاسيا ، حتى خيف منه على حياة الفتاة حين ظهرت بثوره على فمها وحلقها، فلم تعد تقوى على ابتلاع شىء اللهم الا قطرات من العسل .. واعتبرتنى

الاسرة ملاكا ، اذ كنت أحمل كتبى وأذهب الى جوار فراش المريضة ! واشتدت وطأة الداء فى اليومين العاشر والحادى عشر ، وأصبحت رائحة الفتاة لا تطاق .. ولكنى كنت الوحيد الذى أبى أن يهجرها .. ألا ما أغرب قلب الرجل ، فان الوجد المشغوف الذى أحسسته نحو بتينا ، لم يشتعل فى قلبى الا فى هذه الفترة التى كانت معالم المرض تشوه فيها حسنها ! وأشعرتها رعايتى بأننى أهل لحبها ، فأحبتنى من قلبها - بعد شفائها - واستجبت لحبها ، وان لم أستبح لنفسى الزهرة التى جعلتها الطبيعة من حق الرجل الذى يقدر له أن يتزوجها ! - (ويا له من رجل كان هذا الزوج !.. فبعد عامين ، زفت « بتينا » الى « اسكافى » وضيع ، أساء معاملتها ، وأذاقها شظف العيش .. وعندما أقدمت على زيارتها ، فى عام ١٧٧٦ - بعد أكثر من ثلاثين عاما - وجدتها مريضة تحتضر ، ولفظت آخر أنفاسها بين ذراعى !)

فى صحبة زملاء السوء

◆ **وقضيت** عاما آخر فى « بادوا » أدرس القانون الذى حصلت على « الدكتوراه » فيه وأنا فى السادسة عشرة من عمرى ! - وقد كنت فى الواقع شديد الميل الى دراسة الطب ، ولكن أحدا لم يحفل بميلى فاضطررت لدراسة القانون على كره منى - على أننى اذا كنت قد حرمت من أن أكون طبيبا ، فاننى كذلك لم أغد يوما محاميا ، لا ولا استخدمت محاميا فى قضاياى ، ولا طبيبا فى مرضى !.. وما أحسب الا أن العالم كان يغدو أقل تعاسة لو انه خلا من الاطباء والمحامين !

وكنت فى ترددى على جامعة « بو » قد شعرت لاول مرة بالحرية .. على أنه لم يطل بى الوقت حتى تعرفت الى أسوأ « نماذج » الطلبة ، من مقامرين ، ومخادعين ، ورواد لبيوت الدعارة ، ومدمنين للخمر ، ومغررين بالعذارى !.. وفى صحبة هؤلاء ، بدأت خبرتى بالدنيا والحياة .. فقد تسلمونى ، اذ وجدونى « غشيما » ، وبدأوا يعلموننى ، لا لشىء الا ليوقعونى فى أحابيلهم !.. علمونى المقامرة ليبتزوا المال القليل الذى كان لى ، ثم ليغرقونى فى الدين ، ويلجئونى الى الاقدام على أعمال غير شريفة كى أسد دينى .. الخ .. على اننى انما تعلمت اذ ذاك الاسى والحزن ! وفتحت دروسهم عينى كى لا أثق فى الاشرار الفاسقين الذين يفخرون علنا بآثامهم ، وكى لا أعتمد على المرائين المتملقين !.. وعلمونى كذلك كيف أتصرف فى صحبة المشاغبين المحبين للشجار ، وكيف أتجنب رفقتهم ..

وانتهى العام الدراسى ، فتركت مدينة « بادوا » عائدا الى البندقية ..

مباذل الشيوخ !

◆ « **لقد** أقبل من (بادوا) حيث أتم دراسته » .. كانت هذه الكلمات ترافق اسمى أينما كنت ، فتحمل الشباب على أن يرمقونى فى اجلال ، والآباء على أن يهنئونى ، **وتجعل المسنات من النساء يضفين على من حنانهن ، وقد تقبلنى منهن من لم تتقدم بها السن كثيرا ، بحيث لا يحرجها أن تبدو طائشة تقبل شابا فى غير حياء !..** وان هى الا أربعة شهور ، حتى أقنعنى بطريرك البندقية بالانخراط فى سلك رجال الدين ، فكادت جدتى تطير زهوا . واختير خير الاساتذة لاتمام تعليمى ، وبينهـم الراهب « سكيافو » الذى انتدب ليلقننى الاسلوب الايطالى ، لا سيما فى الشعر الذى بدت على مخايل الاستعداد لاجادته .. وأقمت فى مسكن مريح مع شقيقى « فرانسوا » الذى كان يدرس فن العمارة المسرحية ..

وكان الاب « جريمانى » هو رائدى الاول ، لكنى لم أكن أراه الا قليلا .. وما لبثت الملاقات أن توثقت بينى وبين السيد « دوماليبيرو » الذى كان عضوا فى مجلس الشيوخ ، وقد أخذ يعاف - اذ بلغ السبعين من عمره - الانغماس فى شئون الحكم ، وقنع بأن يحيا حياة مرفهة فى قصوره ، وأن يحيط نفسه فى كل مساء بنخبة من السيدات اللاتى عرفن كيف يستمتعن بأيام شبابهن ، ونخبة من السادة الذين كانوا دائما على علم بكل ما يدور فى المدينة !

وكان الشيخ رغم اكتهاله ، واصابته بروماتيزم كاد يقعده ، مدلها فى حب فتاة تدعى « تيريز ايمر » ، ابنة ممثل متقاعد يقيم فى منزل بجوار قصره **.. وكانت نافذة مخدع الفتاة - التى كانت فى السابعة عشرة ، جميلة ، فاتنة ، لعوبا - مواجهة لنافذة مخدعه ، فطاب لها أن تخلب لب عضـو الشيوخ المسن وأن تعبث به .. وقد اعتادت أن تزوره يوميا ، تصحبهـا دائما أمها التى كانت ممثلة ثم اعتزلت المسرح .. وخلال تلك الزيارات كان الشيخ الطاعن يتودد الى الابنة ، ثم تقدم خطوة فصار يغازلها .. لكنها كانت ترفض أن تقبله ، قائلة ان فى ذلك اغضابا لله .. فكان ينتفض غضبا لذلك !**

وفى قصر عضو الشيوخ المذكور تعرفت الى مدام منزونى ، زوجة مسجل للعقود ذى شهرة ، فألهمتنى أعمق العواطف ، وأخلصت لى النصح .

ولقد بعث فى نفسى التعرف الى سيدات راقيات ، رغبة طبيعية فى العناية بمظهرى وأناقتى ، ولكن الاب الذى كنت أدلى اليه باعترافى ، و « جدتى » ، كانا قويين فى معارضة ميلى للغرور .. وكان الراهب يذكرنى بأن مهنة

رجل الدين التى ارتضيتها لنفسى تتطلب أن أكرس أفكارى لله ، وليس للدنيا . وكان يسفه عنايتى بارسال شعرى وتجعيده ، وولعى بالعطور ، ويهددنى بالحرمان ، **ولكننى ذكرت له أسماء آباء روحيين كانوا يتعطرون ويستعملون من المساحيق أضعاف ما كنت أستعمل !.. بل انهم كانوا يضمخون شعورهم بنوع من الدهان عنبرى الرائحة ، تكاد النساء اذا شممنه أن يفقدن وعيهن .. ومع ذلك فلم يكن يتهددهم أى حرمان ..** وأضفت اننى لن أحجم عن الانضمام الى مذهب آخر ، ان شاء أن يقسرنى على اهمال مظهرى !

وأغضبه جوابى ، فتسلل فى صباح أحد الايام ـ بعد استئذان جدتى ـ واقترب من مخدعى وأنا نائم ، فقص الجزء الامامى من شعرى !

كيف اعتليت المنبر .. وكيف هجرته

◆ وود « كازانوفا » أن يقاضى الراهب انتقاما ، لولا أن حلاقا استطاع أن يرد اليه أناقة مظهره .. واذ ذاك فاتح عضو الشيوخ فى أنه لن يرجع عن السعى للانضمام الى مذهب آخر من مذاهب الكنيسة .. فقال له الشيخ : « اننى كرئيس لأخوة (السر المقدس) ، أبحث عن واعظ يؤدى القداس يوم الاحد الرابع من هذا الشهر ، وسأختارك لذلك . ما رأيك فى هذا النصر ؟ »

◆ ولم أكن أحلم بأن أكون واعظا ، فتولتنى دهشة بالغة ، وظننت أن السيد « ماليبيرو » يمزح .. ولكنه فى اليوم التالى أنبأنى بأن الاب رغب فى أن أعرض عليه موعظتى بمجرد الفراغ من كتابتها .. فقبلت هذا الطلب . وما كان أشد فرح جدتى اذ صار حفيدها واعظاً !

وزرت الاب لأقرأ عليه ما أعددت ، لكنه كان غائبا عن داره ، فمكثت فى انتظاره .. **وفى هذه الاثناء ، وقعت فى هوى ابنة أخته « انجليا » ، التى كانت تناهزنى فى العمر .. وحين عاد القس ، لم يبد عليه الغضب اذ وجدنى أجلس الى ابنة أخته ..** وقد أطرى العظة التى أعددتها !..

وألقيت الموعظة .. وكان ثمة جمع من خيرة أهل البندقية ، صفقوا لى ، وتنبأوا بأننى سأغدو أعظم واعظ فى عصرى .. فما سبق لراهب فى السابعة عشرة أن وفق قدر توفيقى ..

وازدهانى هذا النجاح ، فلما دعيت لالقاء موعظة أخرى ، أهملت اعدادها مطمئنا الى سرعة قريحتى .. واعتليت المنبر وقد لعب النبيذ برأسى ، فأخذت أنتقل من موضوع الى آخر ، ثم نسيت كل حديث ، فلم أجد مخرجا الا فى اصطناع الاغماء .. وأقسمت أن لا أعتلى بعد ذلك منبرا !

وذات مساء ، قدمنى السيد « منزونى » - مسجل العقود - الى غانية شابة كانت ذائعة الصيت فى البندقية اذ ذاك .. وكان يغيظها أن يدعوها الناس « كافاماكيا » - لأن أباها كان يعمل فى تنظيف الثياب (غسالا) - ومن ثم كان أصدقاؤها يسمونها « جوليت » ، وقد كان المركيز دى سانفيتالى سبب تألقها .. ووجدتها محوطة بسبعة أو ثمانية من المعجبين - من أبناء الطبقة الراقية - كانوا يحرقون قلوبهم بخورا تحت قدميها !.. **وأخذت بجمالها .. ورمقتنى من قمة رأسى الى اخمص قدمى ، كأنما كنت معروضا للبيع ، ثم دعتنى - كما لو كانت أميرة - الى الجلوس .. واذ ذاك ، بدأت بدورى أتأملها فاحصا : كانت قد بلغت الثامنة عشرة من عمرها ، ذات بشرة تبهر الابصار ، وان خيل الى أن تضرج وجنتيها ، وحمرة شفتيها ، كانا من ثمار الصنعة أكثر مما هما من خلق الطبيعة ..** ولم يخف على عينى مدى ضخامة يديها واكتنازهما .. كما بدت لى قدماها كبيرتين ، لا تروقان لعينى أى رجل مرهف الذوق ..

وزرت « جولييت » أربع أو خمس مرات ، خيل لى بعدها أن ليس من التجنى فى شىء أن أقول فى مجلس السيد « دومالييبيرو » انها لا تروق الا لرجل مكتنز « الكرش » ، عديم الذوق . واستحسن أصدقاء السيد ملاحظتى ، لكنه همس فى أذنى أن حديثى لا بد بالغها ، ولا بد أنها ستناجزنى العداء .. وقد صح ما تنبأ به !

وانصرفت طوال الصيف الى غرام عذرى مع « انجليا » - ابنة أخت القس الذى عرضت عليه موعظتى - وكنت ألقاها فى دار السيدة التى كانت تعلمها التطريز .. ولم تتح لى « انجليا » أتفه منحة من منح الحب ، فكانت نار الوجد تكوينى .. وكانت نجواى وتضرعاتى المستهامة لا تلين لها فؤادا ، وان أثرتا على زميلتيها فى الدرس .. ولولا اننى كنت أثبت نظرى عليها ، لما فاتنى أن ألحظ أن الزميلتين كانتا تفوقانها جمالا !..

غرام .. فى ضيافة الكونتة !

◆ **هكذا** كانت حالى حين تلقيت فى أوائل خريف سنة ١٧٤١ ، دعوة من الكونتة « دى مون ريال » لقضاء أيام فى ضيعتها فى « باسيان » .. وهناك ، أفردت لى غرفة بديعة بالطابق الارضى ، تطل على البساتين . وما أن فتحت عينى فى الصباح التالى لوصولى ، حتى استمتعت بمنظر الحسناء التى حملت الى القهوة .. **كانت صغيرة السن لم تتجاوز الرابعة عشرة ، ولكنها بدت كفتاة فى السابعة عشرة ، لفرط نضوجها .. بشرتها فى بياض**

الجليد ، وشعرها فى سواد الليل ، وعيناها تشعان لهبا وبراءة .. وكان ثوبها القصير يكشف عن ساقين بديعتى الالتفاف ، وقدمين دقيقتين ..

وحكمت من النظرة الاولى بأننى أمام أبهى جمال رأيته فى حياتى !.. والتقت نظراتنا كما لو كنا على معرفة من قبل .. وما أن سألتنى كيف قضيت ليلتى ، حتى انتهزت الفرصة فسألتها عن اسمها .. كانت « لوسى » ابنة البواب ووحيدته .. وأردفت فى سذاجة :

ـ لقد سرنى أنك لم تصطحب خادما ، ومن ثم سأغدو خادمتك ، وسوف ترضى عنى ..

ورحت أرشف قهوتى وأنا فى دهشة من سذاجتها وطلاقتها ، وفى سحر من جمالها .. بينما جلست هى على حافة فراشى فى حرية وبساطة . ولم تتحرك اذ أقبل أبواها ، بل تطلعت اليهما مبتسمة ، وكأنها فخورة بمجلسها .. فأنبها الوالدان الطيبان فى رفق ، واعتذرا لى عن جرأتها الساذجة .. حتى اذا غادرت الحجرة مضيا يطريانها ، ويشيدان بطاعتها اياهما وخوفها الله ..

وأسعدنى أن اكتشفت أن فى الدنيا قوما فى مثل هذا الصدق ، والطهر، والسذاجة ، والسعادة الحقة .. وما لبثت « لوسى » ان عادت ، كالعصفور الطروب ، وقد ارتدت ثوبا جميلا ، وحذاءين ، ونسقت شعرها ، فقبلت أبويها ، وجلست على ركبتى أبيها .. وازددت افتتانا بسذاجتها ، وبساطتها

صراع .. مع البراءة !

◆ وقضيت نهارى فى رفقة الكونتة وابنتها اللطيفة .. حتى اذا كان الصباح التالى ، وافتنى « لوسى » بجمالها ، وسذاجتها ، ومسلكها الطبيعى، وأحاديثها الرائعة .. وكانت صراحتها وبراءتها تحيطانها بهالة من الاشراق .. ولم أدر كيف كانت ـ مع كل هذا ـ تجازف بالحضور الى حجرتى وحيدة ، وتعاملنى بهذه الألفة .. وخطر لى انها لن تعلق كبير أهمية اذا أنا أبحث لنفسى بعض الحرية فى التعبير عن اعجابى .. ولم اشعر بضميرى يؤنبنى اذ ائتمننى عليها أبواها ، فقد وجدت فى هذا « اهمالا » منهما .. ولم أستبشع أن أكون أول من يخدش براءتها ، أو أن أرسل الى ذهنها أولى ظلمات الخبث .. ومن ثم بدأت أجس نبضها ، فمددت يدى اليها ، واذا بها تتراجع بحركة غير ارادية ، وتتضرج وجنتاها ، ويغيب اشراقها ، ثم أشاحت بوجهها كأنها تبحث عن شىء ، وتريثت حتى خف انفعالها .. ولم يستغرق كل هذا دقيقة .. ثم عادت ، وقد أخجلها أن كشفت بتصرفها عن ادراك لقصدى ، ولعلها استنكرت أن تبين انها أخطأت تفسير حركة ربما

كانت بريئة .. وسرعان ما عادت اليها ضحكتها الطبيعية ، فلم أضيع وقتا فى محاولة استعادة ثقتها ، وآثرت أن أمهد بالحديث ، بدلا من العمل .. فقلت لها حين جاءتنى فى الصباح التالى - ونحن فى سياق حديث عادى - ان الجو بارد ، ولعلها تحس دفئا اذا نامت على مقربة منى . فقالت : « قد أضايقك » .. على أنها لم تلبث أن استلقت الى جوارى .. فى بساطة !!

ولم أفقه كلمة من ثرثرتها وهى مستلقية الى جوارى ، فقد ظللت مسمرا فى مكانى ، لا أفلت زمام شهواتى الجامحة .. كانت ثقتها فى انها بمأمن ، قد لعبت بمشاعرى الى الدرجة التى خجلت معها من استغلالها !

وفى اليوم التالى ، لم أشأ أن أخرج عن هدوئى ، فتركتها تكتفى بالجلوس على حافة السرير ، وأخذ حديثها يؤكد لى أن أبويها لم يكونا مغاليين فى اطرائها .. فان تحررها فى مسلكها معى لم يكن يعزى الا الى سذاجة وبراءة .. لذلك سيطرت على مشاعرى حتى لا أقدم على أية محاولة قد يؤنبنى عليها ضميرى فيما بعد ..

تسألنى عن سر شحوبى !

◆ **وبعد** عشرة أيام أو اثنى عشر ، وجدت اننى أمام أحد أمرين : فاما أن أضع لهذه الحال حدا ، واما أن أغدو وحشا فى نظر نفسى.. وآثرت جانب الخلق فى موقفى ، اذ بت متأكدا ان «لوسى» كفيلة بأن تنقلب الى « بطلة » فى الدفاع عن نفسها ، لو اننى اضطررتها الى ذلك ، وان الصراع لن يجلب سوى الفضيحة ! .. وكان تحررها ، وما تسلكه من ألفة فى معاملتى ، يزيدان نارى اتقادا ..

وأنهكنى الجهد الذى كنت أبذله فى المقاومة ، حتى قررت أن أسألها أن تكف عن زيارتى .. لكنى أرجأت ذلك الى اليوم التالى ، وقضيت الليل مسهدا ، معذبا .. فلما أقبلت الفتاة فى الصباح مشرقة مرحة ، غاض بشرها اذ رأت شحوبى وضناى .. وسألتنى ملهوفة عن السبب ، فرحت أشرح لها ما سببه لى جمالها ، وأضفت اننى لم أعد أحتمل الوجد ، لذلك أرى أن تكف عن زيارتى ! .. وأعارنى صدق الحب والمقصد لباقة فوق لباقتى ، كى أبين لها العواقب الرهيبة التى تتأتى عن أى حل سوى هذا الذى ارتأيت .. والذى اقترحته وأنا أتعس ما أكون !..

واذ لمحت عينى مغرورقتين ، أقبلت تجففهما ، غير مدركة انها بذلك كشفت عن ثديين يكفى جمالهما لان يطيش بأحكم العقول !.. ثم قالت :

((يتبع))



نحو فجر الحضارات القديمة

عند ما فكرت فى ان اقدم لك تاريخ العالم - استكمالا لرسالة « كتابى » فى مزج الثقافة بالمتعة - عنيت بأن أختار لك امتع كتاب من عشرات الكتب العالمية التى عالجت التاريخ كقصة لا كمادة «دراسية» جافة ! .. وكان هذا الكتاب هو «تاريخ العالم فى ٢٤٠ صفحة» .. فقد نجح مؤلفه « رينيه سيدياو » - رئيس تحرير صحيفة « لافى فرانسيز » - فى ان «يروى» التاريخ «بحرارة» جعلت منه « قصة شائقة جريئة ، تبهرك ، وتعلق انفاسك » ، كما وصفه ناقد مجلة «تايم» العالمية ..

وقد حرصت على أن أقدم لك الكتاب فى فصول « قصيرة » .. كيما تتورط فى قراءته دون أن تشعر ، ودون أن تمل !.. و « رويت » لك فى اول هذه الفصول تطور الحياة الانسانية قبل التاريخ الى حضارات بدائية ، حدثتك عن أولاها ، وهى « حضارة عصر الصيد » ..

واليوم أحدثك عن بقية حضارات ما قبل التاريخ ، وأصل بك الى فجر الحضارات القديمة التى بدأ عندها التاريخ ..

حضارة الرعاة

◆ **اذا** كانت حضارة الصيادين ترجع الى مائة ألف سنة - على الاقل - فان حضارة الرعاة ، التى أعقبتها ، لا تبعد عن عصرنا بأكثر من عشرة آلاف من الاعوام .. فلقد بدأت بقايا الجليد المتخلفة عن العصر الجليدى تذوب ، واتجه الجو الى الاعتدال ، فبرز الناس من كهوفهم ، وانتشروا على الحشائش

التى أخذت فى النمو .. وتحولوا من صيادين الى رعاة .. اذ كانوا من قبل يقتلون الحيوانات البرية دفاعا عن أنفسهم وسعيا وراء القـوت ، ولكنهم شرعوا يستأنسونها ، ويربونها ، بادئين بالثيران – اذ كانت اكثر الحيوانات مسالمة – ثم أعقبوها بالحمير ، والابل ، والغزلان ، والوعول ، والاغنـام والجاموس ، والخيل ، والكلاب ، والبغال ، والخنازير .. وأخذوا يربون الدواجن ، ويذللون الفيلة لخدمتهم .. واذا كان البعض يرى ان الانسان بدأ يستأنس الحيوان لاغراض دينيـة ، فان هناك من الادلة ما يؤكد أن الانسان كان يصدر فى تربية الحيوان عن ادراك للنفع الاقتصادى .. ومنذ ذلك الحين ، لم يعد الحيوان مجرد مورد مباشر لما يحتاج اليه الانسان من غذاء ، وفراء ، ولبن ، وبيض ، بل تفتحت أمام الناس أبواب مجال واسع للصناعة : صناعة الجلود ، والاصواف ، والزبد والجبن .. الخ

ومع الرعى ، غادر الناس كهوفهم وأقاموا خياما خفيفة على مقربة من المراعى التى كانت قطعانهم تنطلق فيها ، وأخذوا يتنقلـون وراء العشب النامى ، فأصبحوا رحل .. وأثر ذلك فى الحضارة ، فتأخرت الفنون ، اذ انصرف الناس الى نواح عملية . تعلموا استخدام المسن لشحذ الادوات التى يتخذونها من الصوان ، وتعلموا عمل الاوعية من الطين ، وتشكيلها على قوالب تدور بسرعة لتجويفها (كما فى صناعة القلل) .. الخ .

حضارة العصر الزراعى

◆ **وأدى** التقدم فى عصر الرعاة ، الى أن تحول الناس تدريجيـا الى الزراعة ، فألحقوا انتصـارهم على الحيوان ، بغزوهم لعالم النبات .. وأخذوا يكافحون الاشجار والنباتات الزاحفة الكثيفة النمو ، فطهروا سطح الارض ، وبذروا الحب ، وجنوا ما نما عنه من محصولات ..

وهنا نتساءل مرة أخرى ، هل نشأت فلاحة الارض عن أصل دينى ؟ .. هل أقبل الناس على حفر الارض فى البداية لمجرد دفن موتاهم ، وهل بذروا الحب حول المدافن لمجرد توفير القوت للموتى ؟ .. أو ان الصدف والحظ اقترنا بالطقوس لارشاد البشر الى معجزة نمو النبات ؟.. سواء صح هـذا أو ذاك ، فان الانسان سرعان ما حذق استنبات البذور وتعلم حسـاب الفصول ، وكشف أثر الشمس والمطر ، وخبر التربة ليميز الخصب منهـا من المجدب .. وأخذ كلما انهكت الزراعة بقعة من الارض ، تحول عنها الى بقعة بكر ، عذراء .. فقد كانت الارض واسعة ، والناس قلة .. بيد أنهم سرعان ما تبينوا أن من الممكن زيادة الانتاج ، اذا هم حطمـوا الطبقة السطحية من التربة ، ونفذوا الى ما تحتها ، فاخترعوا المحراث .. وورد فى

التوراة ان أول من اخترعه ، كان رجلا يدعى « طوبال قابيل » ، وكان ذلك قبل عهدنا هذا بثلاثة آلاف سنة .. ويدعوه الاغريق «تريبتوليمس» .. أما المصريون ، فينسبون الاختراع الى «أوزيريس» ..

واستطاع المزارعون أن يستنبتوا القمح ، ويطحنوه ليصنعوا من الدقيق خبزا .. كما عرفوا زراعة الشعير ، والذرة والكتان .. وعنوا بالاكثار من الاشجار التى تنتج الكمثرى والتفاح والبندق ، وبكروم العنب التى اتخذوا من عصيرها خمرا .. وتحولوا عن التنقل الى الاستقرار حول عيون الماء والآبار ، ثم اتخذوا من الحجر وجذوع الاشجار بيوتا ، على ضفاف البحيرات أو الجداول وقنوات الماء .. فقد غدا الماء فى تلك الاثناء صديقا للانسان « الذى سرعان ما تعلم كيف يقيم الجسور ، والسدود »

وولدت الصناعات : غزل ونسيج الصوف والكتان ، وصباغة النسيج .. وصناعة الاوانى من الطين .. وما لبث أن ظهر الاثاث فى البيوت ، وهذب الانسان من الادوات التى اخترعها ، حتى استطاع أن يتخذها من المعادن .. وكان اختراع المنفاخ لاذكاء النار ، بداية سيطرة الانسان على المعادن : النحاس والقصدير ، ثم البرونز ، فالحديد ..

حضارة عصر سكنى المدن

◆ **ما ان** نظمت الجماعات ، حتى شرعت تتنازع ويمزق بعضها بعضا ، فقد جبل الانسان على الخوف من أخيه الانسان .. وكانت أقوام بأسرها تنزح عن مواطنها فى بعض الاوقات ، فعمد السكان الذين استقروا الى احاطة مواطن استقرارهم بأسوار تحميها ، ومن ثم ظهرت المدن .. وكانت فى البداية معاقل ومواقع للاجتماع وتبادل السلع .. وكان الكهنة وأصحاب الحرف يقيمون بداخلها ، بينما يتردد عليها التجار من آن الى آخر ..

ولقد ظهرت التجارة وتبادل السلع فى البداية مقرونة بالعنف والاغتصاب، حتى ان الكلمة المقابلة للتجارة فى اللغة اليونانية تعنى أيضا «افساد» ، والكلمة التى تعنى التبادل ، تعنى أيضا فى اللغة الالمانية الخداع ! .. **وكانت العشيرة تترك من منتجاتها قرابين فى المعابد ، فاذا جن الليل ، استولت عشيرة مجاورة على هذه السلع ، وتركت مكانها سلعا مما عندها تعادلها فى القيمة .. ثم أصبح التبادل يتم بطريق مباشر ، فى شكل مقايضة .. وأخذت القوافل تشق لها طرقا مألوفة وسط الغابات ـ آمنة من الوحوش ـ لتسعى الى الاسواق ..** فظهرت الطرق المؤدية الى المدن ، وصارت هذه ملتقى الطرق كما يبدو من اللغة المصرية القديمة ـ فقد كانت كلمة « مدينة » ترسم بشكل صليب داخل دائرة .. أى ملتقى للطرق تحيط به أسوار ! وكانت هذه بداية تسجيل تاريخ الانسان ..

٢ ــ العالم القديم

فجر الحضارات القديمة

◆ **كان** الانسان فى فجر الحضارات التى ورد ذكرها فى التاريخ ، لا يزال مجردا من كثير من ألوان المعرفة : فلم يكن يعرف الكتابة ، ولا وحدانية الله ، ولا النقود ، ولا العجلات ، ولا ركوب الخيل ..

ولم تبلغ الجماعات الانسانية مستوى واحدا من الحضارة فى وقت واحد **.. فبينما توصل بعض الناس الى فلاحة الارض ، كان بعض آخر لا يزالون رحلا يتنقلون من مكان الى آخر دون استقرار .. وكان بعض ثالث قد عرفوا الحديد دون ان يمروا بمرحلة معرفة البرونز .. وفى هذا القرن العشرين لا تزال توجد قبائل تعيش فى مستوى عصر الصيد ، قبل التاريخ !**

على أن حضارات عظيمة لم تلبث ان انبعثت من بعض الجهات قبل مولد المسيح بألفى عام او ثلاثة آلاف .. اذ نضج بعض الاقوام ، وشيدت مدن كبيرة ، وأخذت بعض الامبراطوريات فى التكون . **وقد انحصر هذا الازدهار فى الجزء الممتد شرقى البحر الابيض المتوسط حتى بحر الصين ، فى احواض و «دلتا» انهار كبرى معينة هى : النيل والدجلة والفرات والاندوس، والنهر الاصفر ، اذ كانت الفيضانات تحمل الى وديانها الخصب والرخاء**

على أن درايتنا بهذه الحضارات لا تزال ناقصة ، فنحن فى بعضها لا نملك سوى ما نستنتجه من بعض الاطلال والاساطير .. ولا نملك سوى ان نحدس ان الدين كان يلعب فيها دورا رئيسيا ، لان الآثار التى خلفتها كانت فى كثير من الحالات ذات علاقة بالدين ..

ومع ان آلهة تلك الحضارات واساطيرها كانت تختلف ، الا ان خطوط المجتمعات التى عاشت فى ظلالها تشابهت ، اذ كان الرعاة والرحل لا يلبثون ان يغيروا على هذه الوديان الخصيبة ، المتحضرة .. كانوا يخرجون من صحارى افريقيا وشبه الجزيرة العربية واقاليم المراعى فى التبت ومنغوليا ، ويجتاحون مراكز الحضارة الآمنة ، ويفرضون عليها سلطانهم .. وتكون النتيجة احد امرين : اما ان يندمج الغزاة فى الشعوب التى يقهرونها ويتمشون معها ، فيمضون بها قدما .. واما ان يخنقوها تحت وطأة النير البربرى !

وفى العدد القادم ، احدثك عن حضارة وادى النيل .. اقدم حضارات التاريخ



◆ فى الاسطورة السابقة ، التى قدمتها لك فى العدد ٣٥ ، رافقنا « زيوس » كبير الآلهة فى احدى رحلاته الى الارض ، حيث كان يختلط - متنكرا - بالبشر ، ويلهو معهم ، ويمارس مغامراته الطريفة ·· وقد وقفت بك فى نهاية ذلك الفصل على عتبة غرام رب الأرباب بالحسناء « يوروب » ·· وفيما يلى قصة اختطافه اياها ، ارضاء لهواه المشبوب :

زوجة « زيوس » تغار عليه !

◆ كان « زيوس » ، رغم زواجه من الالهة « هيرا » ، كثير الانغماس فى مغامرات غرامية عابرة مع غيرها من الآلهة ، بل مع نساء البشر أيضا ، اللواتى كان يتوسل الى لقائهن بالتنكر فى أشكال مختلفة !·· ذلك ان القدماء لم يكونوا يتطلبون من آلهتهم مقاييس خلقية رفيعة ، وانما كانوا يسلمون لهم بنزوات البشر وشهواتهم - قبل أن يعرف العالم وحدانية الله وقدسيته التى جاءت بها الاديان السماوية ··

ولما كانت زوجة زيوس - هيرا - ذات طبيعة شديدة الغيرة ، فقد كان هو يحرص على التزام التكتم والسرية التامتين فى ممارسة مغامراته الغرامية ، ويعمد الى التنكر فى أشكال مختلفة لا تخطر بالبال !

وذات يوم ، وقع بصره على الحسناء يوروبا - ابنة ملك (فينيقيا) المدعو « أجينور » - فعمد كى يظفر بها الى التنكر فى شكل ثور !·· وفيما كانت الفتاة تلهو مع صديقات لها فى مروج أبيها ذات يوم ، وتجمع الازهار ، لمحت على حين غرة ثورا أبيض قادما نحوها ·· لكنه بدلا من أن يحدجها بنظرات نارية تنذر بالشر ، ويشهر نحوها قرنيه ·· دنا منها متلطفا ، كأنما يوجه اليها التماسا صامتا بأن تربت عليه ·· فسرت يوروبا بذلك ، وربتت بيدها على ظهره ، ثم ألبسته عقدا من الزهر كانت قد نظمته من براعم المروج المحيطة بقصر أبيها ·· وعندئذ ركع الثور كأنما يدعوها للركوب ، فصعدت واستوت على ظهره العريض ، ودعت صويحباتها للحذو حذوها ·· ولكن قبل ان يفعلن



نهض الثور مسرعا وانطلق يركض نحو البحر ، وعلى ظهره حمله الجميل !

وبدلا من أن يتراجع حين رأى الامواج المزبدة ، ألقى بنفسه فى خضمها وراح يسبح بأقصى ما وسعه من سرعة، فتعلقت «يوروبا» بقرنى الثور ورفعت ذيل ثوبها القرمزى فوق الماء حتى لا يصيبه البلل ، ثم سألت خاطفها فى دهشة : « من أنت ؟ .. والى اين تحملنى ؟ »

فأجابها الثور ـ الاله : « لا تخافى أيتها العذراء ، أنا «زيوس» .. وانى من أجل حبك أخوض الامواج متنكرا فى هيئة ثور ، ولسوف تكون جزيرة (كريت) مقرونا وموطن اقامتك ! »

تنجب ثلاثة أولاد !

◆ **واستقرت** يوروبا وعاشت فى (كريت) ، وحملت وولدت ثلاثة أبناء : صار أكبرهم ملكا على الجزيرة ، وعرف هو وأخوه الاوسط بالعدل والحكمة فى تصرفاتهما ، فلما مات كلاهما ، أجلسا على مقعد القضاء فى ديار الموتى .. أما الأخ الاصغر فسقط صريعا خلال حرب طروادة .

وفى تلك الاثناء كان والد يوروبا ـ أجينور ، ملك طروادة ـ قد أمضه الحزن على ابنته المفقودة ، وارتدى عليها ثياب الحداد .. ومع ذلك فقد استدعى أبناءه الثلاثة ـ «فينكس» و «سيليكس» و «كادموس» ـ وأمرهم بألا يعودوا حتى يعثروا على أختهم المختفية !..فاستصحب الثلاثة أمهم «تيليفاسا» وانطلقوا من فورهم يبدأون رحلتهم للبحث عن شقيقتهم .. كانوا يسألون كل من يصادفونه : هل رآها ؟.. لكن جميع أبحاثهم واستفساراتهم ذهبت أدراج الرياح .. فعدل « فنيكس » عن مواصلة البحث ، ثم يئس «سيليكس» بدوره واستقر فى اقليم خصب كانوا قد بلغوه ـ وقد أطلق على الاقليم اسمه فصار يعرف باسم « سيليسيا » .. ولم تلبث الام أن سقطت فريسة الاعياء والاسى ، وماتت وهى تستخلص من ابنها الاكبر عهدا بمواصلة البحث !

واستأنف « كادموس » تجواله ، حتى بلغ مدينة (دلفى) ، حيث معبد الاله « ابوللو » الذى كان يهبط فيه الوحى فيكشف لزواره حجب المستقبل ،

بصدد أى مسألة يستفسرون عنها .. فسأل كادموس الآلهة عن مكان أخته ، لكن الجواب الوحيد الذى تلقاه عن سؤاله كان هذا : « حيثما تصادف بقـرة صغيرة ترعى الحشائش ، فلتتوقف لتؤسس مدينة تسميها (بوتيا) ».

كيف أسس مدينة (طيبة) .. اليونانية !

◆ **غادر** كادموس المعبد حائرا .. وبحكم العادة واصل ترحاله ، حتى التقى بالبقرة فسار خلفها .. وتبعه كثير من المغامرين - الذين مر بهم - بدافع الفضول .. فلما توقفت البقرة آخر الامر فى بقعة ما ، بذل الجميع الوعد لكادموس بأن يساعدوه - باعتباره زعيمهم المختـار - كى يؤسس عاصمتهم المستقبلة التى عرفت فيما بعد باسم (طيبة) !

وأرسل الشاب رجاله الى عين ماء قريبة ليستقوا منها .. فلما مضى الوقت ولم يعودوا ، تسلح بسيفه وتبعهم الى العين .. فاذا هو يتبين « تنينـا » ضخما يعيش فيها قد ابتلعهم جميعا ! فما كان من كادموس الا أن استل سيفه وذبح التنين . واذ ذاك سمع الآلهة تهيب به أن ينتـزع أسـنان التنين و « يزرعها » فى أرض مدينته الجديدة . فلم يكد يفعل حتى انبثقت الارض عن عصبة متآزرة من الرجال المسلحين !.. وهم الرجال بالانقضاض عليـه ، لولا أن أرشده الصوت الالهى الى أن يلقى فى وسطهم حجرا .. فلما فعل ، حسب كل منهم أن جاره هو الذى ألقى الحجر ، فنسوا الشـاب وبدأوا يتشاجرون بعضهم مع بعض !.. حتى اذا لم يبق منهم على قيد الحيـاة غير خمسة ، سلموا أسلحتهم لكادموس ! .. وساعدوه فى بناء المدينة !

الآلهة تغضب عليه .. فتمسخه !

◆ **وأراد** زيوس أن يكافىء كادموس على تفانيه فى البحث عن اخته «يوروبا» ، فزوجه من الاميرة الحسناء «هرميون» ، ابنة افروديت .. ويعزى الى كادموس - الى جانب تأسيسه مدينة طيبة - ابتكار الحروف الابجدية ، وادخالها الى اليونان .. ولكنه لم يلبث ان اغضب الآلهة ، حين نسى أن يقدم قربانا اليها فى احدى المناسبات الرسمية ، فغضبت عليه ومسخته هو وزوجته هرميون الى ثعبانين ضخمين !

(ح ...)

وفى الفصل القادم نتابع سلسلة هـذه الاسـاطير القديمة ، حسب ترتيبها الزمنى منـذ بدء الخليقة ..

وزارة الاشغال العمومية
مصلحة الميكانيكا والكهرباء
ادارة المشروعات

تقبل العطاءات بمكتب مدير عام مصلحة الميكانيكا والكهرباء بوزارة الاشغال العمومية لغاية ظهر يوم ٢٣ يونيه سنة ١٩٥٥ عن توريد وتركيب وحدتى توليد رئيسيتين قدرة كل وحدة ٥٠٠٠ ك.و. ووحدتين مساعدتين قدرة كل وحدة ٦٠٠ ك.و. وثلاثة قيزانات وما يلزمها من محولات وأجهزة كهربائية كاملة بالمبانى اللازمة لانشاء محطة توليد كاملة بمعمل تكرير البترول الحكومى بالسويس .

ويمكن الحصول على نسخة من الشروط والمواصفات من المكتب المشار اليه ابتداء من ٢٨ مارس سنة ١٩٥٥ مقابل دفع مبلغ ١٠ جنيهات مصرية بخلاف ٢٠٠ مليم أجرة بريد للنسخة الواحدة وذلك يوميا ما عدا أيام الجمع والعطلات الرسمية أثناء ساعات العمل المقررة ويقدم تأمين ابتدائى بواقع ٢ ٪ من العطاء والا فلا يلتفت اليه .

ويمكن أيضا الحصول على نسخة من الشروط والمواصفات من القنصليات والمفوضيات بالخارج مقابل دفع المبلغ المشار اليه .

٥٤٣

اعـــلان

تقبل العطاءات بمكتب السيد مدير ادارة الميزانية والعقـــود والمشتريات بوزارة الداخلية لغاية ظهر يوم السبت ٢٨ مايو سنة ١٩٥٥ عن توريد تبن لتغـــذية حيـــوانات البوليس فى ســـنه ١٩٥٦/٥٥ ويمكن الحصـــول على الشروط من المكتب المذكور مقابل ٢٥٠ مليما يضاف اليه ٣٠ مليم أجرة البريد للنسخة الواحدة وتقدم الطلبات على ورقة دمغة من فئـــة ٥٠ مليما .

٥٨٤

مصلحة البساتين
اعـــلان

تقبل العطاءات بمكتب السيد مدير عام مصلحة البســـاتين بالجيزة لغاية الساعة الثانية عشر ظهر يوم ١٩٥٥/٤/١٤ عن الاعمال الصناعية اللازمة لاصلاح أرض المطار وأرض الغابة البحرية بمزرعة الجبل الاصفر ويمكن الحصول على نسخة من شروط هذه المناقصة نظير دفع مبلغ جنيه مصرى واحد بخلاف ٥٠ مليم أجرة البريد وتقدم الطلبات على ورقة تمغة فئة خمسون مليم .

٥٨٦

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

مطابع شركة الاعلانات الشرقية



آذان الفجر ..

(لوحة فوتوغرافية من تصوير الفنان
الاستاذ يوسف عبد الشهيد المحامى)



آدم وحواء يأكلان من الشجرة !

جزء من لوحة ضخمة للفنان الخالد « ميكيل انجلو » ، رسمها
على جدار كامل من جدران قاعة « سيستين » بالفاتيكان



لوحة الغلاف

اشتهر الرسام الانجليزى « لورد ليتون » ، (١٨٣٠-١٨٩٦) بأنه أبرع من رسم شخصيات الأساطير الأغريقية القديمة .. واللوحة التى تراها فى صدر الغلاف تمثل العذراء « آتالانتا » احدى بطلات الرياضة والصيد ، وكانت قد آثرت أن تعيش بلا زواج ، واشاعت أنها لن تقبل زوجا لها غير الرجل الذى يستطيع أن يفوز عليها فى سباق العدو السريع حول ملعب المدينة الكبير .. فإذا فشل فى المنازلة ، لم يفقد فرصة الزواج من « أتالانتا » فحسب ، بل فقد معها حياته ايضا !

وقبل الرهان شاب يدعى « هيبوميليس » ، ورفع صلاته إلى الربة « أفروديت » كى تنصره ، فاعطته ثلاث تفاحات ذهبية ، ثم همست له بنصائحها !.. وبدأ السباق ، فلم يكد المتسابقان يقطعان شوطا حتى القى الشاب بتفاحة أمام الفتاة ، فتوقفت عن العدو حتى التقطتها .. وتكررت الخدعة ، فتكرر انطلاقها على « اتالانتا » ، فكانت تتأخر عن منافسها فى كل مرة مسافة ما !.. حتى خسرت السباق فى النهاية ، ففاز بها الشاب زوجة له .. ونجا فى الوقت نفسه من الموت !

كتابى

ركز فن الطباعات ٥٨١٤٩